جامعة الجزائـــر3
كليه علـــوم الإعــلام والاتصــال
قســـم علــم الاتصال

المحددات الثقافية للتعبير العلني عن الرأي

اختبار ثقافــي لنظريــة لولــب الصمــت

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم
في تخصص علوم الإعلام والاتصال

إعداد:
بلعموري نعيم

إشراف:
أ.د/لوصيف سعيد

2018/2017

إهــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي رحمة الله عليه، الذي على بساطته وأميته كدح وبذل ما وسعه فقط لننجح، ولم تكن الدنيا تسعه عند كل نجاح..

إلى أمي الغالية، المعطية دوما بلا حد ولا مقابل، أطال الله في عمرها وحفظها ومتعنا بوجودها..

إلى خالي الحاج رحمة الله عليه، رمز الإقدام والجود والعطاء...

إلى عمي أحمد وخالتي أم الخير شفاهما الله..

إلى زوجتي الكريمة حفظها الله وجزاها عني كل خير..،

وإلى هبة الله الغالية مريم أنبتها الله نباتا حسنا..، وجعلهما الله قرة عين لي..

إلى أخي محمد وأخواتي نادية، رشيدة، غنية، فاطمة، فتيحة، حميدة، عزيزة، جميلة، أحلام سندي وعوني أبدا على مر الأيام.. وإلى أولادهم فردا فردا، بدء بمهدي مرورا برحمة، معين، سيرين وإسراء، وصولا إلى هشام وسارة وبدر الدين بارك الله فيهم..

إلى خالاتي وأخوالي الكرام وأولادهم الطيبين...

إلى كل مجتهد بصدق بفكره ورأيه وساعده لخير هذا البلد...

شكر وعرفان

جرى هذا البحث في ظروف لم تكن سهلة، تباينت بين ذاتية سياقية وموضوعية علمية. غير أنه بمحض فضل الله ومنّه وتوفيقه تيسر الانتهاء منه، ليأخذ هذا الشكل، وإن لم يكن على النحو الذي كنا نأمل، طبيعة جهد المقل.. وقد ساهم في إنجازه بقدر مهم بعض ذوي الفضل، أذكر منهم:

- أستاذي البروفيسور سعيد لوصيف المشرف على هذا العمل، والذي أحيي فيه الإنسان قبل الأكاديمي، فقد صحبني طيلة مراحل هذا العمل مشجعا ومحفزا، ملبيا دوما لكل طلب لقاء، ومنصتا بعناية لكل انشغالاتي وأفكاري حتى أكثرها تناقضا وتخبطا، مع توجيه وإثراء نوعيين، وحرص كبير على احترام المعايير العلمية والتقيد بالصرامة المنهجية؛ فضلا عن صبر منه كبير عن تقاعسي وفتوري بل وانقطاعاتي الكثيرة.. تقريرا أقول إن فضله علي وقيمته المضافة في هذا العمل وقبله كثير... حقوق تقصر هذه العبارات عن الوفاء بها...
- أختي غنية وأخي عبد القادر الذين آوياني وكانا أكبر دعم لي في كل مساري الدراسي.
- البروفيسور مصطفى كمال شان بتركيا الذي وفر لنا كل التسهيلات حال تكويننا الإقامي هناك، وأمدنا بإمكانية الولوج لمراجع أساسية يسرت لنا بشكل كبير إتمام هذا العمل.
- القائمين على مكتبتي المجلس الإسلامي الأعلى ومسجد أسامة بن زيد الذين وفروا لنا فضاء مثاليا للبحث.
- الإخوة سعيد، بوديسة، عبد السلام، عصام، مولود،..
- الزملاء عبد الرزاق، سمير وطالب ورشيد...
- كل من تتلمذت على يديه أو قرأت له، بل كل صاحب فضل علي وهم كثر...، جزاهم الله عني كل خير...

فهرس المحتويات

إهداء 02
شكر وعرفان 03
فهرس المحتويات 04
قائمة الجداول والأشكال 06
مقدمة 07
الفصل الأول: بناء إشكالية البحث وتحديد المفاهيم 10
1.1. بناء الإشكالية 10
2.1. تحديد المفاهيم 18
2.1. 1. الخوف من العزلة الاجتماعية 18
2.1. 2.الاستعداد للرقابة الذاتية 20
الفصل الثاني: مراجعة الأدبيات 25
1.2 الثقافة وأبعادها: أنموذج Hofstede نموذجا 26
1.1.2. مفهوم الثقافة 26
2.1.2. أبعاد الثقافة 32
3.1.2. أنموذج Hofstede 37
4.1.2. أبعاد أنموذج Hofstede 40
4.1.2. 1 تفاوت السلطة 41
4.1.2. 2 تفادي الريب 43
4.1.2. 3 الفردانية/الجماعانية 45
4.1.2. 4 الذكورة/ الأنوثة 48
2.2. نظرية لولب الصمت: مراجعة الأدبيات 50
1.2.2. الميلاد، النشأة، والتطور 50
2.2.2. تعريف الرأي العام 53
2.2.2. 1 الرأي العام كصيرورة عقلانية 53
2.2.2. 2 الرأي العام كضبط اجتماعي 54
3.2.2. فروض النظرية 61
3.2. تأثير الثقافة على صيرورة لولب الصمت 65

1.3.2. إدراك مناخ الرأي السائد عبر الثقافات 65
2.3.2. الخوف من العزلة عبر الثقافات 76
3.3.2. التعبير العلني عن الرأي أو كونفورميا الرأي عبر الثقافات 81
الفصل الثالث: صياغة فرضيات البحث وتحديد إجراءاته الميدانية 93
1.3. فروض البحث وتساؤلاته 93
1.1.3. التأسيس لفروض البحث 93
2.1.3. تساؤلات البحث 108
2.3. ميدان البحث وعينته 109
3.3. الاعتبارات السيكومترية للبحث 111
1.3.3. وصف مقياس الاستعداد للرقابة الذاتية 111
2.3.3. وصف مقياس الخوف من العزلة الاجتماعية 112
3.3.3. وصف مقياس العوامل الثقافية لـ: (VSM 2013) Hofstede 115
الفصل الرابع: عرض نتائج البحث وتحليلها ومناقشتها 119
1.4. التحليل الإحصائي الوصفي للمكونات 119
1.1.4. نتائج بنود المقياس 119
2.1.4. نتائج مكونات المقياس 126
3.1.4. نتائج مستويات القيم الثقافية 134
2.4. اختبار الفرضيات والإجابة عن التساؤلات 134
3.4. مناقشة النتائج 141
خاتمة 168
المراجع 174
الملاحق 182

فهرس الجداول والأشكال

الجدول (1): الثقافات مرتبة حسب بعد السياق العالي والسياق المنخفض 36

الجدول (2): عشرة اختلافات بينالمجتمعات ذات تفاوت السلطة الكبير والصغير 43

الجدول (3): عشرة اختلافات بين المجتمعات ذات تفادي الريب الضعيف والقوي 44

الجدول (4): عشرة اختلافات بين المجتمعات الفردانية والجماعانية 47

الجدول (5): عشرة اختلافات بين المجتمعات الذكورية والإناثية 49

الشكل (1): سيرورة لولب الصمت 56

الجدول (6): توزيع أفرادالعينة حسب الجنس 110

الجدول (7): توزيع أفراد العينة حسب السن 110

الجدول (8): نتائج بنود المقياس 119

الجدول (9): نتائج بنود المقياس المتعلقة بالقبائل 121

الجدول (10): نتائج بنود المقياس المتعلقة بالشاوية 123

الجدول (11): نتائج بنود المقياس المتعلقة ببني ميزاب 125

الجدول (12): نتائج مكونات المقياس 126

الجدول (13): نتائج بنود مكون الرقابة الذاتية 127

الجدول (14): نتائج بنود مكون خوف العزلة 129

الجدول (15): نتائج بنود مكون تفاوت السلطة لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث 130

الجدول (16): نتائج بنود مكون الفردانية/الجماعانية لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث 131

الجدول (17): نتائج بنود مكون تفادي الريب لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث..... 132

الجدول (18): نتائج بنود مكون الذكورة/ الأنوثة لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث 133

الجدول (19): مستويات القيم الثقافية الأربعة لدى الجماعات الثقافية 134

الجدول (20): مستويات القيم الثقافية الأربعة لدى الجماعات الثقافية 136

الجدول (21): علاقة العوامل الثقافية بالاستعداد للرقابة الذاتية 136

الجدول (22): علاقة العوامل الثقافية بالخوف من العزلة 137

الجدول (23): العلاقة بين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية في المجتمع الجزائري والجماعات الثقافية.... 139

الجدول (24): الارتباطات بين العلاقة (WSC-FSI) والعوامل الثقافية 140

مقدمة

> *''The culture in which individuals are socialized influences the way they communicate.''*
>
> William B. Gudykunst (1997, p. 327)

يذهب أغلب الباحثين أن طرق تفكير الفرد وإدراكاته، اتجاهاته ومشاعره، سلوكاته الفرد هي في جزء معتبر منها نتاج ثقافته التي نشأ فيها. وعليه، بديهي إسهام العوامل الثقافية في إنشاء السياقات التي قد تحفز أو تشكل من جهة، ومن جهة أخرى، قد تكبح أو تمنع كثيرا من السلوكات، الميكانيزمات، الصيرورات الاتصالية.

ورغم هذه الأهمية البالغة للثقافة إلا أن البحوث الاتصالية وبحوث الرأي لا تزال في الغالب الأعم تتجاهل هذا العامل. ربما يعود لهيمنة المقترب أو التوجه النفسي-الاجتماعي في بحوث الاتصال (social-psycholgy tradition)، على سائر المقتربات الأخرى في هذا الحقل (مثل المقترب السوسيو-ثقافي). تعود مقاومة هذا التوجه للثقافة في بحوث الاتصال إلى تأثره بمعتقدين أساسيين في علم النفس:1-أن الفرد هو وحدة التحليل، 2- وأن علم النفس يجب أن يكون علما طبيعيا. وقاد هذا إلى التركيز على العمليات الذهنية الأساسية لدى الفرد في تفسير السلوك الاتصالي، وتوقع أن هذه الأخيرة هي، إلى حد كبير، عامة لدى البشر. أو على حد تعبير Pepitone:

> "to be highly general, to hold across varied content domains and to hold across the widest variety of people" (Pepitone,1987, p.12).

مثل هذا التوجه التيار الغالب في بحوث الاتصال، وأسهم في تشكيل أهم مخرجات هذا الحقل المعرفي من نظريات ونماذج وبراديغمات.

غير أن هناك من الباحثين، خاصة من المهتمين بالاتصال بين الثقافات (intercultural communication)، وأخصائيي علم النفس عبر الثقافات (cross-cultural psychologists)، اهتموا بالعلاقة بين الثقافة والاتصال، خاصة مع تضافر الأدلة المتنوعة من ميادين معرفية عدة، ومن داخل علم النفس ذاته على وجود اختلافات جوهرية -بلغت مستوى لا يمكن تجاهله- بين الشعوب في مجالات عديدة، ومن بينها العمليات

الذهنية الأساسية، وتلك المتعلقة بالدوافع والسلوك(Henrich et al,2010).وقد توجه اهتمام هؤلاء الباحثين في سعيهم إلى تفسير السلوك الاتصالي(والاجتماعي في عمومه) من منظور ثقافي، بالتركيز على ما يقابل المتغيرات الثقافية الكلية على المستوى الفردي، أو على نحو أشمل بطرح تصورات للنفس(الذات) في الثقافات المختلفة(the self concept).

توجه تزداد أهميته لدى استحضار ما ردده الأنثروبولوجيون طويلا من كون أغلب النظريات في العلوم الاجتماعية هي نتاج دراسات أجريت على عينات تتشكل في العموم من طلبة من المجتمعات الغربية الغنية والمصنعة (WEIRD)، وهي عينات تتسم بخصائص غير عادية كما يؤكد Henrich et al (2010):

''anthropologists have long suggested : that people from Western, educated, industrialized, rich and democratic (WEIRD) societies — and particularly American undergraduates — are some of the most psychologically unusual people on Earth'' (p.1).

وهو واقع ينسحب على عامة النظريات الاتصالية، مما يدفع إلى التساؤل عن مدى نصيبها من القابلية للتعميم، وبالتالي يؤكد على ضرورة الاختبارات الثقافية لهذه الأخيرة.

يتمحور مشروع بحثنا في هذا الإطار، إذ يمثل محاولة لاختبار ثقافي لواحدة من نظريات الاتصال والرأي العام في السياق الجزائري الذي يتمتع بتنوع ثقافي، يؤهله –أو هكذا يفترض- إلى احتضان هكذا اختبار. ستكون نظرية لولب الصمت محلا لهذا الأخير، وهي نظرية يصدق عليها وينطبق نفس التشخيص السابق الذي خصت به غيرها من النظريات الاتصالية، من حيث اقتصارها تقريبا مولدا واختبارا على عينات محددة. الأمر الذي يجعل نصيبها من القابلية للتعميم مجهولا ما لم تختبر في ثقافات مغايرة. سنسعى إلى بحث ارتباط عدد من العوامل الثقافية بحدوث صيرورة لولب الصمت عبر عدد من الثقافات الجزئية الجزائرية، بالإضافة إلى علاقة هذه العوامل بمتغيرات أساسية في النظرية.

اشتمل بحثنا على أربعة فصول، عملنا في الفصل الأول على بناء إشكاليته مستعرضين حدود المحاولات القليلة لتناول العوامل الثقافية -في ظل واقع الإغفال الكبير- على مدى أربعين سنة من صدور النظرية ومن ثم الحاجة إلى تناولها على نحو يتجاوز تلك الحدود المسجلة في السابق. تبع ذلك تحديد لأهم مفاهيم البحث.

في الفصل الثاني، عمدنا إلى مراجعة الأدبيات الوثيقة الصلة ببحثنا، ابتداء بمفهوم الثقافة وأهم البراديغمات التي تطرح تصورا لها مركبا من عدة أبعاد، مركزين على براديغم Hofstede المعتمد في بحثنا. مرورا إلى عرض نظرية لولب الصمت كإحدى نظريات الرأي العام: ظروف النشأة، مفهومها الخاص للرأي العام، انتهاء بعرض فروضها.

وختم الفصل بمحاولة تلمس أهم تأثيرات الثقافة على لولب الصمت.

قمنا في الفصل الثالث بالتأسيس لفرضيات البحث، ثم بتحديد ميدانه ووصف لعينته، وبسط للاعتبارات السيكومترية لأدوات القياس.

أما في الفصل الرابع والأخير، فاستهل بعرض لنتائج المتوصل إليها وتحليلها إحصائيا، ليتبعه اختبار لفروض البحث، ثم مناقشة لأهم النتائج المتوصل إليها على ضوء الأدبيات العلمية المتعلقة بالنظرية والسياق الاجتماعي الثقافي الجزائري، مع صياغة توصيات لقادم الدراسات.

الفصل الأول

بناء إشكالية البحث وتحديد المفاهيم

1. بناء الإشكالية:

تذكرنا Neumann في كتابات لها عن نظريتها لولب الصمت،" أن أيّة نظرية عن الرأي العام ينبغي أن تكون قابلة للتطبيق على المستوى الدولي".

«*Any theory of public opinion must be applicable internationally*» (Neumann, 1993.p.205).

وتحاجج محاولة إثبات تحقق هذه الميزة في نظريتها وإن تفاوت ذلك بين السياقات فتقول:"توجد ظاهرة دوامة الصمت في كل المجتمعات الإنسانية. من الممكن أن تتفاوت المجتمعات في درجة خوف أفرادها من العزلة، لكن كل المجتمعات تتضمّن ضغوطا نحو التماثل ويعمل الخوف من العزلة على جعل هذه الضغوط فعلية"

> « « *Spiral of Silence phenomenon exists in all human societies. It is possible that societies Differ in the degree to which its members fear isolation, but all societies contain pressures to conform and the fear of isolation makes the Spiral of Silence pressures effective* » »
>
> (Neumann, 1984, p 6).

وفي موضع آخر تؤكد Neumann أن الرأي العام الذي تتصوره هو مسألة كلام وصمت ويتأثر بالثقافة.

> «« *people's public outspokenness is influenced by culture. Different cultures have different ways of dealing with conflicts between a dominant public opinion and private conviction* »».
>
> **N**eumann (1993, p 6).

إلا أنه رغم تذكير Neumann وتأكيدها على أهمية العوامل السياقية في تحديد القوة التفسيرية للنظريات، إلا أن مراجعة الأدبيات التي تناولت النظرية وتطبيقاتها المختلفة والمتنوعة وعلى مواضيع متعددة، وظّفت فيها مفاهيم متباينة واستخدمت مناهج شتى على غرار قانون أصحاب الحقوق (Affirmative Action,Moy & Domk &Stamm,2001) بالو.م.أ، الشذوذ الجنسي والزواج بين الأعراق (Lars,Waipeng,Benjamen,2001) بسنغافورة، التدخل العسكري في الصومال بالولايات المتحدة وتوقيت الانتخابات الرئاسية في تايوان: دراسة مقارنة(Huang,2005)، الانتخابات الرئاسية بالمكسيك (Neuwirth,2000)، مستقبل الأراضي المحتلة (Shamir,1997) في إسرائيل، مشروع توحيد الكوريتين (Kim et al,2004) في كوريا الجنوبية، التطبيع مع إسرائيل (عادل عبد الغفار خليل،2003) بمصر، الموقف من الرئيس بوتفليقة وسياساته (بلعموري،2009) بالجزائر..إلخ؛ أفضت في عمومها إلى نتائج متباينة وتأييد محدود لفروض النظرية، يمكن للباحث من خلالها أن يستشف الحاجة إلى دراسات تتناول هذه النظرية على نحو مقارن في سياقات ثقافية مختلفة.

وما يبرّر الحاجة لمثل هذه الدراسات المقارنة هو أوّلا الوقوف على حصاد عقود من التطبيقات التي تناولت النظرية، وتجاوز نوع من القصور في فهمنا لسيرورة تشكل الرأي العام وتغيّره وتأثيره؛ وهو الأمر الذي أبرزته مراجعتان شاملتان(meta-analysis) لنتائج تلك التطبيقات والاختبارات للعلاقة الأساسية للنظرية (Glynn & Huge ,2011 Glynn et al,1997 ;). وعلى الرغم من الأهمية التي اكتستها هاتان المراجعتان، إلاّ أنهما لم تعنيا بأي علاقة أو تأثير لاختلاف السياقات الثقافية في تحديد النتائج. هذا الاختلاف والتباين في النتائج وقلة التأييد لفروضها-ربما ضمن عوامل أخرى- هو ما فتح عليها باب الانتقادات واسعا، ليتوجها – على أهميتها- كأحد أكثر النظريات الخلافية، كما أجج الدعوة لسلوك مقاربات بديلة في اختبار النظرية: مفاهيميا ومنهجيا.

وأمام هذه الحالة، اتجه (Scheufele & Moy(2000، في مراجعتهما المتميزة للتراكم المعرفي الذي ارتبط بالنظرية على امتداد خمس وعشرون سنة، إلى الدعوة بضرورة توجيه مجهود البحث نحو الاهتمام بالعوامل الثقافية لدى اختبارنا للنظرية، وقد أشارا في هذا الشأن بقولهما:

« « A question that has remained virtually unanswered concerns wether the spiralof silence is a universal or a cross-cultural phenomenon » ».(Scheufele & Moy ,2000.P.17).

وتعزيزا لوجاهة هذا التوجه البحثي، اقترحا جملة من المتغيرات الثقافية المفترض ارتباطها بسيرورة لولب الصمت على غرار مفهوم الفردانية/ الجماعانية(Triandis,1988)، أساليب إدارة الصراع عبر الثقافات (Rahim,1983)... وأوصيا بوجوب سلوك قادم الدراسات لدروب بحث جديدة للولب الصمت -يرونها واعدة- تتصدرها العوامل الكلية (الماكروسكوبية)، وتحديدا الدراسات المقارنة بين الثقافات(cross-cultural studies)

« *Rather than focusing on the existing theorizing, we argue for the inclusion of more macroscopic variables in of spiral of silence research.*

A stronger focus on macroscopic variables and stronger emphasis on cross-cultural research has the potential to promote theory-building in this area » **».** (Scheufele & Moy,2000.P.21)

وقد وجدت هذه الدعوة لها صدى في عدد من الدراسات؛ غير أنها تركزت أساسا في مقارنات بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الأسيوية، وكان يحدوها في ذلك احتفاء الباحثين عبر الثقافات (cross-cultural scholars) وخاصة المهتمين بالاتصال عبر الثقافات (intercultural communication) بمفهوم الفردانية/ الجماعانية بصفته- من جهة- أحد أبرز العوامل الثقافية التي تميز المجتمعات الغربية ذات التوجّه الفرداني عن المجتمعات الأسيوية الشرقية ذات التوجّه الجماعاني. بالإضافة الى ذلك ارتباط هذا المفهوم بمفهوم الامتثال (conformity) ذي المكانة المحورية

في سيرورة لولب الصمت. وعليه، كان من المتوقع أن تلقى النظرية تأييدا أكبر في المجتمعات الآسيوية التي تتميّز بمستويات من الامتثال الاجتماعي (social conformity) أعلى من مستويات نظيرتها الغربية.

اقتصرت تلك الدراسات على مقارنات ثنائية مثل دراسة Park (1998) الذي اختبر فيها النظرية على ثلاثة قضايا في كوريا الجنوبية (المساعدات الاقتصادية لكوريا الشمالية، عقوبة الإعدام لـDoo-Hwan، الشذوذ الجنسي في كوريا) وعن ثلاث قضايا في الولايات المتحدة الأمريكية (تقنين المارخوانا، الانتحار بمساعدة الطبيب، الشذوذ الجنسي في الو.م.أ). وخلصت دراسته إلى تسجيل مستويات من الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي لدى الأمريكيين أعلى من نظرائهم الكوريين. كما وجد مظاهر تصلّب (hardcores) أكبر لدى الأمريكيين منه لدى الكوريين في مختلف القضايا المتناولة.

أما Lee et *al*. (2004) فقد انتهت دراستهم التي تناولت قضيّتي الزواج بين الأعراق والشذوذ الجنسي في سنغافورة والو. م. أ، إلى تأييد للنظرية في الأولى دون الثانية. وفي السياق ذاته، توصل Huang (2005) إلى نتائج مماثلة حين اختبر النظرية على موضوعين مختلفين: تاريخ الانتخابات الرئاسية في تايوان، والتدخل الأمريكي في الصومال. ومهما يكن، يبدو من خلال مراجعة هذه الدراسات ونتائجها أنّها أدت بعدد من الباحثين إلى الإقرار بالمحدودية الثقافية للنظرية، أو بالأحرى، اقتصارها على المجتمعات الجماعانية، وشككوا في قابلية تأييد فروض Neumann في المجتمعات الفردانية، وفي الو. م. أ على وجه الخصوص (Fung & Scheufele,2014 ; Detenberg & Rosenthal ,2014 ; Price and Allen,1990).

لكن يبقى أن هذه النتائج والأحكام التي استندت إليها تظلّ هي الأخرى محل شك عند معاينة جملة من العيوب التي اكتنفتها عند محاولات اختبار النظرية عبر الثقافات أو ما سماه Matthes & Hayes(2014) مشكلا جديا في تلك الدراسات. وهي في الحقيقة عيوب وصعوبات تكتنف كل اختبار ثقافي للنظرية، أشار إليه عدد من الباحثين وعلى رأسهم Scheufele & Moy (2000) في دعوتهما السابقة. ويحيل الكلام هنا إلى مشكل القابلية

للمقارنة بين الثقافات (cross-cultural comparability problem)؛ وهو ما يمكن أن يفسّر الفقر في هذا النوع من الدراسات؛ بحيث يؤكد Halloran (1981) في هذا الصدد بقوله:

> *« …the same problem of commensurability confronting cross-national comparisons of spiral of silence research. Genuine comparability, of course, can be achieved by the application of carbon-copy like process» (Halloran,1981. Quoted In Scheufele & Moy,2000, p11).*

وبالفعل، تقتضي مثل هذه الدراسات ضبطا مفاهيميا وإجرائيا للمتغيرات الأساسية (مثل: الوضعيات الافتراضية للتعبير العلني عن الرأي) بصورة تتناسب وطبيعة كل مجتمع وثقافة التعبير عن الرأي فيه؛ فالثقافات لا تشترك في الوضعيات والأزمنة التي يكون فيها التعبير عن الرأي محبذا أو ملائما بنفس الشكل. وهذا المسلك يفضي بنا إلى استعمال قياسات مختلفة عبر الثقافات لهذا المتغير أو غيره، وهو ما يجعل مقارنة النتائج المتوصل إليها عبر الثقافات صعبة إن لم تكن مستحيلة.

ونواجه المشكل نفسه تقريبا حال اختيار القضية محل الاختبار: فلربما ما كانت قضية خلافية، مشحونة قيميا، ومتداولة إعلاميا في مجتمع ما لا تكون كذلك- أو على الأقل بنفس القدر- في مجتمع أو ثقافة أخرى (المواصفات التي اشترطتها Neumann في القضايا)، وهذا ما يفسر-ربما- عدم تأييد فروض النظرية في المجتمعات الفردانية. (Mattes & Hayes,2014).

لتجاوز مشكل القابلية للمقارنة بين الثقافات ينبغي إذن استخدام قياسات مستقلة عن كل سياق، أي استخدام قياسات لا ترتبط بوضعيات أو بقضايا بعينها، من قبيل السمات الشخصية على النحو الذي نحاه Mattes et al. (2012). فالسمات الشخصية تمثل اتجاهات عامة ثابتة، تتفاوت طبعا عبر الثقافات، لكن مستقلة عن ملابسات أو حيثيات أي قضية أو وضعية وخصوصياتها في مجتمع أو ثقافة ما. ويسترسل هؤلاء الباحثون

مؤكدين أنّه لكي يتأتى اختبار سيرورة لولب الصمت عبر الثقافات، على نحو يتجاوز حدود وإشكالات القضايا والسياقات، يجب اللجوء إلى استخدام أدوات قياس صادقة بمعزل عن القضايا والسياقات، مثل السمات الشخصية.

> « « *if we are to demonstrate spiral of silence processes independent from issue choice and context, then we need to find measures that are valid across issues and contexts, such as traits* » »
> (Mattes et al,2012)

وانطلاقا من هذا المنظور، فإنّ إشكالية البحث الحالي تتّخذ من اقتراح المقاربة الاستعداداتية (dispositionnal) appraoch لـ Mattes et al., (2012) وبالتحديد فيما يرتبط بمتغيّري الخوف من العزلة (Hayes et al,2013) والاستعداد للرقابة الذاتية (Willingness to Self-Censor: WSC. Hayes et al,2005) كميكانزمين أساسيين في تكوّن السيرورة وتطوّرها. ويستند هذا الاختيار على عدة أمور، أولا: اعتبار الخوف من العزلة الميكانيزم المحرك لسيرورة لولب الصمت، فهو من يبعث على مراقبة مناخ الرأي ومحاولة إدراك كيفية توزع الآراء، وبالتالي يفجر سيرورة لولب الصمت. إذ يحيل تفاوت الأفراد في الخوف من العزلة إلى تفاوت في مدى اهتمامهم ورصدهم لمناخ الرأي السائد، كما يتفاوتون بمدى تأثرهم به في حالتي الموافقة والمخالفة. وبدوره يتفاوت تأثرهم بذلك أو استجابتهم له في صورة تعبير علني عن آرائهم أو رقابة ذاتية، التي بدورها تعرف استعداداتهم لها- كأحد الفوارق الفردية- تفاوتا بين الأفراد. يذهب(Mattes & Hayes (2014 في هذا الاتجاه في تفسير وتبرير اختيارهما:

> «*If some people generally and across situations fear social isolation more than others, then these people should also generally and across situations self-censor their opinions in the face of hostile opinion surroundings* ».

فوق ذلك، يكتسي العمل على السمات أو الاستعدادات أهمية بالغة، ذلك أننا بصدد المسك- أو محاولته على الأقل- بخصائص ثابتة نسبيا عبر الزمن، ولا ترتبط بحيثيات وضعية ولا تختص بطبيعة قضية، وهو ما يوفر بديلا محترما عن اختبار النظرية في وضعيات افتراضية لا حقيقية كما درجت عليه أغلب التطبيقات السابقة، والتي أفضت في

كثير من الأحيان إلى تأييد محدود لعلاقة كان يفترض حدسا (intuitively) أن تكون قوية على حد قول Neumann.وهذا راجع إلى استحالة استشعار الفرد لحقيقة الضغوط الاجتماعية المحدقة بسلوك التعبير عن الرأي لدى سؤاله عن مدى استعداده له في وضعيات افتراضية، ذلك أن الأفراد قد لا يقدّرون قوة الوضعية قدرها، ويهوّنون من شدة عزوفهم عن التعبير علنا عن آراء لا تحضى بشعبية (Hayes et al,2000).لذلك توفر استراتيجيتنا مخرجا مناسبا من مأزق الوضعيات الافتراضية.

وعليه، يبدو وجيها جدا تناول العلاقة بين المتغيرين- السمتين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية، وتغيراتها عبر الثقافات كاختبار ثقافي للولب الصمت، وفحص مدى قابليتها للتعميم. طبعا هذه ليست الطريقة الوحيدة لاختبار النظرية في البلد الواحد، كما أننا لا نزعم بحال أننا بصدد اختبار إمبريقي شامل للنظرية في كل تعقيداتها وجوانبها وافتراضاتها، وهو الأمر الذي لم يتأتى للعديد من الباحثين. ولكننا نعتقد عبر اختيارنا هذا أننا نمسك بعلاقة أساسية، من بين أخريات، في النظرية، متتبعين ارتباطاتها عبر الثقافات، ومدى قابليتها للتعميم عبرها. وهو ما يمثل الميزة التفضيلية لاستراتيجيتنا هذه.

من ناحية أخرى، يسجل أن أغلب الدراسات التي اختبرت نظرية لولب الصمت عبر الثقافات اقتصرت على تناول متغير الفردانية/الجماعانية للأسباب التي قدمنا. في حين، لم يتم إقحام متغيرات ثقافية أخرى، طبعا في حدود ما اطلعنا عليه من أدبيات، رغم جدارتها-في نظرنا- بالتناول للأسباب التي سنقدم.ومعلوم بداهة أن التطبيقات التي تناولت النظرية، كان أغلبها في سياق غربي-WEIRD)، كما أن جل الاختبارات الثقافية لها كانت ضمن الثنائية الغربية- الأسيوية.ربما نادرة هي الدراسات التي تمثل شذوذا على هذه القاعدة، وتمثل دراسة Mattes et al (2012) السابقة مثالا جيّدا في جانب، لإقحامها لعشر دول في المقارنة، غير أنها اكتفت بالفردانية/ الجماعانية كمتغير ثقافي بالإضافة إلى متغير مستوى الرسوخ الديمقراطي للنظام السياسي السائد كمتغير ماكروسكوبي آخر.

سنسعى في بحثنا هذا إلى تجاوز هذا القصور في دراسات النظرية، وذلك بتناول عوامل ثقافية أخرى بجانب متغير الفردانية/الجماعانية: تفاوت السلطة، تفادي الريب، الذكورة/ الأنوثة. كما أن الجماعات الثقافية (الثقافات الجزئية) في الجزائر هي السياقات التي ستكون محلا لاختبارنا الثقافي للنظرية.

2- تحديد مفاهيم البحث:

2-1-الخوف من العزلة الاجتماعية (isolation Fear of social):

يحيل مفهوم الخوف من العزلة الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي إلى الخوف أو القلق في وضعيات يعاني فيها الفرد الوحدة وغياب الجماعة (Gilbert, 2001;Walters, Marshall, & Shooter, 1960). أما باحثو الاتصال فيعرفونه بوصفه خوف أحدهم من أن يقيم بشكل سلبي من طرف الغير (Kennamer, 1990; Shoemaker et al., 2000). وهم بذلك يقتربون في تصورهم له مما ذهب إليه shoemaker et al (2000) عندما تبنى كتعريف له تعريف Watson & Friend (1969) لأحد أبعاد القلق الاجتماعي: الخوف من التقييم السلبي (fear of negative evaluation-FNE)، فكان أن عرفه بـ"الخشية من تقييمات الغير، القلق من تقييماتهم السلبية، تجنب وضعيات التقييم، وتوقع أن الآخرين سيقيمونه بصورة سلبية". ويسترسلان مضيفين: "أن الخوف من فقدان القبول الاجتماعي سيكون مرادفا للخوف من التقييم السلبي".

في كتابها "الرأي العام: بشرتنا الاجتماعية (1984)" تقدم Neumann مفهوم الخوف من العزلة على أنه أحد دافعين يرجع إليهما تقليدنا ومحاكاتنا للغير (الدافع الثاني هو التعلم). وهذا استنادا إلى تجارب Salomon Asch (1951,1952)، والتي عمد فيها المبحوثون (تحت ضغط إجابات خاطئة عمدا من زملاءهم-المتواطئين- في التجربة للإيهام)، لإعطاء إجابات خطؤها واضح عن أسئلة تتعلق بطول خيط مقارنة بخيوط أخرى.

وفي هذا الصدد تنص نيومان: " لدراسة التغيرات في الرأي العام، يجب النظر إلى التغيرات في الآراء الفردية مع مرور الوقت. ما الذي يمكن أن يدفع أحدهم لتغيير رأيه؟ فإما شيء جديد قد علم أو تعلم بخصوص موضوع الرأي، وإما أن الفرد يشعر بحاجة للتعبير عن رأي يتسق مع آراء الآخرين. بينما استخدم التعلم كتفسير للمحاكاة، فإن التفسير الأخير هو ما يشكل قاعدة لمفهوم الخوف من العزلة" (ذكر في: shoemaker et al,2000, p.66).

وتذكر مستعيرة من Gabriel Tarde (1969)أن الخوف من العزلة هو حاجة للقبول من الآخرين. وتضيف: "ككائنات اجتماعية، يخاف معظم الأفراد من أن يصبحوا معزولين من قبل محيطهم"(Neumann, 1977, P.144). وتؤكد في موقع آخر:" ثمة طبيعة اجتماعية للكائنات البشرية، وهي منفصلة تماما عن مجرد استخدام التعلم كتفسير للمحاكاة. طبيعتنا الاجتماعية تسبب لنا خوفا من الانفصال والعزلة عن نظرائنا، والرغبة في أن نحظى باحترامهم وحبهم".

> « « *Our social nature causes us to fear separation and isolation from our fellows and to want to be respected and liked by them* » »
> (Neumann, .1984 p.41)

وتشرح بالقول: "أن الأفراد، في معرض تفاديهم الوقوع عرضة للعزلة، يراقبون باستمرار وعناية محيطهم لتبين أي من الآراء أو نماذج السلوك أكثر شيوعا " .(Neumann,1984.p.144) وتردف في موضع آخر: "إنهم يستثمرون انتباههم هذا باقتصاد كبير.فالظاهر أن الجهد المبذول في مراقبة محيطهم يعتبر ثمنا يسيرا بالقياس إلى خطر فقد احترام ومحبة أقرانهم" (Neumann,1993.p.41).

هذا الخوف هو ما يطلق الدوامة ويعمل كمفجر للسيرورة ككل (Lin & Pfau,2007,P.156). ولئن كانت Neumann ومن تناول النظرية من بعدها قد اتفقوا على أهمية دور هذا العامل، وكثيرا ما كان محلا لدراساتهم، إلا أنهم لم يتفقوا على مفهوم واحد له، كما لم يتفقوا على تعريف إجرائي له، هذا إن تم تعريفه إجرائيا أصلا، إذ اكتفى كثير من الباحثين- بما فيهم Neumann - باعتباره افتراضا نظريا وثابتا اجتماعيا، لا متغيرا يجب اختباره وقياسه إمبريقيا. إجمالا، تفرقت بهم المفاهيم والتصورات إلى توجهين: توجه يراه سمة شخصية قارة (trait-based conceptualization)، وآخر يراه حالة ظرفية طارئة (state-based conceptualization) (Hayes,2013 ;Kim,2012).

يحيل الخوف من العزلة كحالة ظرفية إلى حالة عاطفية ترتبط باحتمال الجهر برأي لا يتمتع بشعبية. لا يقوم هذا الخوف على فوارق فردية قارة، بل يعتمد على حالات نفسية عابرة، والتي قد تقود إلى تجنب سلوكات اتصالية معينة (Neuwirth et al,2007). هكذا تصور للخوف يجعله بالطبيعة متغيرا عبر الزمن، مختصا بوضعية معينة أو قضية خلافية، راجعا للتأثيرات السياقية. بالمقابل، توجه الخوف كسمة يتصوره كخاصية ثابتة في الشخص تتجلى

في سلوكه عبر مختلف الوضعيات، أي تنعكس ثباتا عبر الزمن في السلوك (على غرار التعبير العلني عن الرأي أو الرقابة الذاتية الذين تفرزهما). كما يرى أصحاب هذا التوجه أن الخوف من العزلة يستقر عميقا في التركيبة النفسية للفرد (deep in the psyche)، ثابتا نسبيا، ليس موضوعا للتأثيرات التجريبية (not subject to experimental manipulations).

يذكر (Hayes (2003.p.442 في سياق دفعه بوجوب اعتبار الخوف من العزلة متغيرا – بدل اعتباره معطى سلفا كثابت اجتماعي- ليختبر على المستوى الفردي (بصفته خاصية شخصية يتفاوت نصيب الأفراد منها)كلاما يحيل أكثر إلى جانب السمة في هذا الأخير: "لأنه ككل عاطفة يختبرها الناس، هناك اختلافات بينهم في تواتر وشدة الخبرات والتجارب.ورغم أنه من الراجح صحة وجود قلة غير مبالين إطلاقا برفض الغير لهم ونبذهم إياهم- لا شك أن الخوف من العزلة راسخ عميقا في جينات الإنسان- فإنه في حكم الأكيد أن بعض الأشخاص يمتلكون ميولات لخوف العزلة أقوى من غيرهم، بمعزل عن محل مولدهم أو نشأتهم". وقد كانت Neumann منفتحة اتجاه هذه الفكرة من خلال مفهوم الطليعة (the avant-garde) أو النواة الصلبة (the hardcore) لديها، وهم الذين "لا يعرفون خوفا من العزلة الاجتماعية إطلاقا، أو قد تمكنوا من تجاوزه" (Neumann,1993,P.139). فهؤلاء –حسبها- يجهرون بآراءهم بمعزل عن تراوحها بين أقلية وأغلبية. وهو بمثابة اعتراف منها أن بعض الأفراد يعبؤون أقل من الآخرين بالعزلة. كما أنها في أطروحة غير منشورة عمدت إلى قياس الفوارق الفردية في القابلية للحرج (embarrassability) كبديل عن الخوف من العزلة (Neumann, 1993, pp. 214-215).

مما تقدم، سنتبنى في بحثنا هذا مفهوما للعزلة على أنه سمة شخصية أو أحد الفوارق الفردية (بالمعنى الذي قدمنا) التي قد تنعكس على تفاوتهم في الاهتمام بمناخ الرأي السائد ومن ثم على قابليتهم للتأثر به على مستوى السلوك.

1-2-2-الاستعداد للرقابة الذاتية (willingness to self-censorship):

يستعرض (Mattes & Hayes (2014 في ختام دراسة بعنوان: الألغاز المنهجية في بحوث لولب الصمت (the methodoligical conundrums in spiral of silence research) عددا من الإشكالات التي اكتنفت

التحديد المفاهيمي والتعريف الإجرائي للمتغير التابع الأساسي في النظرية: الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي، والتي تقتضي حسبهما معالجة عاجلة. ففضلا عن مطالبتهم بتجاوز الوضعية الافتراضية بإعداد اختبارات أكثر صرامة توفر للمبحوثين إمكانية التعبير عن آراءهم في سياق حقيقي حيث يتم تغيير مناخ الرأي تجريبيا أو قياسه بشكل بعدي. في مثل هذه السياقات يمكن أيضا تغيير "مستوى علانية" (publicness) سلوك التعبير عن الرأي، مجهولية الجمهور (audiance anonimity)، حجم الجمهور الحاضر، وقدرة الجمهور الحاضر على إبداء رفضه أو مخالفته. بجانب هذا، هناك حاجة أمس للتحقق من الصدق المفاهيمي والثبات لمختلف قياسات التعبير العلني عن الرأي تلك.

> *« « With the current state of the literature, it remains to be demonstrated that hypothetical measures can capture how people actually behave in real public situations. Therefore, a more rigorous test would require that people are given the possibility to express their views in a true conversational setting where the climate of opinion is either varied experimentally or measured post-hoc. Such settings could also vary the "publicness" of an act of opinion expression, the anonymity of subjects, the size of the audience that is present, and the ability of the audience to demonstrate open disapproval. Even after 40 years of scholarship, such designs are urgently needed to test this aspect of the theory (see Hayes et al., 2010, for a recent exception). Besides, more efforts are needed to establish the reliability and construct validity of these various measures of willingness to speak out* » ». (Mattes & Hayes,2014. P.58).

يتصل بهذا ما ذهب إليه Hayes et al (2005) قبل أكثر من عقد، لدى وقوفه على نتائج المراجعة الشاملة التي أبانت عن علاقة ضعيفة بين إدراكات مناخ الرأي السائد والاستعداد للتعبير العلني عن الرأي، وهي العلاقة التي– حسبه وحسب Neumann- كان المفروض حدسا أن تكون قوية. وفي تفسيره لهذه النتيجة أشار إلى تواتر اعتبار الباحثين تساوي تأثر الأفراد بمناخ الرأي السائد حال تعبيرهم (أو عدمه) عن آراءهم. وعلى خلاف ذلك

رأى أنه قد يكون بالفعل تأثير كبير لمناخ الرأي على أفراد، بينما لا يكون تأثير مماثل أو لا تأثير إطلاقا. ويسترسل مفصلا: "يوجد أفراد مسهلون للولب الصمت (spiral facilitators)، يستخدمون معلوماتهم عن مناخ الرأي السائد عند همهم بالتعبير عن آراءهم، فيمضون أو يتراجعون بناء على إدراكاتهم له؛ بينما هناك أفراد ممانعون للولب الصمت (spiral inhibitors)، يجهرون بآراءهم بمعزل عن مناخ الرأي السائد". ويوعز إلى تجاهل هذه الفروق الفردية في التعبير أو الرقابة الذاتية (أي عدمه التعبير) محدودية التأييد الذي لقيته في الدراسات السابقة علاقة كان المفترض حدسا أن تكون قوية على الأقل عند بعض الأفراد.

وعليه، قال بوجوب اعتبار جانب السمات الشخصية أو الفروق الفردية من التعبير العلني عن الرأي أو عدمه، وسماه بالاستعداد للرقابة الذاتية. كما قال بوجود مبررات قوية تؤيد توجهه هذا نحو تبني الفوارق الفردية في تفسير الرقابة الذاتية تتجاوز المتغيرات الوضعياتية، نذكر فيما يلي جملة منها: بحوث الكونفورميا الكلاسيكية (وهي شكل من أشكال الرقابة الذاتية)، التي تفيد نتائجها المتواترة بسلوك الأفراد على نحو يتعارض مع إدراكاتهم و/أو معتقداتهم تحت وطأة الضغوط الاجتماعية (Asch,1951 ;Crutchfield,1955). غير أن هذا التركيز على الكونفورميين بدل اللاكونفورميين (nonconformists) الذي يتصرفون على نحو ما يدركون ويعتقدون دفع باحثين للدعوة لتحديد سمات "الشخصية الكونفورمية" (conformist personality)، لتمييزها عن أولئك الذين يصدرون أحكامهم غير آبهين بآراء الغير (مثل: Barron,1952 ;Crutchfield,1955,1964 ;Mann,1959). بجانب هذا، تفيد دراسات حديثة بإمكانية التنبؤ بالكونفورميا من خلال فروق فردية على غرار الخجل(shyness)، القلق الاجتماعي (social anxiety) (Santee & Malasch,1981 ; Malash & Santee & Wade,1982).

والتي ترجح إجمالا أن ما يحمله الأفراد معهم (من سمات شخصية) إلى وضعية ما يلعب على الأقل دورا في كيفية الاستجابة للضغوط الاجتماعية على التعبير العلني عن الرأي.

دليل آخر يدعم هذا التوجه يستمد من بحوث Maslach وزملاؤها عن الشخصية المتفردة (individuating prsonality) (Maslach,Stapp & Sante,1985). إذ تجادل أن هناك أفراد يسعون أكثر من غيرهم للتميز عن

الآخرين. كما طورت مقياسا للتفرد (individuation scale) لقياس استعدادات الأفراد للانخراط في سلوكات تميزهم عن الغير. وأبانت بحوثها أن الفوراق الفردية في الاستعداد للتفرد تؤثر في كيفية سلوك الأفراد في وضعيات ضغوط، أين تمارس فيها ضغوط للتوافق.

سبق التنويه إلى ما يمكن أن يعتبر اعترافا من Neumann بعدم جنوح كل فرد للصمت حال استشعاره تبنيه لرأي الأقلية إزاء قضية ما، في إشارتها لفئة النواة الصلبة(the hardcore) الذين"يمكن أنهم تعودوا على العزلة"(« may get accustomed to isolation » Neumann,1974 ,p.48,49) أو "يرونها ثمنا واجب الدفع"(«they regard isolation as the price they must pay » (Neumann,1993 ,p.170) مقابل الجهر بتأييد رأي أقلية؛ أو فئة الطليعة الذين إما لا يعرفون إطلاقا خوفا من العزلة أو أنهم تمكنوا من تجاوزه''(« who either know no fear of isolation or they overcom it » (Neumann,1993 ,p.139). كما نقلت Neumann (1993,p.215) نتائج تفيد أن التعبير عن الرأي يمكن التنبؤ به انطلاقا من قابلية الفرد العامة للحرج (person's general susceptibility to embarrassement) معترفة كيف يوضح ذلك أن الأفراد يختلفون في مدى قابليتهم لتهديد العزلة الاجتماعية.

معلقا على هذا، يرى Hayes (2005a) في كتابات Neumann هذه اعترافا منها بوجود فوارق فردية من شأنها الحيلولة كليا دون صمت آراء لا تتبناها الأغلبية. يتفق هذا مع ما أظهرته نتائج بحوث حديثة في الاتصال والرأي العام من كون الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي في محيط مخالف يمكن تفسيره بمتغيرات على المستوى الفردي من قبيل الخوف العام من العزلة الاجتماعية وخشية الاتصال (communication apprehension) (بلعموري،2009 ؛; Wilnatt et al,2002).

ترتيبا على ما سبق، صاغ Hayes et al (2005a) تصورا لمفهوم مقابل للاستعداد للتعبير العلني عن الرأي، أسموه الاستعداد للرقابة الذاتية كفرق فردي أو سمة شخصية، وأرفقاه بأداة لقياسه. (Hayes et al,2005a, 2005b) وعرفاه بوصفه "كتم الفرد لرأيه الحقيقي أو حجبه عن جمهور يعتقد أنه لا يوافقه ذلك الرأي".

« « *whthholding one's true opinion from an audience perceived to disagree with that opinion* »» (Hayes et al,2005a, p.2).

ويقوم هذا التعريف حسب أصحابه على اعتبارات معينة يجب أن تراعى وتوضح، أهمها:

أولا: يركز هذا التعريف على إدراكات آراء الجمهور ومدى التوافق بين هذه الإدراكات وآراء الأفراد. فالفرد الذي لا يعبر عن رأيه، ولا ويتخذ هكذا قرار عن معرفة حقيقية أو مزعومة موهومة بآراء الجمهور، لا يمكن اعتباره ممارسا لرقابة ذاتية على نحو ما عرفت أعلاه. فمثل هذا العجز عن التعبير عن الرأي ينتمي إلى نوع من الامتناع عن التعبير عن الرأي بشكل عام. يعود تقييد التعريف على هذه الصورة لسببين: (أ) للحفاظ على اتساق بين الرقابة الذاتية من جهة والرقابة بشكل عام، والأخير مصطلح يستخدم عادة للدلالة على حجب أو مصادرة الآراء من طرف آخرين يرونها عدائية أو ضارة؛ و(ب) لإيجاد تمايز بين هذا المفهوم ومفاهيم ذات صلة بالتعبير العلني عن الرأي من قبيل الخجل وخشية الاتصال.

ثانيا: حتى يعتبر سلوك ما رقابة ذاتية يجب أن تتسنى للفرد فرصة للتعبير عن رأيه، غير أنه، لسبب أو لآخر، اختار عدم فعل ذلك. فامتناع الفرد عن التعبير عن رأيه لا يعد رقابة ذاتية ما لم تتوفر له فرصة حقيقية للتعبير عنه.

ثالثا: لا يتناول هذا التعريف دوافع الرقابة الذاتية. فثمة أسباب عديدة قد تدفع الفرد للرقابة الذاتية، منها مثلا: الخوف من العزلة الاجتماعية، تجنب نزاع، قلق حيال أذية شخص أو جرح مشاعره، توقع داعيات محتملة من قبيل فقد الوظيفة أو خطر هجوم جسدي، أو هواجس الظهور بمظهر الشاذ أو المتطرف (انظر مثلا: Hollander,1975 ;Hyde & Ruth,2002 ;Perlow,2003 ; Wyatt et al,1996). كل هذه الدوافع يمكن أن تقود للرقابة الذاتية، لكن تعريفنا لا يميز بين أي رقابة ذاتية ناتجة عن دوافع مختلفة. كما أنه لا يتضمن شرطا يتعلق بحجم الجمهور، فيمكن أن يقتصر الجمهور على فرد واحد كما يمكن أن يتسع إلى سكان البلد، وحتى العالم قاطبة.

أهمية البحث:

يستمد بحثنا أهميته ابتداء وبشكل رئيس من تمحوره حول مفهوم الاستعداد الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي. وقد تكاد تكون في حكم البديهي أهمية الرهانات المرتبطة بواقع هذا المفهوم في مجتمع ما، أي نصيب أفراده منها. ربما يأتي في صدارتها ارتباط قيام أي مجتمع ديمقراطي سوي بمدى رسوخه كقيمة ثقافية ومعيار اجتماعي يجسد حرية التعبير في مشاركة سياسية وانخراط في الشأن العام بشكل أعم، ومن ثم دخوله في صميم بناء الرأي العام.

وتتظافر أهمية بحثنا في طلبه لتفسير لهذا السلوك في العوامل الثقافية، وتحديدا في جانب القيم منها، المتسمة بالرسوخ والقرار والديمومة، والمرتبطة كما تنص الأدبيات بشكل وثيق بطرق تفكيرنا وشعورنا وسلوكنا...هذه العوامل (القيم الثقافية) على أهميتها البالغة لا تزال تعرف في السياق الجزائري إغفالا وتجاهلا كبيرا من الباحثين وهو ما يوجد قصورا كبيرا في فهم الظواهر الاجتماعية في سياقنا. وعليه، سنسعى في عملنا هذا لتسليط بعض الضوء على جانب منها...

وتتعزز أهميته أكثر لدى محاولة استلهام واحدة من أهم نظريات الرأي العام في العقود الأخيرة، التي تقدم تصورا لهذا الأخير تشكلا وتغيرا وتأثيرا عبر تفسير لسلوك التعبير عن الرأي، وهذا بغية نفاذ لفهم أعمق لهذا السلوك في سياقنا، بعيدا عن الكليشيهات والتفسيرات السطحية الرائجة.

الفصل الثاني

مراجعة الأدبيات

نستهدف في هذا الفصل مراجعة جانب من الأدبيات التي نراها وثيقة الصلة بموضوع بحثنا. نستهلها بمحور أول عن الثقافة محاولين استعراض ما نراه أبرز المحاولات التي سعت إلى تحديد مفهوم لهذا المصطلح. يتلو ذلك طرح لأهم البراديغمات المقترحة في تصنيف الثقافات وتقسيمها إلى أبعاد قيمية تشترك فيها، كما تتفاوت في مستواها منها. نختتم هذا المحور بعرض مفصل لأبعاد الأنموذج الذي تبنيناهفي بحثنا من بين تلك التي استعرضناها، ألا وهو أنموذج Hofstede.

في المحور الثاني، عرجنا لطرح مقتضب لجانب من أدبيات نظرية لولب الصمت: النشأة، والتطور. تلى ذلك، بسط لمفهوم الرأيالعام كما تتصوره صاحبتها، بالنظر إلى كونها نظرية تعنى بشرح كيف ينشأ الرأي العام وويؤثر ويتغير. وانتهاء بطرح أهم مقولات وفروض النظرية حسب آخر إصدراتها.

في المحور الثالث، وتبعا لإشكالية بحثنا المتمحورة حول الاختبار الثقافي للنظرية، عنينا في هذا المحل بالعوامل الثقافية وكيفية ارتباطها بفرض أساسي من فروض النظرية. بعبارة أخرى، حاولنا تتبع كيف تتأثر السيرورة الموسومة بدوامة الصمت- ممثلة في ثلاثة من أهم المتغيرات المكونة لها- بالتوجهات أو الخصائص الثقافية لثقافة أو لجماعة ثقافية؟ وعليه، قمنا ومن منظور ثقافي بتناول كل من إدراكات مناخ الرأي، الخوف من العزلة الاجتماعية، وكنفورميا الرأي، أي كيف تتجلى وتتصور في الثقافات، ويتفاوت الموقف منها بينها، وطبيعة وشدة تأثيرها.

2-1-الثقافة وأبعادها: أنموذج هوفستيد نموذجا

2-1-1-مفهوم الثقافة:

تمثل الثقافة أحد أكثر المصطلحات شعبية وأكثرها استعمالا في المجتمعات المعاصرة. يشهد لذلك عبارات من قبيل الاختلافات الثقافية، التنوع الثقافي، الخصوصية الثقافية، ثقافة المؤسسة،.. وغيرها مما تعج به بشكل مستمر المضامين الإعلامية كما الأحاديث البينية. على الصعيد الأكاديمي تتنازع هذا المصطلح حقول معرفية عدة، كل منها يتناول الثقافة في علاقتها بموضوع بحثه على غرار إدراة الأعمال، علم الاجتماع (ثقافة المنظمات)، الأنثروبولوجيا (ثقافة القبائل والجماعات الإثنية)، العلوم السياسية العلاقات الدولية (ثقافة الدول)، وعلوم الاتصال (الاتصال بين الثقافات)، بالإضافة إلى علم النفس (تصور النفس عبر الثقافات self-concept cross-cultures)، التربية، التسويق، العلاقات العامة، الإشهار.. وهو ربما ما يؤشر لوعي متزايد بأهمية هذه الأخيرة في الحياة اليومية للأفراد كما المؤسسات.

هذا الاستخدام الكثير والمتنوع لهذا المصطلح في شتى العلوم الاجتماعية ترتب عنه إنتاج لعدد معتبر من التعاريف، بلغت حسب عالمين أنثروبولوجيين بارزينAlfred Kroeber و Clyde Kluckhohnسنة 1952 حدود160 تعريفا- اتسمت في عمومها بالتجريد والتعقيد (MCdaniell et al, 2012)- سعى من خلالها الباحثون طويلا لتحديد مفهوم له، ليتوج هذا الأخير كواحد من أكثرالمفاهيم العصية على التحديد في العلوم الاجتماعية(Jahoda,1924).

> « « *Culture is one of the most elusive terms in the vocabulary of the social science* » »
> (Jahoda, 1984. quoted In (MCdaniell et al,2012).

تعود إلى سنة 1871 كتابة ما يوصف عادة على أنه واحد من أوائل التعريفات للثقافة وأيسرها فهما- والذي لا يزال مستخدما بل مرجعا إلى يومنا- من طرف عالم الأنثروبولوجيا البريطانيSir Edward Burnett والذي قال إن الثقافة: "*ذلك الكل المعقد والذي يشمل المعرفة، الاعتقاد، الفن، الآداب، القانون، العرف، وسائر القدرات والعادات المكتسبة من طرف الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع*"(. (quoted In(MCdaniell et al,2012)

ومذ ذاك التاريخ إلى يومنا كانت الثقافة كمفهوم ولا تزال عرضة لمحاولات الإمساك والتحديد:

« « *the culture concept has been examined, poked at, pushed, rolled over, killed, revived, and reified ad infinitum…* » » (Lonner, 1984, p. 108. Quoted In (Triandis,2012)).

تعريف آخر للثقافة ساقه Kluckhohn (1961) سجل فيه:

« « *Culture consists o f patterned ways o f thinking, feeling and reacting, acquired and transmitted mainly by symbols, constituting the distinctive achievement o f human groups, including their embodiment in artifacts ; the essential core o f culture consists o f traditional (i. e. , historically derived and selected) ideas and especially their attached values* » » (p. 73).

(Quoted In (Hosfstede et al,2010))

وتابعه في ذلك Hofstedeالذي تبنى مفهوم الثقافة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

" *الثقافة مصطلح شامل يحيل إلى* ***مجمل طرق التفكير، الشعور، والسلوك.*** *تعنى الثقافة بداهة بالنشاطات التي من شأنها الرقي بالنفس، لكنها تمتد أيضا إلى السلوكات اليومية للفرد: التحية، الأكل، إبداء أو إخفاء المشاعر، التزام مسافة معينة عن الغير، الممارسة الجنسية، الحرص على النظافة،..* "(2010). وتبعا لكونها دوما ظاهرة جماعية يشترك فيها كل الأفراد الذين عاشوا في نفس السياق الاجتماعي أين حصلوا تعليمهم فإنها حسبه تجمع القواعد غير المكتوبة للعبة الاجتماعية، إنها "*البرمجة الجماعية للنفس والتي تميز أفراد جماعة أو فئة عن آخرين من فئات أو جماعات أخرى*".

« « *Culture is the collective programming of the mind that distinguishes the members of one group or category of people from others* » ». (Hofstede,2010. p28)

حديثا عرفها (1995) Triandis على أنها جملة المعتقدات، الاتجاهات، المعايير، الأدوار، والقيم المشتركة بين الناطقين بلغة ما، الذين يعيشون في نفس الفترة الزمنية في منطقة جغرافية ما.

«*shared values, attitudes ,beliefs,behaviors ,norms, material objects,and symbolic resourses*» (Quoted In (Triandis,2012))

ونحى حسبه قريبا من هذا النحو عدد من الباحثين المعاصرين:

(مثل: Gardiner & Kosmitzki,2008 ;Jant ,2009 ;Klyukanov ,2005 ;Lustig & koester,2009 ; Triandis,2012) (.Martin & Nakayama ,2010 ; Neulip,2008 ;Oetzel,2008 ; Samavor et al ;2009

في هذا الزخم من التعاريف يصوغ (2012) MCdaniell et al تعريفا للثقافة يصفه بالعملي فيسطر:

" *توفر الثقافة القواعد للمشاركة في اللعبة الاجتماعية*".

« « *Culture provides rules for playing the game of life* » ».

(MCdaniell et al,2012.P.11)

مما سبق من تعاريف يتبين أن الثقافة هي طرق التفكير، الشعور والسلوك التي تميز جماعة بشرية عن أخرى تبعا لاشتراكها في رموز، طقوس، معايير، أدوار، أبطال، عادات، وقيم... تمثل لبنات وأركان هذه الثقافة. الثقافة بالتعريف ظاهرة جماعية تختص بجماعة بشرية، توفر لأفرادها قواعد الحياة المميزة لها حتى يتسنى لهم الحياة بيسر وفعالية. وقواعد لعبة الحياة هذه، وطرق التفكير والشعور والسلوك تلك ليست موروثة بل مكتسبة، يتعلمها الفرد منذ سنوات عمره الأولى عبر التفاعلات والملاحظة والتقليد، فيتشربها وينشأ عليها حتى ترسخ في اللاشعور، يستحضرها غالبا بعفوية للاستجابة لمختلف الوضعيات. كما أن الثقافة تتسم بقدر هائل من الرمزية، إذ عن طريق الرموز المميزة لها يتم نقل

المعاني بين أعضاء ثقافة ما، تعلم قواعد لعبة الحياة تلك، تخزينها وبالتالي حفظها من الزوال، وتوريثها للأجيال اللاحقة.

> « « *Through communication, culture is made public and shared. It is also through culture that the forms of communication are shaped* » » (Lie, 2003, p. 13).

غير أنه يجب التنويه بتفاوت عناصر الثقافة المذكورة أعلاه أهمية وثباتا، فهناك اللبنات كما هناك الأركان، أو على حد تعبير Hofstede(2010) هناك الطبقات السطحية والطبقات العميقة. فتندرج تحت الأولى الممارسات مثل الطقوس، الرموز، الأبطال، نمط الاستهلاك، الموضة،... وهي الجانب الظاهر من ثقافة ما، والأكثر عرضة للتغيير وبصورة سريعة نسبيا، خاصة تحت تأثيرمستويات التصنيع والتكنولوجيا المتزايدة. وتندرج تحت الثانية القيم، والتي تنطوي على المشاعر الأساسية نحو الحياة والناس. وعلى عكس الأولى، لا يسري التغيير الثقافي على هذه الأخيرة إلا بوتيرةبطيئة، إذ يتشربها الأفراد في طفولتهم ويستصحبونها معهم طوال حياتهم، ويورثونها لأبناءهم كما ورثوها هم بدورهم عن آباءهم(Hosfstede,2010). هذا الاستقرار العميق للقيم هو مصدر الثبات الذي تتسم به الثقافات، وكل تغير ثقافيوإن بدا كبيرا فلا يعدو أن يكون ظاهريا سطحيا، ليس له -في الغالب- من العمق نصيب.

يذهب في هذا الاتجاه مؤكدا تأبي القيم التقليدية عن التغير Inglehart & Baker(2000) في دراسته التي شملت 65 بلدا عن مفعول سيرورة التحديث في التغيير الثقافي:

> ««*Empirical evidences from 65 societies indicate that values can and do change but also that they still continue to reflect the culture heritage*»».

في سياق ذي صلة، تتأكد أهمية القيم لدى مواجهة إشكال أي جوانب الثقافة أو عناصرهاتلك المسؤولة عن التأثيرات المفترضة، وتحديدا عن تشكيل إدراكاتنا وسلوكاتنا. في معرض نقده للتعاريف المتناولةللثقافة كمفهوم-

حزمة (package construct)، جادل (1984) Segall بلا جدوى بحث الثقافة كمفهوم مجرد نظرا لغياب مقابل إمبريقي له (empirical referent)، وأن الأولى حسبه الاهتمامبالمتغيرات الثقافية المرتبطة بتشكيل سلوكاتنا.

> « « *Our real business is to learn how behavior is shaped by (and in turn shapes) cultural and environmental variables" (p. 158). This emphasizes the importance of searching for the independent variables that might explain the varieties and constancies of human behavior, instead of tackling abstract culture concept as a whole package: "So who needs a package? The goodies are inside* » » (p. 162). (quoted in Park,1998)

إزاء هذا، نسجل أنه إن كان في حكم المتفق عليه بين الباحثين- أو يكاد- أن الثقافة تؤثر على إدراكاتنا ومشاعرنا وسلوكاتنا (Hofstede,1986,2005; Gudykunst & Ting-Toomey, 1988; keesing,1974)، بل قد سبقت الإشارة أعلاه أنها بالتعريف(ماهية الثقافة) طرق التفكير والشعور والسلوك، فإن الجانب من الثقافة المسؤول عن هكذا تأثير هو المعتقدات والقيم، والأخيرة بنسبة أكبر(F. Kluchhohn,1961 ;Inglehart,1970 (Parsons,1951 ; Maznevski et al,2002;Hofstede etal,2010 ;schwartz,1999,1996 ; Park,1998)، كما أن لها تأثيرا بالغا على المعاني التي ننسبها للمنبهات التي نواجهها أو نتعرض لها في يومياتنا. بعبارة أخرى، تؤثر هذه العوامل- والقيم بشكل خاص- في كيفية إدراك الفرد لوضعية ما وتأويله لها، وحجم الأهمية التي يوليه لها (Schwartz et al ,2000). يعرف كل شخص وضعية ما على ضوء القيم الأساسية المهمة له. هذه التأويلات المختلفة يلزم عنها غالبا أفعال وسلوكات متباينة. وهكذا، فالأولويات المعطاة لمختلف القيم ستؤثر في كيف يؤول الفرد وضعية ما، كما تؤثر على أي نحو يستجيب ويسلك في ظروف ما (Schwartz 1996,).

وتعرف المعتقدات على أنها الأفكار الذاتية التي يحملها الأفراد عن طبيعة الأشخاص والأحداث؛ هذه الأخيرة هي- في جانب كبير منها- نتاج الثقافة، وتؤثر بشكل (أو غير) مباشر على السلوكات.

أما القيم فهي الأمور التي نعتبرها مهمة في الحياة مثل: الآداب، الأخلاق، الجماليات. وتستخدم القيم أساسا للتمييز بين ما هو حسن وسيء. وتعكس القيم القواعد التي ترسيها ثقافة ما للحد من الغموض، التقليل من احتمالات الصراع، الإعانة على صناعة القرارات، وتوفير بنية للتنظيم والتفاعلات الاجتماعية،...

وتمثل القيم بدورها القوى المحفزة على السلوكات. فمثلا فرد من ثقافة تعلي من قيمة التناغم في العلاقات الاجتماعية، على غرار اليابان، يرجح أن يستخدم أسلوب اتصال غير مباشر. بينما المتوقع غالبا من مواطن أمريكي أن يستخدم أسلوبا أكثر مباشرة، لأنه من ثقافة تعلي من قيمة الصراحة، وهكذا...

يتصل بما سبق على نحو وثيق ما يعرف بالاتجاهات (attitudes)، وهي ميولات مكتسبة للسلوك أو الاستجابة بطرق محددة لأحداث، أشياء، أشخاص، أو توجهات. تمارس المعتقدات والقيم – المفرزة ثقافيا كما تبين- على الاتجاهات تأثيرا بالغا.

« « *cuture can often produce different ways of knowing and dowing* » »(MCdaniell et al,2012)

عطفا على ما سبق، يهيمن على البحوث التي عنيت بتأثيرات الثقافة على الإدراكات والسلوكات مفهوم الثقافة ذو التوجه القيمي (a value-oriented concept of culture). حتى أولئك الذين حاولوا سلوك درب بديل عن هذا الأخير (peterson , 79 ; swidler,86)، انتهوا بتبني براديغم قيمي (a value paradigm) لغياب صياغة بديلة لعلاقات الثقافة السببية. يوثق Swidler(1986.p.273) حال هؤلاء:

« « *They conclude that culture influences action by providing the ultimate values toward which action is oriented(...) without an alternative formulation of culture's causal significance, scholars either avoid causal questions or admit the values paradigm through the back door* » » (Swidler, 1986, p. 273) .

انطلاقا مما سبق يتجلى لدينا أن الاختلافات أو الفوارق الثقافية ينجر عنها تغيرات أو فوارق مهمة على مستوى الإدراكات والسلوكات، فماهي جوانب الثقافة هذه – وتحديدا قيمها-التي تتفاوت عبر المجتمعات فتتفاوت تبعا لها إدراكات وسلوكات الأفراد فيها. وهو ما سنتناوله فيما يلي من مبحث أبعاد الثقافة.

2-1-2- أبعاد الثقافة:

كما سبقت الإشارة، لدى محاولة تفسير اختلاف السلوكات الاجتماعية عبر الثقافات، لن يكون للثقافة ولا للاختلافات الثقافية كمفاهيم مجردة – على أهميتها- نفع كبير في هكذا مسعى. وعوضا عن ذلك يتوجب العمل على مستوى من متغيرات ثقافية محددة لتفسير التغيرات السلوكية بين المجتمعات الإنسانية (Munroe & Munroe, 1980; Segall, 1984; Williams & Best, 1990). يذهب Gudykunts & Ting-Toomay (1988) إلى كون الدراسات المقارنة للاتصال الشخصي بين الثقافات يجب أن تؤسس نظريا بتناول الثقافة كمتغير. وقد ينسحب هذا التوجه على دراسات الاتصال عبر الثقافات عموما.

من ناحية أخرى، يسجل Hofstede (2010.p.46) أن النصف الأول من القرن العشرين تميز برسوخ قناعة لدى علماء الإثنولوجيا (أو الأنثروبولوجيون الاجتماعيون) مفادها أن كل المجتمعات، حديثة كان أو تقليدية، يفترض فيها مواجهة نفس المشاكل الأساسية، وما الاختلافات بينها إلا نتاج لاختلاف الإجابات عن هذه الأخيرة.

كنتيجة منطقية لهذه القناعة، تنادى باحثو العلوم الاجتماعية لتحديد تلك المشكل الأساسية المشتركة بين كل المجتمعات، فكان أن حفلت أدبيات الدراسات عبر الثقافات (cross-cultural studies) بنماذج عديدة مقترحة لتصنيف الثقافات وتقسيمها أو تفكيكها إلى أبعاد كلية(dimensionalizing cultures) بعدد المشاكل الكلية التيتشترك فيها- أو هكذا يفترض-عامة المجتمعات. كان تأسيس هذا التوجه على يد عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي

Clyde Kluckhohn سنة 1952م، الذي قال بوجوب وجود فئات عالمية للثقافة، معتبرا الثقافات مجرد إجابات متباينة عن نفس الأسئلة أو المشاكل الأساسية التي تشترك في طرحها أو مواجهتها عامة البشرية:

> *« « In priciple…there is a generalized framework that underlies the more apparent and striking facts of culture relativity. All cultures constitute answers to essentially the same questions posed by human biology and by the generalities of the human situations…Every society's patterns of living must provide approved and sanctioned ways for dealing with such universal circumstances as the existances of two sexes ; the helpless of infants ; the need for satisfaction for the elmentary biological requirements such as food,warmth and sex ;the presence of individuals of different ages and of differing physical and other capacities »* »(Kluckhohn,1962: 317-18).(quoted In Hofsted,2012)

اختلفت وتعددت آراء الباحثين في الشطر الثاني من القرن العشرين حول طبيعة المشاكل الأساسية للمجتمعات، والتي تقتضي وجود أبعاد (أي إجابات و/أو حلول لها) متمايزة للثقافة. نكتفي فيما يلي بعرض عينة من نماذج الأبعاد المقترحة (لمراجعة أوسع أنظر: Hofstede ,2001,29-31،).

في سنة 1954م، نشر عالمان أمريكيان، عالم الاجتماع Alex Inkels وعالم النفس Daniel Levinson دراسة تضمنت مسحا شاملا للأدبيات الصادرة بالإنجليزية المتناولة للثقافة الوطنية، أو ما أسموه آنذاك الطابع الوطني (national character)، والذي فسراه على أنه ضرب من الشخصية المعيارية في المجتمع الوطني. واقترحا اعتبار ثلاث مشاكل أساسية (أبعاد) أو كما سموها " قضايا تحليلية ثابتة... standard analytic issues" مع تداعياتها على سير المجتمعات، المجموعات، والأفراد:

- العلاقة بالسلطة (relation to authority).
- تصور الذات أو النفس، بما فيها مفاهيم الأفراد للذكورة والأنوثة (conception of self,including individual's consepts of masculinity and feminity).

- التناقضات والصراعات الأساسية وكيفية التعامل معها، و/أو تسييرها، بما فيها ضبط العدوان والتعبير عن العواطف أو كبتها. (primary dilemmas or conflicts, and ways of dealing with them, (including the control of aggression and the expression versus inhibition of affect.)

بعد عشرين سنة، يظهر براديغم آخر للأبعاد الثقافية ليؤيد إمبريقيا القضايا التحليلية الثابتة لـ: Alex Inkels وDaniel Levinson، ألا وهو أنموذج (براديغم) (Hofstede, 1980). يعد هذا الأخير أشهر النماذج على الإطلاق، وأكثرها استخداما؛ وقد قسم الثقافة إلى أربعة أبعاد (Hofstede,1984): تفاوت السلطة، الفردانية/الجماعانية، تفادي الريب، الذكورة/ الأنوثة، ثم أضاف بعدا خامسا (Hofstede ,2010) تمثل في التوجه القريب/البعيد المدى، وانتهى إلى سادس (Hofstede ,2013) تمثل في التسامح/التزمت. نكتفي ههنا بهذا القدر من عرض هذاالنموذج، إذ سنفرد له مبحثا كاملا تبعا لأهميته الذاتية البالغة في الدراسات عبر/بين الثقافات، وبالتالي اعتمادنا له في بحثنا.

يليه من حيث الأهمية، وإن كان ذا شهرة واسعة، نموذج (1994) Schwartz -عالم النفس الإسرائيلي- والذي صاغه من خلال سلاسل من التحقيقات الميدانية أجراها على 35 ألف أستاذ وطالب موزعين على أكثر من 60دولة. بدأ أولا بمقارنة الأفراد ليخلص إلى عشر قيم على المستوى الفردي. لكن لدى انتقاله بالتحليل إلى مستوى البلدان، وجد أن هذه الأخيرة تنظمها مجموعة أخرى من الأبعاد، عدد منها سبعة تستجيب لمشكلات مجتمعية ثلاث:

- المحافظة مقابل الاستقلال: الفكري والعاطفي (Conservatism versus Autonomy: affective and intellectual) وهو البعد الذي يضبط (يواجه مشكلة) علاقة الفرد بالجماعة، فإما ينمي روح الاستقلال العاطفي والفكري في الأفراد أو يؤكد على عضوية الفرد في الجماعة بل وتماهيه معها.

- التراتبية مقابل المساواة (Hierarchy versus Egalitarianism)، وهو البعد الذي يضبط (يستجيب لمشكلة) الارتباط الإنساني (human interdependance) وتوليد السلوك المنتج. وهنا تتقابل توجهات قيمية ثقافية

تحدد الطرق المشروعة والمفضلة لإدارة الارتباط الإنساني، تتراوح عموما بين طرفي "التراتبية " القائمة على واجبات والتزامات الدور والمرتبة (role obligations)، و"التوجه المساواتي" القائم على التعاون التطوعي. (voluntary cooperation)

- الهيمنة مقابل التناغم (Mastery versus Harmony)، وهو البعد الذي يضبط (يستجيب لمشكلة) علاقات الفرد بالعالمين الطبيعي والاجتماعي. فإما أن ينشأ الفرد على إثبات الذات والسيطرة على محيطه، أو على التكيف معه (لتفصيل أكثر راجع: Vaimen & Brewster,2015 ; Ficher et al,2010).

ثالث نموذج للأبعاد الثقافية نستعرضه هو لعالم الأنثروبولوجيا (1976) **Hall Edward**، وذلك لوثيق صلته بالاتصال عموما، والاتصال بين الثقافات خاصة. ابتداء يجدر التنويه أن Hall يماهي بين الثقافة والاتصال:

«« culture is cmmunication and communication is culture »»

وقد عمد إلى تصنيف الثقافات حسب طرق اتصالها إلى: عالية السياق (high context) ومنخفضة السياق (low context). بعبارة أخرى، حسب درجة صدور المعنى (رسالة الاتصال) عن الإطار-السياق(settings-context) أو عن الكلمات المتبادلة. أسس Hall تصنيفه هذا على مسلمة مفادها أن " *إحدى وضائف الثقافة هي توفير مصفاة بين الفرد والعالم الخارجي. ومن خلالها تعمل الثقافة في أشكالها المختلفة على تحديد ما نوليه اهتمامنا وما نتجاهله*"(Hall,1976, p. 85). وحسبه يتوجب فهم مصطلح السياق لاستيعاب الارتباط بين السياق والاتصال. وقد عرفه ب: " *المعلومات التي تحيط بحدث ما، وهي مرتبطة بمعنى الحدث على نحو يستحيل الفصل أو التمييز بينهما*" وقد اقترح سلما يقيس هذا البعد، وهكذا يمكن من خلاله تحديد موقع مختلف الثقافات-حسب درجة اعتمادها في الاتصال على السياق-وبالتالي إمكانية القيام بمقارنة بينها. (انظر جدول(1))

وقد عرف السياق العالي والمنخفض كما يلي:" الاتصال أو الرسالة ذات السياق العالي هي التي يكون فيها أغلب المعلومات متضمنة أصلا في الشخص، بينما القليل المتبقي منها متضمن في الجزء من الرسالة المشفر المنتقل بوضوح.

الاتصال ذي السياق المنخفض هو المقابل لهذا بالضبط، حيث تضمن كتلة المعلومات في الشفرة الواضحة الصريحة(الكلمات)".

« « A high context(HC) communication or message is one in which most of information is already in the person, while very little is in the coded, explicitly transmitted part of the message. A low context (LC)communication is just the opposit ; the mass of the information is vested in the explicit code » ». (Hall,1976, p. 91)

جدول (1) الثقافات مرتبة حسب بعد السياق العالي والسياق المنخفض.

الثقافات ذات السياق العالي

اليابانيون

الصينيون

الكوريون

الأفارقة الأمريكيون

السكان الاصليون لأمريكا

العرب

اليونانيون

اللاتينيون

الإيطاليون

الإنجليز

الفرنسيون

سكان أمريكا الشمالية

الاسكاندينافيون

الألمان

السويسريون من أصول ألمانية

الثقافات ذات السياق المنخفض

2-1-3-أنموذج هوفستيد:

يذكر Hofstede (2011,2010, 2012) أنه في سبعينيات القرن الماضي تيسر له بالصدفة تقريبا الولوج إلى قاعدة بيانات نتجت عن دراسة مسحية واسعة حول قيم الأفراد والمشاعر المرتبطة بها في أكثر من خمسين دولة حول العالم. عمل الأفراد في فروع لشركة IBM عبر العالم. شمل المسح أغلب فروع الشركة مرتين في الأربع السنوات. تضمنت قاعدة البيانات أكثر من 100 ألف استمارة استبيان. أبانت التحليلات الأولية لقاعدة البيانات على المستوى الفردي عن نتائج متضاربة، لكن اختراقا مهما تحقق عندما توجه التركيز نحو العلاقات بين نتائج متوسطات بنود المسح على مستوى البلدان، إذ بدت ملامح أنماط من الارتباطات على مستوى البلدان مختلفة بشكل صادم عما وجد على المستوى الفردي، الأمر الذي اقتضى تفسيرا مختلفا تماما. في هذا الصدد، يسجل Hofstede أن أحد مواطن الضعف في الدراسات المقارنة بين الثقافات هو عدم الوعي بالاختلاف بين مستويي التحليل: الفردي والثقافي. ويسوق كدليل على ذلك دراسة Kirkman et al(2006) الذين قاموا بمراجعة أكثر من 180 دراسة استخدمت عمل Hofstede، فوجدوا أن أكثر من النصف فشلوا في التمييز بين النتائج على المستوى الفردي والتعميمات على المستوى الثقافي، الأمر الذي قاد إلى أخطاء كثيرة في التطبيق والتفسير.

تلا هذا تأييد للنتائج السابقة بعيدا عن شركة IMB. إذ لدى طرح نفس الأسئلة على قرابة 400 من المسيرين المتربصين من أكثر من 30 بلد، لوحظ أن نتائج المتوسطات للبلدان ترتبط على نحو ذي دلالة إحصائية مع نتائج البلدان في قاعدة بيانات IMB. بناء عليه، تبدى له أن موظفي هذه الشركة المتعددة الجنسيات- نوعية خاصة من الأفراد- ربما يمكن التوسل بهم لتبين الاختلافات بين أنظمة القيم الوطنية. يعزى ذلك إلى أنهم مثلوا -من دولة إلى أخرى- عينات أقرب إلى المتطابقة فيما عدا الجنسية، وهو ما ساعد على بروز أثر الفوارق الوطنية بجلاء غير عادي. متشجعا بنتائج تحليل الارتباط (correlation analysis) على مستوى البلدان، عمد إلى القيام بتحليل عاملي (factor analysis) على مستوى البلدان دائما، فشمل التحليل العاملي مصفوفة من 32 سؤال قيمة لأربعين (40)

بلدا في مرحلة أولى، أبان عن انتظام لتلك القيم في مجموعات على نحو جد مختلف عما وجد على المستوى الفردي. أسفر تحديدا عن وجود مشاكل مشتركة لدى هؤلاء الموظفين من كل المجتمعات، تقابلها حلول مختلفة تتفق وطبيعة تنشئتهم كل في بلده(Hofstede,2010). جاءت المشاكل كالآتي:

1- اللامساواة الاجتماعية، بما فيها العلاقات بالسلطة، و/أو التبعية للمسؤولين.

2- إدارة الغموض والريب، مما يعكس مستوى من الحاجة للقواعد والقدرة على التنبؤ.

3- التوازن بين الأهداف الفردية والتبعية للجماعة أو المؤسسة، أي علاقات الفرد بالجماعة.

4- التوازن بين القيم الذاتية (مثل الحاجة للمال، وللنجاح مهني) والقيم الاجتماعية (مثل التعاون ومحيط لعيش راق).

الأولى عادة هي محل اهتمام الرجال، أما الثانية فأولويات نسائية، طبعا على تفاوت بين المجتمعات.

الملفت للانتباه أن هذه النتائج كما سلف التنويه كانت جد متشابهة مع القضايا القيمية الثابتة لـ Alex Inkels & Daniel Levinson (1954) المذكورة أعلاه. يلاحظ بجلاء توافق التبعية أو الارتباط مع المسؤولين مع الأول، الحاجة للقدرة للتنبؤ مع الثالث، التوازن بين الفرد والمؤسسة مع تصور الذات، والتوازن بين القيم الذاتية والقيم الاجتماعية مع مفاهيم الذكورة والأنوثة، والتي صنفت كذلك ضمن القضية التحليلية الثابتة الثانية.

هذه المشاكل الأساسية الأربعة المؤيدة أمبريقيا في شركة IBM لقضايا Alex Inkels & Daniel Levinson هي ما يمثل حسب Hofstede أبعاد الثقافات الوطنية، والتي عرفها:

"*جانب من الثقافة يمكن قياسه بالنسبة إلى ثقافات أخرى*"(2012)

« « A dimension is an aspect of a culture that can be measured relative to other cultures » »

نشر Hofstede نتائجه المزلزلة سنة 1980 في كتابه: "نتائج الثقافة: مقارنة القيم، السلوكات، المؤسسات، المنظمات، عبر الدول". (Culture's Consequences: Comparing Values, Behaviors ,Institutions,Organizations Across Nations). وفيه أطلق على أبعاده الأربعة مصطلحات: تفاوت السلطة، الفردانية مقابل الجماعانية،

تفادي الريب، الذكورة مقابل الأنوثة. في وقت لاحق، انطلاقا من دراسات أجراها عالم النفس الكندي Michael Harris Bond، تركزت في الشرق الأقصى، أضيف بعد خامس للأنموذج "التوجه القصير المدى/البعيد المدى"(Long-Term/Short Term Orientation) (Hofstede & Bond، 1988). وفي السنوات الأولى من الألفية الثالثة، أجرى العالم البلغاري Michael Minkov بحوثا مستخدما بيانات من المسح العالمي للقيم (World Values Servey) (Minkov,2007)، مكنت من إضافة بعد سادس للأنموذج: "التسامح/التزمت" (Iindulgence/Restraint) (Hofstede,Hofstede,Minkov,2010).

تبدو هذه المصطلحات منطبقة بشكل جد مناسب على الإشكاليات الأساسية المرتبطة بالبعد الذي يعرفها. تشكل هذه الأبعاد االستة نموذجا سداسيا يبرز الاختلافات بين الثقافات. كل بلد يحتل موقعا يميزه عن غيره البلدان تبعا للنتائج التي يحصل عليها في كل بعد من الستة (نتائج مؤشر كل بعد).

يقول Hofstede et al(2010) أن هذه الأبعاد ما هي إلا مسلك مفاهيمي لتقسيم جوانب من الواقع (realities) المعقد إلى عناصرها الأساسية المكونة لها. غير أن الميزة التفضيلية لأنموذجه-على حد قوله- مقارنة بما أنتجه كثير من المفكرين في مسعاهم لتقسيم العالم الاجتماعي إلى فئات، لم تتولد نتاج تفكير على أريكة، بل انطلاقا من بحث أمبريقي، باستخدام مناهج التحليل الإحصائي الحديثة. ورغم أنها –"الأبعاد"-كما "الثقافة" مفاهيم مركبة (construct) إلا أنها تفضلها في صلاحيتها لتفسير مختلف السلوكات والتنبئ بها.

> *« « Like 'culture', 'dimensions' are constructs. they should be "useful in predicting …observable and measurable verbal and nonverbal behaviors » ».* (Hofstede,2001).

وبالفعل، قد كان لها ذلك بل أكثر، إذ شكلت براديغما حقيقيا للبحوث الإمبريقية عبر الثقافات، على النحو الذي عرفه Kuhn (1970) : "نموذج تنبع منه تقاليد خاصة متناسقة للبحث العلمي".

> *«« A paradigm is a model from which spring particular coherent traditions of scientific Research »».*

وهو ما يشهد له الكم الهائل من الإشارات إليه وإلى كتابه المذكور أعلاه في الأعمال والمنشورات، والتي بلغت 1036 مرة في مؤشر العلوم الاجتماعية بين عامي 1980-1993 (0136 quotations in the Social Science Citation Index-SSCI). الأمر الذي يجعله من أكثر الأعمال ذكرا في أدبيات العلوم الاجتماعية عموما، ومن صاحبها من أكثر الباحثين تأثيرا خاصة في الدراسات عبر الثقافات. والذي بدوره يشي بحجم القبول الاستثنائي الذي حظي به بوصفه أهم إطار نظري يقود البحوث المقارنة بين الثقافات (Chung,2001، Sondergaard,1994، Chandy & Williams,1994، Clugston et al,2000، Kiekman & Shapiro,2001، Randall,1993) (quoted In (Cohen,2007)).

وأكثر من ذلك، ذاك النوع من الإجماع أو نحو من ذلك الذي تحصل أو يكاد لمقياسه للقيم الثقافية (cultural Value Module-VSM) (Cohan,2007).

ومع كونه لم ينسب لبراديغمه صفة المقاربة الصحيحة الوحيدة، لكن يلاحظ أن سائر المقاربات التي جاءت بعده لم تبتعد كثيرا عن نموذجه. فقد قاسمته إجمالا فهما شبيها للثقافة بوصفها جملة من القيم والمعاييير والتقاليد التي توجه وتقود السلوكات والاتجاهات (Taras & Steel,2001b) (quoted In (Vaimav & Brewster,2014).

للأسباب الذي قدمنا قمنا بتبني أنموذج Hofstedeفي بحثنا كإطار نظري للمقارنة بين الجماعات الثقافية في الجزائر ومقياسه (VSM) لقياس القيم الثقافية الأربعة المعتبرة.

2-1-4- أبعاد أنموذج هوفستيد:

حسب آخر نسخة لأنموذج Hofstede لمقارنة المجتمعات الوطنية (Hofstede,2013)، اشتمل هذا الأخير على ستة أبعاد مستقلة، تعبر عن الاختلافات بين القيم الثقافية الوطنية. تتوفر نتائج عن كل بعد على سلم من صفر إلى مئة درجة لما بين 76 إلى 93 بلد (Hofstede ,Hofstede and Minkov,2010). فيما يلي شرح مقتضب لمضمون كل بعد من الأبعاد الأربعة المعتبرة في بحثنا، بالإضافة إلى جداول تستعرض وجوه التمايز بين الثقافات في كل بعد منها. التقابلات في الجداول أدناه تعبر عن القيم الحدية أو النتائج الأعلى والأدنى للثقافات. عامة الثقافات

في الواقع تقع نتائجها بين هذين القيمتين الحديتين. تقوم التقابلات أدناه على ارتباطات(correaltions) أفرزتها نتائج دراسات قام بها باحثون آخرون (Hofstede ,2012. p.24-27).

تفاوت السلطة (power distance):

يعرفه Hofstede et al(2010) على أنه:" *إلى أي درجة يقبل ويتوقع الأعضاء الأقل سلطة أو قوة في المنظمات والمؤسسات (مثل العائلة) أن توزع السلطة بشكل غير متساو (ويجدونه أمر عاديا)*".

> *« « The extent to which the less powerful members of organisations and institutions (like the family) accept and expect that power is distributed unequally (and consider it as normal) » ».(p.61)*

يحيل هذا البعد على مدى أو درجة تفضيل مجتمع ما أن تتوزع السلطة في العلاقات، المؤسسات والمنظمات بشكل متساو أو غير متساو. رغم أن عامة المجتمعات يجتمع فيها كلا التوجهين: علاقات ذات تفاوت سلطة كبير/صغير في نفس الوقت، غير أن كل مجتمع يعرف إجمالا هيمنة لأحد التوجهين.

يقدم Foster (1992) شرحا لهذا البعد:

"*ما اكتشفه **Hofstede** هو أن في بعض الثقافات، الذين يملكون السلطة والذين يتأثرون بها جد متباعدون من عدة أوجه (**high power distance**)، بينما في ثقافات أخرى، أصحاب السلطة والمتأثرون بها جد متقاربون (**low power distance**)*".

من جهته يطرح Gudykunts (2001) تصورا للثقافات ذات تفاوت السلطة الكبير على النحو التالي:

"*يقبل الأفراد من الثقافات ذات تفاوت السلطة الكبير السلطة كجزء من المجتمع. وهكذا، يعتبر الرؤساء أو المسؤولون(**superiors**) المرؤوسين مختلفين عنهم، والعكس صحيح*".

الناس في مثل هذه الثقافات ذات التفاوت الكبير يرون أن السلطة هي حقيقة من حقائق الحياة. تعمل هذه الثقافات، سواء عن وعي أو عن غير وعي، على تنشئة أعضاءها بكون الناس ليسوا متساوين في هذا العالم، وأن

كل فرد له المكانة التي يستحقها، وهو ما يتجلى بوضوح في الترتيبات العمودية الكثيرة. التراتبية الاجتماعية جد راسخة وتعمل على مأسسة اللامساواة (institutionalization of unequality).

في نفس الاتجاه يسجل(Etounga-Manguelle(2000.p.7: "*في المجتمعات الأكثر عمودية (more vertical societies)، ومن بينها إفريقيا، يعتبر المرؤوسين رؤساءهم متميزين، وأنهم يستحقون الامتيازات*". (quoted In Somavor et al,2007). الأمر ذاته يلاحظ داخل المنظمات في هذه الثقافات، تمركز أكبر للسلطة، تولى أهمية أكبر للرتبة والمكانة، تضخم في حجم مستخدمي الرقابة والإشراف، نظام قيمي جامد يحدد قيمة كل عمل، مرؤوسين يتمسكون بصورة وثيقة بتراتبية جامدة (Adler,2002. P.56-57).

يقابل هذا في البلدان ذات التفاوت الصغير في السلطة أن اللامساواة في المجتمع يجب أن تقلل إلى أدنى حد.

أو كما ينص (2000) Brislin: "الثقافات المتسمة بتفاوت سلطة صغير تحكمها قوانين ومعايير وسلوكات يومية تجعل تفاوت السلطة محدودا قدر الإمكان"(p.288).

يعتقد الأفراد في هذه الثقافات أنهم قريبون من السلطة ومن الواجب أن يحظوا بإمكانية حقيقية للولوج لها. بالنسبة لهم، لا تعدو التراتبية أن تكون مجرد لا مساواة في الأدوار بهدف تصريف الأعمال والأحوال على نحو وضيفي. كما يعتبر المرؤوسون رؤساءهم مماثلون لهم، وهي ذاتها نظرة الرؤساء للمرؤوسين، سواء بسواء. الأشخاص الذين في مواقع السلطة، سواء كانوا مراقبين، إداريين أومسؤولين حكوميين، يتفاعلون دوما مع من يتبعونهم، ويحرصون على أن يبدو أقل سلطة مما هم عليه حقيقة.

يمكن تلمس تفاوت السلطة هذا بين الثقافات في مختلف الأطر، الوضعيات وسياقات الحياة اليومية من أسرة (الوالدين-الأبناء)، إلى مؤسسات تعليمية(المعلمون-التلاميذ)، إلى مواقع العمل(الرؤساء-المرؤوسين)، وإجمالا السلطة- المواطن.

جدول (2) عشرة اختلافات بين المجتمعات ذات تفاوت السلطة الكبير والصغير.

تفاوت سلطة صغير	تفاوت سلطة كبير
يجب أن يكون استعمال السلطة مشروعا، وأن تضبطه معايير الخير والشر.	السلطة حقيقة أساسية في المجتمع سابقة للخير والشر: لا اعتبار لمشروعيتها.
يعامل الأولياء الأولاد كأنداد لهم.	يعلم الأولياء الأولاد الطاعة.
لا يحترم المسنون ولا يخشون.	المسنون محل احترام وخشية.
مركز التربية هو الطالب.	مركز التربية هو المعلم.
التراتبية تعني تباينا في الأدوار، توضع للمقتضيات أو الملاءمة.	التراتبية تعني لامساواة وجودية.
يتوقع المرؤوسين أن يستشاروا.	يتوقع المرؤوسين أن يبلغوا بمهامهم.
الحكومات تعددية قائمة على انتخاب الأغلبية وتتغير بشكل تراتبي.	الحكومات استبدادية تقوم على التعيين وتتغير بالثورة.
الفساد نادر؛ تنهي الفضائح الحياة السياسية للأشخاص.	الفساد منتشر؛ يتم التكتم عن الفضائح.
توزيع الدخل في المجتمع يتم عموما على نحو متساو.	يتم توزيع الدخل في المجتمع على نحو جد متفاوت.
تحث الأديان على التساوي بين المؤمنين.	أديان تقوم على تفاوت مراتب رجال الدين.

المصدر: (Hoftsede,2012)

جاءت نتائج مؤشر تفاوت السلطة مرتفعة في بلدان أوربا الشرقية، أمريكا اللاتينية، أسيا وإفريقيا. بينما جاءت أدنى في البلدان الغربية الناطقة بالإنجليزية والجرمانية (Hofstede,Hofstede,Minkov,2010).

تفادي الريب (uncertainty avoidance):

ربما تلخص مفهوم تفادي الريب البداهة الدارجة القائلة بأن المستقبل مجهول. ومهما حاول الواحد فلن يتأتى له التنبؤ بدقة بالدقيقة القادمة، فضلا عن الساعة، اليوم، الشهر، أو العام. يقرر هذا المعنى الروائي الأمريكي Tenesse Williams: "يسمى المستقبل" ربما "(perhaps)، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن ندعو به المستقبل".

في تعريفه لهذا المفهوم ينص Hofstede (2012):

«« *Uncertainty Avoidance is the extent to which the members of a culture feel threatened by ambiguous or unknown situations.* »» (p.167)

يختلف هذا المفهوم عن تفادي الخطر، فهو يعنى بمدى تحمل مجتمع ما للغموض. ويشير إلى أي درجة تبرمج ثقافة ما أفرادها على أن يشعروا إما براحة أو بقلق إزاء وضعيات غير مألوفة، غير واضحة، غير متوقعة وجديدة (Hofstede,2012.). وهكذا، بعض الثقافات أكثر قلقا (more anxious) من أخرى. تشتد النزعة التعبيرية أكثر عند الثقافات المتوترة. تعرف البلدان ذات تفادي الريب الضعيف مستويات متدنية من القلق. في هكذا بلدان، يفترض عدم إظهار الانفعالات والسلوكات العدائية (Hofstede,2012. p.171).

جدول (3) عشرة اختلافات بين المجتمعات ذات تفادي الريب الضعيف والقوي.

تفادي ريب ضعيف	تفادي ريب قوي
الريب الكامن في الحياة مقبول وكل يوم يستقبل كيفما جاء. هدوء، قلق أقل، ضبط النفس، قلق منخفض. نتائج أعلى بخصوص الصحة الذاتية وحالة الرفاه الذاتية. تقبل الأشخاص والأفكار الشاذة: كل مختلف مثير للفضول. الشعور بأريحية نحو الغموض والفوضى. يمكن للمعلم أن يقول: " لا أدري" تغيير الوظائف لا يعد مشكلة. بغض للقوا عد- مكتوبة كانت أو غير مكتوبة. في السياسة، يشعر المواطنون، كما ينظر إ ليهم، أنهم أكفاء للسلطات. في الدين، الفلسفة، والعلم: تسود النسبية والاتجاه الإمبريقي.	الريب الكامن في الحياة يستشعر كتهديد دائم يجب أن يواجه. توتر، نزوع للانفعال، قلق واضطرابات نفسية أعلى. نتائج أدنى بخصوص الصحة الذاتية وحالة الرفاه الذاتية. عدم تقبل الأشخاص والأفكار الشاذة: كل مختلف خطير. الحاجة إلى الوضوح والتقنين والتنظيم. يفترض في المعلمين معرفة كل شيء. البقاء في الوظائف حتى وإن كانت ممقوتة. حاجة عاطفية للقواعد- حتى إن لم يذعن لها. في السياسة، يشعر المواطنون، كما ينظر إ ليهم، أنهم غيرأكفاء للسلطات. في الدين، الفلسفة، والعلم: الإيمان بالحقائق المطلقة والنظريات الكبرى.

المصدر: (Hoftsede,2012)

تسعى الثقافات المتفادية للريب إلى تفادي كل غموض وريب عبر توفير الاستقرار لأفرادها وخلق نوع من الشعور بالتحكم لهم، إرساء قواعد وتقنين قوانين أكثر، عدم التسامح مع الأفكار والسلوكات الغريبة (غير المألوفة أو الشاذة)، الحرص على الإجماع، الإيمان بالحقائق المطلقة واللجوء المستمر والاستعانة الكبيرة بآراء وتقارير الخبراء.

بمقابل ذلك، ترى الثقافات المتقبلة للريب أنه مكون طبيعي للحياة، فتتقبله بأريحية، وتنزع إلى التسامح مع كل ما هو غير مألوف، ولا ترى في الأفكار أو الأشخاص المختلفين أي مصدر لتهديدات. يحبذ أفرادها المبادرة، ينفرون من الهياكل الموغلة في التراتبية، مستعدون للمخاطرة، يتسمون بالمرونة، ويعتمدون على أنفسهم أكثر من الخبراء. ترتفع نتائج تفادي الريب في دول أوربا الشرقية والوسطى، في الدول اللاتينية، في اليابان، وفي الدول الناطق بالجرمانية. بينما تنخفض في الدول الناطقة بالإنجليزية، شمال أوربا، وبالدول ذات الثقافة الصينية.

الفردانية/الجماعانية (Individualism-Collectivism):

ينص Hofstede et al (2010) في تعريفه لهذا البعد:

> «« *Individualism pertains to societies in which the ties between individuals are loose : everyone is expected to look after himself or herself and his or her immediate family. Collectivism as its opposite pertains to societies in which people from birth onward are integrated into strong and cohesive in-groups, which throughout people's lifetimes continue to protect them in exchange for unquestioning loyalty*. »» (p.76)

يعرف Hofstede (2012) الفردانية ومقابلها الجماعانية- طبعا كخاصية مجتمعية لا فردية- على أنها درجة اندماج أفراد مجتمع ما في مجموعات. من الجانب الفرداني نجد ثقافات العلاقات بين أفرادها تتسم عموما بالهشاشة: إذ يتوقع من كل فرد الاهتمام بنفسه وعائلته الأقرب. من الجانب الجماعاني نجد ثقافات يندمج أفرادها منذ الولادة في جماعات قوية متماسكة، على غرار العائلات الكبيرة (مع الأخوال والأعمام والأجداد)، التي تعمل على حمايتهم باستمرار مقابل ولاء مطلق غير مشروط.

لسنوات طويلة قرر الباحثون أن" التوجهات الشخصية والتوجهات الجماعانية كأحد المتغيرات النمطية الأساسية (basic pattern variables) التي تحدد السلوك الإنساني"(Youm,1997). وفي نفس الاتجاه تقريبا يؤكد Ting-Toomey(1999):"تتجلى النزعات القيمية في التفاعلات اليومية في العائلة، المدرسة، في مواقع

العمل"(ص.67). رغم أننا نتكلم عن الفردانية والجماعانية كمفهومين متمايزين، من المهم أن نسجل ههنا أن كل فرد، كما كل ثقافة، يحمل داخله(ا) استعدادات فردية وجماعية (Samovar et al,2007).

«« *All people and culture have both individual and collective dispositions* »» (p.141)

يوضح (2000) Brislin هذا المعنى أكثر:" *رغم عدم تجاهل أي ثقافة للأهداف الفردية ولا الجماعية، غير أن الثقافات تتفاوت بشكل كبير في الأهمية التي توليها لهذه العوامل*".

يقدم (2003) Andersen et al حوصلة لافتة لمجال(continuum) الفردانية/ الجماعانية:

"*تركز الثقافات الجماعانية على الاجتماع، التعاون، المصالح المشتركة، التناغم، التقليد، الصالح العام، وحفظ ماء الوجه (the facework). تركز الثقافات الفردانية على الحقوق والمسؤوليات الشخصية، الخصوصية، الجهر بالرأي، الحرية، التجديد، والتعبير عن الذات*".

في الثقافات التي تنزع إلى الفردانية تحتل الأهداف الشخصية الأولوية على حساب الأهداف الجماعية. ولاء الفردانيون لجماعة ما، منظمة، مؤسسة جد ضعيف. يدينون بالولاء لأكثر من جماعة، ولديهم قابلية كبيرة لتغيير العضوية أو الانتماء حسب ما يوافق قناعاتهم ومصالحهم، مثل الانتقال من جماعة دينية إلى أخرى، من حزب إلى آخر، من رب عمل إلى آخر أو مؤسسة إلى أخرى...

تشجع هذه الثقافات المنافسة أكثر من التعاون، وتعلي من قيمة التفرد في الآراء والأفكار والملكية الخاصة. وتثمن المبادرات والإنجازات الشخصية، والاعتماد على النفس في اتخاذ القرارات. فالفرد بالتعريف ذات وكيان مستقل ومسؤول.

في وضعيات تقتضي اتخاذ قرارات وتجمع بين أناس من ثقافتين مختلفين في هذا البعد قد تفضي إلى تناقض وحرج. يصور (1992. p.267) Foster هذه النقطة :

" *على طاولة تفاوض، الاختلافات في هذا البعد يمكن أن تسبب مشكلا جديا. المسؤولية الفردية في اتخاذ القرار في حكم المسلم به في الثقافات الفردانية؛ بينما في الثقافات الجماعانية يبدو أن الأمر مختلف. عادة ما يتوقع الأمريكيون من نظراءهم اليابانيين أن يتخذوا القرارات في الحال على طاولة المفاوضات، وكثيرا ما يستبد التعجب والدهشة باليابانيين لدى رؤيتهم أعضاء الفريق الأمريكي يدافعون عن مواقفهم، قراراتهم وأفكارهم الشخصية، أحيانا حتى لو أدى ذلك إلى تناقض علني فيما بينهم*"((Samovar et al,2007. P.142-143) quoted In).

يقابل هذا في الثقافات الجماعانية شعور بانتماء طبيعي لجماعة الانتماء(in-group)، انتماء غير قابل للتبديل أو الزوال (مدى الحياة). يلزم عنه استتباع(subordination) شديد للفرد لهذه الجماعة، إن على مستوى الآراء، الحاجات، أو الأهداف. فهذه الأخيرة تصير غالبا إلى التأخير أو التخلي عنها تماما متى تعارضت مع ما يقابلها لدى الجماعة. كما أن المعايير الحاكمة للسلوك هي معايير الجماعة. سواء كان ذلك من أجل تفادي العقاب متجليا في الهجر أو العزلة أو النظرة الدونية... أو حرصا على التناغم الذي يمثل غاية جد سامية في هكذا مجتمعات (kim & markus,1999). فالفرد بالتعريف، أو في جوهره عضو ملتزم في/نحو جماعة.

جدول (4) عشرة اختلافات بين المجتمعات الفردانية والجماعانية

الفردانية	الجماعانية
كل شخص يفترض أن يعتني بنفسه/هاوعائلته المباشرة فقط.	يولد الناس في عائلات ممتدة أو قبائل تحميهم مقابل الولاء.
وعي يرتبط بالذات.... consciousness'' I ''	وعي يرتبط بالجماعة... consciousness'' WE ''
الحق في الحميمية.	التأكيد على الانتماء.
التعبير عن الرأي حالة صحية.	يجب دوما الحفاظ على التناغم.
يصنف الغير على أنهم أفراد.	يصنف الغير إلى من هم من الجماعة ومن ليسوا منها.
في الانتخاب يصوت كل حسب رأيه الشخصي.	الآراء ووجهة التصويت يحددان سلفا من قبل جماعة الانتماء.
يقود اختراق المعايير إلى الشعور بالذنب (في نظر الذات).	يقود اختراق المعايير إلى الشعور بالعار (في نظر الجماعة).
الخطابات التي تتضمن كلمة * **أنا** * ضرورية.	الخطابات التي تتضمن كلمة * **أنا** * يتم تفاديها.
هدف التربية تعلم كيفية التعلم.	هدف التربية تعلم كيف تعمل.
ترجح الأعمال على العلاقات.	ترجح العلاقات على الأعمال.

المصدر: (Hoftsede,2012)

تسود الفردانية عموما في الدول الغربية المتقدمة. بينما تسود الجماعانية في الدول الشرقية والأقل تقدما؛ تحتل اليابان رتبة متوسطة في هذا البعد. (انظر تصنيف الدول على سلم الفردانية/الجماعانية في (Hofstede et al, 2010)).

الذكورة/الأنوثة(masculinity-feminity):

ينص Hofstede et al (2010) في تعريفهم لهذا البعد:

> *« « A society is called masculine when emotional gender roles are clearly distinct : men are supposed to be assertive, tough, and focused on material success, whereas women are sup-posed to be more modest, tender, and concerned with the quality of life* » ». (p.120)

وحسب Hofstede (2013):"الذكورة هي مقابل الأنوثة. يحيل مفهوم الذكورة إلى مجتمع **تتمايز** فيه بشكل واضح أدوار الجنسين: يفترض أن يكون الرجال واثقين من أنفسهم، أشداء، وهمهم النجاح المادي؛ يفترض أن يكون النساء متواضعات، حنونات، ومهتمات بجودة الحياة. يحيل مفهوم الأنوثة إلى مجتمع **تتداخل** فيه أدوار الجنسين: يفترض في كل من الرجال والنساء أن يكونوا متواضعين، حنونين، ومهتمين بجودة الحياة".

يذهب Adler (2002) أن مصطلح الذكورة/الأنوثة لا يؤدي حقيقة المعنى الكامل الكامن فيه، ويقترح بدلا عنه مصطلح "النجاح المهني"(career sucess) و"جودة الحياة"(quality of ife).

مما سبق يتبين لنا تعريف الثقافات الذكورية لأدوار غاية في التمايز بين الجنسين، وتركيزها إجمالا- وجوبا عند الرجال واستحبابا عند النساء- على قيم إثبات وفرض الذات(الإنجازات)، الطموح، المنافسة، والنجاح المهني وتكوين الثروة(المادية)، والتي تتصدر اهتمامات الأفراد مقارنة بالعلاقات الشخصية (Adler, 2002). في مقابل ذلك، تتبنى الثقافات الإناثية أدوارا متماثلة للجنسين أو تداخلا في الأدوار بينهما، ولا ترى حاجة لنزوع الرجال إلى إثبات الذات، بل يمكنهم -كما النساء- الاضطلاع بأدوار الرعاية. كما تعلي من أهمية البيئة بجانب الإنسان(Hofstede,2000).

يمكن أن يلاحظ دور النوع في مكان العمل. ففي المجتمعات الذكورية، لا تشجع المرأة- نسبيا- على خوض مسار مهني. مثلا في دول مثل ألمانيا واليابان وبعض من دول آسيا وأوربا (دول ذكورية) تواجه النساء صعوبات حقيقية لتحقيق المساواة في مواقع العمل. إذ يتوقع منهن العمل كمساعدات للرجل، يتلقين أجورا أدنى، مناصب شغل أقل استقرارا، وفرصا أقل للارتقاء في المسار المهني (Kim,2001).

بينما تتوقع المجتمعات الإناثية من المرأة أن تعمل، وتوفر لها غالبا أنظمة الدعم الاجتماعي اللازمة. في السويد مثلا، يخير الوالدان حول من منهما يستفيد من عطلة أمومة أو أبوة لرعاية المولود.

جدول (5) عشرة اختلافات بين المجتمعات الذكورية والإناثية

الأنوثة	الذكورة
لا تمايز إلى أدنى حد في الأدوار الاجتماعية والعاطفية بين الجنسين.	تمايز إلى أقصى حد في الأدوار الاجتماعية والعاطفية بين الجنسين.
لابد للنساء والرجال أن يتصفوا بالتواضع والرعاية والتحبب.	لابد للرجال، كما يستحب للنساء، أن يكونوا واثقين من أنفسهم، طموحين.
ترجح وتقدم العائلة على العمل.	يرجح العمل ويقدم على العائلة.
التضامن مع الضعيف.	الإعجاب بالقوي.
يتعامل كل من الآباء والأمهات مع الحقائق والمشاعر.	يتعامل الآباء مع الحقائق، الأمهات مع المشاعر.
يمكن لكل من الأولاد والبنات أن يبكي، لكن لا أحد منهما يجب عليه العراك.	تبكي البنات، أما الأولاد فلا؛ يجب على الأولاد المواجهة. البنات لا يجب عليهم العراك.
الأم هي من يقرر عدد الأولاد.	الأب هو من يقرر بخصوص حجم العائلة.
نساء كثيرات في المناصب السياسية المنتخبة.	نساء قليلات في المناصب السياسية المنتخبة.
يركز الدين على الأقران والنظراء من البشر.	يركز الدين على إله أو الآلهة(الجمع).
اتجاهات واقعية اتجاه الممارسة الجنسية؛ العلاقة الجنسية هي طريقة للارتباط.	اتجاهات أخلاقية نحو الحياة الجنسية؛ الممارسةالجنسية هي طريقة آداء.

ترتفع مستويات الذكورة في اليابان، البلدان الناطقة بالجرمانية، وبعض البلدان اللاتينية مثل المكسيك وإيطاليا. وترتفع أيضا وإن بشكل نسبي في الدول الغربية الناطقة بالإنجليزية. بينما تنخفض مستوياتها في دول شمال أوربا، وهولندا، وكذلك وإن نسبيا في بعض الدول اللاتينية ودول آسيا مثل فرنسا، إسبانيا، البرتغال، الشيلي، كوريا، وتايلند.

نظرية لولب الصمت: مراجعة الأدبيات.

2-2-1-الميلاد، النشأة، والتطور.

تذكر Neumann (1977) أن النتيجة العلمية المعروفة باسم "لولب الصمت " جاءت كاستجابة لانشغال بحثي برز في استطلاعات الرأي التي سبقت الانتخابات البرلمانية الفدرالية في ألمانيا الغربية سنة1965م، وبقي عصيا على الإجابة لما يزيد عن خمس سنوات. ففي الشهور التي سبقت تلك الانتخابات، أظهرت استطلاعات الرأي سباقا محموما ومتكافئا بين الحزبين الكبيرين: الاشتراكي الديمقراطي، والمسيحي الديمقراطي، إذ تم تسجيل تقارب أشبه بالتساوي في نوايا التصويت (voting intentions) لصالح الحزبين. ولم تتبد أي مؤشرات أو إرهاصات عن اتجاه لفوز أي منهما. وبالمقابل، لدى مواجهة المستطلعين بالسؤال: "طبعا، لا أحد يعرف، ولكن في اعتقادك من سيفوز بالانتخابات الفدرالية، من سيحصل على أكثر عدد من الأصوات: المسيحيون الديمقراطيون أم الاشتراكيون الديمقراطيون؟" تم تسجيل ارتفاع في التوقعات لصالح الحزب المسيحي الديمقراطي من 33% في شهر 1964/12 إلى 44% في شهر 1965/07، ثم إلى52% في شهر 1965/09. كما سجل، وقبل أسبوعين فقط من تاريخ الانتخابات، تقدم جلي بثلاث نقاط إضافية في نوايا التصويت لذات الحزب (Neumann, 1977).

وتكرر السيناريو نفسه في انتخابات 1972م وإن بصورة مقلوبة، أي لصالح الاشتراكيين الديمقراطيين هذه المرة: تكافؤ كبير في نوايا التصويت، بينما عند قياس مناخ الرأي بسؤال المبحوثين:

"من في رأيك سيفوز في الانتخابات؟" لوحظ ارتفاع مطرد للتوقعات بنجاح الاشتراكيين الديمقراطيين. وأخيرا، وفقط في الطور الأخير من الحملة الانتخابية، غدا ممكنا ملاحظة الفارق بين الحزبين (Neumann, 1977).

وتقول (Neumann (1977 في معرض تفسيرها لهذه المعطيات: "إن أنصار الحزبين قد يتساويان في عدد الأنصار، ولكنهما يختلفان على صعيد الثقة في الفوز النهائي، ويترتب عن هذا تفاوتهما في مدى الاستعداد والتحفز للتعبير علنا والمحاججة كل عن قضيته أو حزبه"(Neumann,1977,p. 149). وتضيف Neumann أن أنصار المعسكر الفائز (المسيحيين الديمقراطيين في 1965، والاشتراكيين الديمقراطيين في 1972) كانوا أكثر استعدادا وتحفزا للتعبير عن آراءهم، وهو ما جعلهم يبدون أقوى في عيون الملاحظين مما هم عليه في الواقع (overestimated)، مما دفع

آخرين للانضمام إليهم ومناصرتهم علنا. أما المعسكر المنهزم في الحالتين، فقد بدا أنصاره أقل حديثا وأخفض صوتا، وتضاءل ظهورهم أكثر فأكثر، مما أسهم في تصويرهم في عيون المواطنين أضعف مما هم عليه في الواقع(underestimated). وانعكس هذا- كما تبين- على نوايا التصويت أي خيارات الناخبين، وإن في مرحلة متأخرة.

وتشرح Neumann السبب الذي بفضله توصلت إلى هذا التفسير، بعد ست سنوات، كما يلي:

"فقد اشتركت، كأستاذة في جامعة(Mayence)، في مظاهرات طلابية ابتدءا من 1968م. وكنت ألاحظ أن الطلبة الذين كانوا يناصرونني، كانوا يعبرون لي عن دعمهم وتضامنهم بصفة شخصية. ولكنهم أمام الملأ، كانوا يلتزمون الصمت. بالمقابل، كان خصومي يصيحون بأعلى أصواتهم، فكانت تسمع في كل جنبات الجامع". (Lazar ,1999,p396-397)

وقد استخدمت Neumann لاختبار فروضها الأولية (قبل صدور النظرية) مسوحا (surveys) تناولت مواضيع متنوعة، أجراها معهدFurDemoscopie Alenbasch، أساسا من 1971 إلى 1972. تمثلت إجمالا فيما بين 1000 إلى 2000مقابلة في شكل استبيانات استهدفت عينات تمثيلية. وقد تم طرح أربعة أصناف من الأسئلة:

(أ) أسئلة حول رأي المبحوث فيما يتعلق بمواضيع خلافية (شخصية، منظمة، سلوك معين، قضية).

(ب) أسئلة حول وجهة نظر المبحوث فيما يتعلق بموقف الأغلبية في ألمانيا الغربية سابقا من موضوع ما.

(ج) أسئلة حول تطور الرأي في المستقبل.

(د) أسئلة حول مدى استعداد المبحوث للتعبير علنا عن رأيه. وفي هذا السياق سألت Neumann المبحوثين أن يتصوروا نقاشا حول موضوع خلافي بين مسافري قطار خط طويل، وما إذا كانوا سيشاركون في النقاش أو لا، وبأية طريقة.

وهكذا، تم استطلاع آراء المبحوثين عن اثني عشر موضوعا، اعتبرت-إلى حد ما- محل خلاف في تلك الفترة: قانون الإعدام (جوان1972)، الاتحاد الحر (سبتمبر1972)، العقوبات الجسدية للأطفال (نوفمبر 1972)،

العمال الأجانب في ألمانيا الفدرالية (ماي 1972)، النجاح الاجتماعي (أوت1972)، اتفاقيات موسكو وفارصوفيا (ماي1972)، الاعتراف بألمانيا الديمقراطية (جانفي1971)، حظر الحزب الشيوعي (سبتمبر1972)، التأثير المتزايد لـ Frans Josef Strauss (أكتوبر/نوفمبر1972)، هل من الواجب الإبقاء على Willy Brandt كمستشار (أكتوبر1972) (Neumann,1977).

هذا، وبعد ظهور النظرية، وتحديدا منذ الثمانينيات، ولدت هذه الأخيرة عددا معتبرا من التطبيقات الميدانية، في تداع لافت من الباحثين لاختبار فروضها في سياقات ثقافية واجتماعية وسياسية متنوعة، وحول قضايا وشخصيات مختلفة. وقد سعى هؤلاء أساسا إلى فهم العلاقة بين إدراكات الأفراد لمناخ الرأي السائد حول مواضيع معينة واستعدادهم للتعبير العلني عن مواقفهم منها، بالإضافة إلى محاولة تقديم تفسيرات بديلة لهذا الأخير. مثال ذلك: قانون أصحاب الحقوق (Affirmative Action,Moy & Domk &Stamm,2001) بالو.م.أ، الشذوذ الجنسي والزواج بين الأعراق (Lars,Waipeng,Benjamen,2001) بسنغافورة، التدخل العسكري في الصومال بالولايات المتحدة وتوقيت الانتخابات الرئاسية في تايوان: دراسة مقارنة(Huang,2005)، الانتخابات الرئاسية بالمكسيك (Neuwirth,2000)، مستقبل الأراضي المحتلة(Shamir,1997) في إسرائيل، مشروع توحيد الكوريتين (Kim et al,2004)، التطبيع مع إسرائيل(عادل عبد الغفار خليل، 2003) بمصر، تجارة الأعضاء البشرية (Chia,2013) في سنغافورة، الأغذية المعدلة جينيا(Kim ,2012) في كوريا الجنوبية، التحول الديمقراطي في الفليبين(Gonzalez,1988).. إلخ.

وقد أثرت هذه الاختبارات المتعددة والمتنوعة النظرية بتوسعها وتعمقها في بحث بعض المقولات النظرية التي لم تخضعها Neumann كمتغيرات للاختبار (الخوف من العزلة الاجتماعية، وسائل الإعلام)، بالإضافة- طبعا- إلى تلك التي تناولتها Neumann.

طال البحث أيضا متغيرات ذات أبعاد مختلفة: نفسية، اجتماعية، اتصالية،... على المستويين الفردي والجمعي، افترض توفيرها لتفسير بديل أو على الأقل مكمل للميكانيزم الذي اقترحته Neumann. كما سلطت

الضوء على عناصر مشكلة فيها (مفاهيمية ومنهجية) أسيء فهمها أو لم تراع في التطبيق، وجوانب أغفل بحثها في الدراسات السابقة للولب الصمت، ووضعت بناء على ذلك أجندات بحث أوصت باعتبارها في الدراسات القادمة للنظرية.

وبقدر ما تحصل للنظرية جراء هذه الاختبارات من ثراء، إلا أنها- ككل نظرية علمية- تعرضت لسيل من الانتقادات، ربما يعود أساسا إلى التأييد المحدود (التفاوت وربما حتى التناقض) الذي طبع نتائج هذه الاختبارات لفروض النظرية، وهو ما دفع (Glynn ,Hayes & Shanahan,1997) للقيام بتحليل كلي(meta-analysis) لأكثر من عشرين دراسة إمبريقية، قصد بحث العلاقة الأساسيةفي النظرية بين إدراك الفرد لرأي الأغلبية واستعداده للتعبير العلني عن رأيه إزاء قضايا خلافية. وأسفرت الدراسة عن تأثير قليل لكنه ذو دلالة إحصائية (small but significant effect)، تبع بتحليل-كلي ثان أفضى تقريبا إلى نتائج مشابهة للأول (Glynn & Huge,2014).

وقد تفاعلت Neumann مع هذه النتائج-فعملت بدورها على اختبار النظرية في سياقات أخرى مثل الولايات المتحدة وألمانيا (Neumann,1993)- وتجلى ذلك في إصدارات متتالية لـ"طبعات" مراجعة ومزيدة ومنقحة للنظرية (2004، 1997، 1991، 1984)، تضمنت تأكيدا على جوانب منها، وتجلية وتعديلا لأخرى، وردودا على بعض الانتقادات، وتفسيرا لواقع الاضطراب في النتائج(Ross, 2007; scheufele &Moy, 2000 ; Dondasch et al,2014).

2-2-2- تعريف الرأي العام:

في ظل الخلاف الهائل والصعوبات الكبيرة المواجهة من طرف الباحثين فيما يتعلق بتحديد تعريف للرأي العام، ميزت Neumann (1977) بين مفهومين أو نموذجين لهذا الأخير:

2-2-2-1-الرأي العام كسيرورة عقلانية (public opinion as a rationality):

أو النموذج العقلاني للرأي العام، وهو نتاج التفكير والاستدلال السياسي (political raisonnement) في الفضاء العمومي (public sphere) كما يعرفه Habermass، ويعرف بكونه الحكم المتوصل إليه حول قضية أو مسألة ذات

أهمية عامة (محلية أو وطنية) عقب نقاش واسع وعقلاني واع بين مواطنين مسؤولين ومطلعين (responsible & informed). ويشترط هذا النموذج جمهورا مستنيرا راغبا في المشاركة في العملية (process) السياسية وقادرا عليها. مما يفترض ابتداءا أن يسود مناخ من حرية الإعلام والتعبير والتنظيم. ويتضح أن الرأي العام كما يتصوره هذا النموذج عنصر بارز مؤثر في صناعة القرار في ديمقراطية ما، كما أنه شرط ضروري لبعث التغيير الاجتماعي (scheufele &moy,2000).

2-2-2-2-الرأي العام كضبط اجتماعي (public opinion as social control):

الرأي العام حسب هذا النموذج هو نتاج التفاعل بين الأفراد ومحيطهم. وهو النموذج التي تنتمي إليه نظرية لولب الصمت. ويتمثل دوره في دعم الاندماج الاجتماعي، وضمان مستوى كاف من الإجماع (consensus) كقاعدة ضرورية تقوم عليها مختلف القرارات والأعمال والنشاطات. فمن منطلق أن أي نظام اجتماعي ناجح يفترض فيه حيازة وسائل وآليات تضمن له تحقيق أعلى مستويات التماسك الاجتماعي (social cohesion) أو الإجماع، فإن مثل هذا نظام، في إطار حفاظه على تماسكه، يعمد إلى تهديد الأفراد المخالفين للرأي السائد(الإجماع) أو الشاذين عن "الرأي المشروع" بالعزلة الاجتماعية. كما أن الأفراد تبعا لحاجتهم الماسة للقبول من الغير، هذه الحاجة التي تتجذر عميقا في الطبيعة الإنسانية، لتفرز عند الفرد خوفا مزمنا من العزلة الاجتماعية، يحدد كل سلوكاته العلنية. لهذا يحرص الأفراد على مراقبة محيطهم الاجتماعي، المباشر كما العام، لرصد كيفية التوزع الحالي والمستقبلي للآراء. فما أدركوه على أنه رأي-أو آراء- الأغلبية، جهروا به. وما أدركوه على أنه رأي-أو آراء- أقلية لزموا إزاءه الصمت. ويحدث كل هذا تحت تهديد العزلة وعدم القبول من طرف الجماعة. وتستمر هذه الحركة تدريجيا، آراء تزداد ظهورا ورواجا، وأخرى انكماشا وتواريا، فيما يشبه الدوران اللولبي (spiral rotation) (أنظر الشكل 1). لتسفر هذه السيرورة في الأخير على رأي سائد مهيمن هو الرأي العام، أما الرأي الآخر فيغمر (scheufele & Moy,2000). ويتجلى من خلال ما سبق أن لولب الصمت-كما تفترضها نيومان- سيرورة يظهر من خلالها الرأي العام ويتطور وينتشر.

واستنادا إلى مفهوم السيرورة التفاعلية الموسومةبلولب صمت والمولدة للرأي العام، عرفت Neumann الرأي العام في مقالاتها المختلفة كقوة تحقق الضبط الاجتماعي، أو ما نصه تحديدا: " ذلك الرأي الذي يمكن التعبير عنه

علنا دون خطر التعرض لعقوبات"(1974,P. 182)؛ "الرأي المهيمن الذي يفرض الامتثال في الاتجاه والسلوك من خلال تهديد الأفراد المخالفين بالعزلة، والسياسيين بخسارة التأيد"(1974)؛" الآراء الخلافية التي بوسع الفرد الجهر بها دون أن يتعرض للعزلة" (1977)؛ "هو ذاك الرأي الذي يمكن التعبير عنه في سياق متوتر دون مواجهة خطر تعريض نفسه للعزلة"(1980). وتضيف أيضا:"يقوم الرأي العام على السعي اللاواعي للأفراد الذين يعيشون في وحدة اجتماعية للوصول إلى رأي مشترك، أو نوع من الاتفاق الذي يتطلبه السلوك و-إن اقتضى الأمر- اتخاذ قرارات "(1989).

> *"the dominating opinion which compels compliance of attitude and behavior in that it threatens the dissenting individual with isolation, the politician with loss of popular support" (1974); "controversial opinions one can convey without becoming isolated" (1977); "opinion within a field of tension which one may express openly, without danger of isolating oneself" (1980). "public opinion, is based on the unconscious striving of people living in a social unit to arrive at a common view, at the kind of agreement which is required to act and, if necessary, to make decisions"* (1989).

تفترض Neumann (1965) في سعيها لتفسير الإشكال المزمن المسجل في الاتفاق على تحديد لمفهوم الرأي العام، بموازاة رواج المفهوم الأول له وضمور بل تلاشي المفهوم الثاني له، أن ذلك عائد لحدوث فصل أو قطيعة في الأدبيات العلمية بين تأثيرين للرأي العام- تأثيره على الحكومات وتأثيره على أفراد المجتمع. فقد أصبح "الرأي العام" مصطلحا يستخدم -إلى حد ما- حصريا في دراسة العلاقة مع الحكومات (ما يفسر رواج المفهوم الأول)، بينما وظيفة الرأي العام للأفراد أو تأثيراته عليهم فقد انتقلت لتدرس تحت تسمية أو مصطلح آخر:"الضبط الاجتماعي"(ما يفسر ضمور المفهوم الثاني).

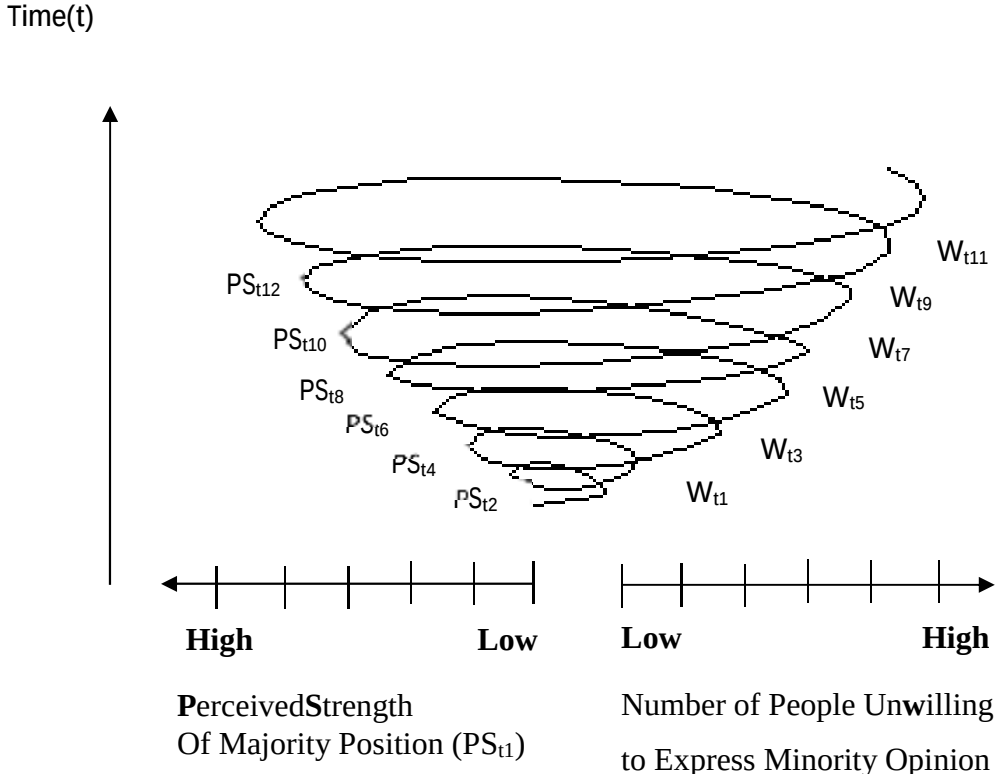

الشكل(1) سيرورة لولب الصمت

المصدر: (Scheufele & Moy,2000, p. 11)

ويبرز من التعريفات السابقة تأكيد Neumann للبعد النفسي الاجتماعي لظاهرة الرأي العام، هذا البعد الذي عرف في القرن العشرين – رغم الكم الهائل من التعريفات التي تناولت الرأي العام- تجاهلا لحساب أبعاد بديلة؛ هذا، رغم وثيق صلته- بهذا المعنى ووفق هذا التصور- بإدراكات الأفراد لمحيطهم الاجتماعي ومشاعرهم نحوه، بل حسب تعبير Neumann بطبيعتهم الاجتماعية:

> *«Yet this is the meaning felt by people in their sensitive social skin, their social nature»* (Noelle-Neumann, 1993, p. 62).

وتشير Neumann (1974) إلى أنه يمكن العثور عند الكتاب الكلاسيكيين الذين ألفوا في الرأي العام، إشارات معتبرة إلى هذا البعد النفسي الاجتماعي من هذا الأخير، مثل: Locke، Rousseau، Ross، Tonnies، Bryce، Tocqueville، الخ. وتفصل Neumann (1965) فتسجل أن كلا من Locke في تفسيره "لقانون الرأي والسمعة " (the law of opinion and reputation) في 1690، وRousseau في تعريفه لهذا الأخير، وRoss في تفسيره لمفهوم الضبط الاجتماعي- وهو أول من صك هذا المصطلح بين1896 و1898- كانوا وبشكل لا ريب فيه بصدد شرح العملية أو الصيرورة التي عن طريقها يفرض المجتمع الامتثال أو الكونفورميا على أفراده؛ أي المفهوم الأخير للرأي العام.

في هذا الصدد يشير John Locke:

" أن مقياس ما يطلق عليه أو يعتبر في كل مكان فضيلة أو رذيلة هو الثناء أو الذم، الإقرار أو الاستنكار، والذي عبر القبول الضمني أو السري، يتكرس ويترسخ في كل المجتمعات في العالم: حيث ومن خلاله تلقى مختلف الأفعال تأييدا أو سخطا بينها، حسب الأحكام، الأعراف والمثل السائدة في المكان"(1690،ص. 447). ويضيف Locke:" *ولكن لا أحد يقوى على الهروب من عقاب كرههم وتوبيخهم. من يخالف ينتهي حتما في مواجهة الأعراف وأراء الرفقة التي يلازمها، وعليه أن يهيء نفسه لذلك. ولا أن يوجد شخص ولا واحد في العشرة آلاف، قادر على الاستماتة بلا استكانة، أمام سخط وإدانة مستمرين من محيطه. لابد أن يكون من طينة غريبة وغير عادية ذاك الذي يرتضي لنفسه أو يحملها على العيش في هوان وازدراء دائمين في مجتمعه. يبحث الكثير عن العزلة، ويألفها الكثير: لكن لا أحد ممن يملك الحد الأدنى من عقل الإنسان أو حسه قادر على العيش في مجتمع تحت دوام البغض والمواقف السيئة منه، من قبل محيطه القريب. هذا حمل ثقيل تنوء به المعاناة الإنسانية*"(ص. 479).

ويبدو جليا من خلال هذا النص إفادته للرأي العام بالمعنى الذي تبنته Neumann.

وتشير Neumann (1974) إلى أن John Jack Rousseau- الذي صك مصطلح الرأي العام سنة 1750- قد فهمه بهذا المعنى، أي كضغط لتحقيق التماثل (pressure to conform). في إثبات هذا المعنى يسجل Rousseau (1782، ص. 224):

"الذي يحكم على الآداب يحكم أيضا على الشرف، ومن يحكم على الشرف يستند في أحكامه على الرأي العام، ويتخذ منه مقياسا له".

> ***"He who judges morals also judges honor, and he who judges honor takes (public) opinion as his measure".***

يبرز في كلامه مدى التقارب بينه وبين Locke-في كلامه أعلاه- في فهمها للرأي العام (كمقياس للحسن والقبح، الفضيلة والرذيلة).

وبعده بقرن ونصف تقريبا يسطر Ross في نفس الاتجاه:

" طبعا، يمكن لبعض الأشخاص المميزين تجاهل الخزي والعار الاجتماعيين. يمكن للمثقف أن يجد في آراء دوائر وأزمنة أخرى ملجأ من احتقار جيرانه. لكن بالنسبة لعامة البشر، سخط ورضى جماعتهم هما سيدا الحياة الحقيقيان"(1941، ص. 90) ((quoted In(Neumann,1965)).

" ليس المحذور أو المخوف أساسا ما يمكن أن يفعله جمهور غاضب، ليس هذا تحديدا ما يردع الأمريكي المعاصر، بقدر عدم القدرة على الوقوف ساكنا أمام عنفوان التعاليق المعادية، وتحمل حياة أبدية على خلاف مع ضمير أولئك وشعورهم نحوه... فقط المجرمون أو الأبطال ذوو المبادئ والقيم السامية من لا يبالون بكيف ينظر إليهم الآخرون..."(ص. 105).

وفي هذا بيان آخر لذات مفهوم الرأي العام بالمعنى الذي تبنته Neumann.

تنوه Neumann (1965) إلى أن هذه العبارات يمكن العثور عليها في أعمال Ross في المبحث المعنون بـ "الرأي العام". غير أنه فيما تلا من نصوص عن الضبط الاجتماعي في أعماله اللاحقة، لايرد ذكر مصطلح "الرأي العام" إطلاقا أو فقط بشكل عرضي. فقد انقطعت الصلة على حد تعبيرها، واندرس مفهوم الرأي العام بهذا المعنى، أي كدال على الضبط الاجتماعي، ليقتصر استخدام المصطلح من طرف عامة الباحثين في الدائرة السياسية، أي في علاقته مع السلطة، مثل ما فعل Habermass(1962)، Landshut(1953)، Fraenkel(1962)، Hennis(1957a)، Lippmann(1922)، Dewey(1925)،... وعامة النظريات التي تناولت الرأي العام مثل النفعانية، نظريات المجتمع الجماهيري، نظريات الدعاية، نظريات ديمقراطية التداول والمشاركة، النظريات المعيارية عن الديمقراطية، النظريان الإعلامية،...(Davis,2009.p808-813).

رغم هذا الانقطاع فيمكن تلمس طبيعة تأثير الرأي العام على أفراد المجتمع من نظرية الضبط الاجتماعي. في هذا الصعيد ينص Landis (1956.p.12) : "إنه يهتم ويحرص على النظام والانضباط".

«« *It is concerned … with … orderliness…* »»

أو بعبارة أخرى وبلغة علم الاجتماع: هو وسيلة إدماج اجتماعي، استقرار اجتماعي، يلزم الأفراد بالتكيف مع التصورات السائدة للسلوك المنضبط ويفرض وبدرجات متفاوتة بين المجتمعات- الامتثال أو الكونفورميا (Neumann,1965). وإن لم يكن الأداة الوحيدة التي تعمل على تحقيق الضبط الاجتماعي، إلا أنه- ومقارنة بالقانون، شكل من أشكال الضبط الاجتماعي أكثر ظهورا ومأسسة- على حد وصف Ross: " أداة جد مرنة ورخيصة " (Ross,1941.p.94). أو كما يشدد بروفيسور القانون الألماني Rudolph von Ihering:

" *تكمن ميزة الإكراه النفسي في دائرة تأثيره اللامحدودة. فهو كالهواء ينفذ إلى كل مكان، في الأرجاء والزوايا العميقة للبيت، وإلى مدارج العرش. إلى مواضع يعجز عن بلوغها الإكراه الجسدي تماما*".

> *« « The advantage of psychological compulsion lies in the unlimited bounds of its sphere of effect. Like the air it penetrates everywhere, into the innermost recesses of the home, and to the steps of the throne, to places where physical compulsion would fail completely... »»(*1883, p180).(quoted In (Neumann,1965))

هذا الإكراه النفسي هو بمثابة عقاب اجتماعي يلوح به ويسلطه الرأي العام على كل من ينتهك الإجماع مجسدا في المعايير الاجتماعية مثلا. أو كما يوضح (Ihering (1883.p.325: " هو رد فعل عملي واع أو غير واع من الإجماع على انتهاكه، دفاعا عن أمنه ذاته". بل ويذهب إلى أبعد من هذا لينسب إليه الإسهام بشكل رئيس في صناعة الأخلاق وحمايتها: (p. 340) ***"taskmaster of the ethical"***.

بموازاة هذا، تنبه Neumann إلى أن الضبط الاجتماعي لا ينبغي النظر إليه فقط كإكراه، كقوة سلبية. فالدين، التقاليد، الأخلاق والعادات، الأدوار الاجتماعية، وحتى الموضة هي قوى إيجابية تحقق الاندماج الاجتماعي. لكن متى طال هذه القواعد الاجتماعية، هذه "القوانين غير المكتوبة"(حسب سقراط)، انتهاك من طرف سلوكات منحرفة أو شاذة من أفراد أو جماعات، تجند الرأي العام.

يتضح مما تقدم أن الرأي العام يعمل على الحد من حرية سلوك أفراد المجتمع أو تقييد هامش مناورتهم أو خياراتهم. يكفي للدلالة على ذلك مثلا كلام John Locke عن "الرقابة الشخصية-private censure" لدى إشارته لـ "محكمة الرأي العام" (the tribunal of public opinion). أو ما تحفل به الأعمال عن الضبط الاجتماعي من مباحث عن العقوبات. يذكر أن هذه التدابير منها ما هو جسدي، اقتصادي ونفسي. وهذا الأخير يعتبر أهمها (La Piere,1954)، وقد تمتد من إلقاء متقطع للتحية اليومية كبداية، لتنتهي- والعبارة هنا لـ: Ross- "*بسقوط العضو الميت من الجسم الاجتماعي*" (1941، ص. 92). أي هجره ونبذه تماما من جماعته...

وتكون Neumann من خلال تبنيها مفهوما نفسيا-اجتماعيا للرأي العام بوصفه صيرورة ضبط اجتماعي قد أدمجت جانبين كلاهما يضطلع بوظيفة: أحدهما يتجه نحو المجتمع الذي يعمل الرأي العام على حمايته مثل الجلد

أو البشرة في مسعى لحفظ النظام (الإجماع، التماسك) الاجتماعي؛ والثاني يختص بالأفراد، فيهدد بالعقاب بل يعادي من يتهدد النظام من أفراد أو جماعات، فمن يعانون تهديد الرأي العام هم بصدد معاناة حساسية بشرتهم(جلدهم) الاجتماعية. تنص Neumann:

> ***"Public Opinion—Our Social Skin"*** *characterizes both of these aspects. On the one hand it refers to our society, which public opinion protects like a skin, holding it together. On the other hand it refers to individuals, for they who suffer at the hands of public opinion suffer from the sensitivities of their social skin. Did not Rousseau, who introduced the concept of public opinion into modern language, in fact expressed what was most important about it when he described it as the enemy of the individual and the protector of society ?* (1993, p. 182)

2-2-3-فروض نظرية لولب الصمت:

حسب آخر صياغة للنظرية في كتاب "لولب الصمت والطبيعة الاجتماعية للإنسان"(Neumann &Peterson, 2004)، تقوم هذه الأخيرة على مقولتين أساسيتين (two key assumptions)، وتتكون من أربع فروض(hypothesis) محورية. تنص المقولتان على ما يلي:

(1) يخشى الأفراد العزلة من الغير. (2) وبدافع من هذه الخشية، يستخدمون حاسة شبه إحصائية (quasi-statistical sense) لرقابة دائمة لسلوك الغير.

أما الفروض، فتنص على:

(1) في ضوء ما يلاحظ من سلوك الغير، فإن من يلمسون توافقا بين آراءهم وآراء الغير، ينزعون إلى الجهر بآرائهم. بالمقابل (2) من لا يلمسون قبولا لآرائهم بين الغير، ينزعون إلى التزام الصمت. وهكذا، (3) تندلع سيرورة لولبية

حيث يصبح المعسكر المهيمن أعلى صوتا وأكثر ثقة في نفسه، بينما يتراجع المعسكر الآخر ويتوارى بنزوع مطرد إلى الصمت. وينتج عن هذا، (4) تحول حقيقي في الرأي العام (Ross,2007).

من جهة أخرى، يقدم scheufele & moy (2000)[1] تصورا جامعا ومفصلا لمقولات وفروض النظرية، ووفيا لأحدث إصدارات Neumann ومراجعاتها المتكررة، اشتمل على خمسة فروض، جاءت مرتبة كما يلي:

(أ) التهديد بالعزلة (threat of isolation): تشير Neumann إلى أن: " التماسك الاجتماعي يجب أن يؤمن باستمرار من خلال مستوى كاف من الاتفاق حول القيم والأهداف"(Neumann,1991,p. 258). ولضمان هذا الاتفاق، يهدد المجتمع بالعزلة الأفراد الذين يخرقون هذا الإجماع.

(ب)الخوف من العزلة (fear of isolation): تتسم عملية تكوين رأي الفرد وسلوكه بخشية الفرد من أن يصير معزولا اجتماعيا. تنبثق هذه المقولة الثانية للولب الصمت عن الدراسات التجريبية عن الكونفورميا (conformity). ويمكن للكونفورميا الاجتماعية أن تكون إما: تأثير اجتماعي معلوماتي (informational social influence)، يتجلى في قبول الأفراد المعلومات من الغير كأدلة عن الواقع. أو تأثير اجتماعي معياري (normative social influence) يتجلى فيه توافق الأفراد مع توقعات الغير.

وقد استخدمت Neumann (1993) هذا الأخير لتشرح وتقدم دليلا على الأثر المفترض لخشية العزلة على الاستعداد للجهر بالرأي. وتحيل Neumann إلى تجارب يتماهى فيها (أي يقلدون) الأفراد محل التجربة (subjects) مع الأغلبية لدى القيام بأعمال بسيطة نسبيا، كاختيار خيط مماثل لآخر في الطول (Asch,1955,1965)، أو اختيار الأطول بين نوتتين صوتيتين (Milgram,1961). وتتخذ Neumann (1993) من كون الأفراد في تجربة Asch "قد أبصروا بأم أعينهم أن الخيط المختار من الأغلبية كأفضل مماثل لم يكن الأفضل" دليلا على أن الخشية من العزلة هو العامل الأهم المؤثر في الكونفورميا أو الامتثال.

[1] يشير scheufele & moy (2000) إلى أن هذا الوصف مستمد من أحدث إصدارات Neumann (Neumann,1991 1993,1994) والتي تختلف بشكل كبير عن إصدارها الأصلي (Neumann,1974) في الوصف المنهجي للقواعد والشروط الضرورية التي تقوم عليها سيرورة لولب الصمت.

(ج)**كفاءة أوحاسة شبه إحصائية(quasi-statistical sense)[1]:** كنتيجة لخشية العزلة، يعمد الأفراد إلى مراقبة محيطهم باستمرار، وذلك لتفحص كيفية توزع الآراء في الحاضر، بالإضافة إلى محاولة استشراف ما ستؤول إليه في المستقبل. هذه المراقبة يمكن أن تأخذ شكل تعرض لتغطية وسيلة إعلامية لقضية ما، أو ملاحظة مباشرة للمحيط، أو نقاش مباشر للقضايا مع الغير.

(د) الاستعداد للتعبير العلني والميل لالتزام الصمت (willingness to speak out andtendency to remain silent): يميل الأفراد للتعبير علنا عن آرائهم ومواقفهم إذا أدركوا أن آراءهم هي السائدة بين الآراء، أو أنها تشهد اتساعا ورواجا. وبالمقابل، إذا لمس الأفراد أن آراءهم تنتمي إلى الأقلية، أو أنها تشهد تراجعا وانكماشا، فإنهم يصيرون أكثر حذرا وتحفظا، ويميلون إلى الصمت.

(هـ) لولب الصمت (spiral of silence): تفاعل هذه العوامل الأربعة يؤدي إلى سيرورة تكوين، تغيير، وتعزيز الرأي العام. فميل الواحد إلى التعبير العلني عن رأيه، وميل الآخر إلى التزام الصمت يطلق (أو يفجر) سيرورة لولبية (spiraling process) يتوج -وبتسارع مطرد- رأيا كمهيمن سائد(Neumann,1974). الشكل رقم (1) رسم تصويري لكيفية حدوث هذه السيرورة.

ومع مرور الوقت، يؤثر تغير إدراكات الأفراد لمناخ الرأي على استعدادهم للتعبير عن آراء الأقلية (أي ما يدركونها كذلك)، وهو ما يكرس هيمنة رأي من الآراء. وهنا يتحول الرأي العام من مسألة مشحونة قيميا (morally-loaded question) أو من حالة سائلة(Tonnies,1922) إلى معيار صلب (solid norm) أو عقيدة(dogma) .(Neumann,1983)

[1] لاحظ Scheufele & Moy (2000) أنه بينما استخدمت Neumann مصطلح "عضو شبه إحصائي (quasi-statistical organ) في كتاباتها الأولى (1974)، تناولت في أعمالها المتأخرة: "كفاءة شبه إحصائيةquasi-statistical ability)) لإدراك مناخ الرأي (1993، ص. 15). ونبها إلى وجوب فهم مصدري الإدراكات هذين بهذا المعنى الواسع كإدراكات للواقع عبر وسائل الاتصال الجماهيرية، والاتصال الشخصي (interpersonal communication) والملاحظة، من جهة أخرى (1993، ص. 229).

ويضيف(2000) scheufele & moy أن ثمة ثلاثة عوامل إضافية يتوجب مراعاتها قصد تفسير واف لسيرورة لولب الصمت، وهي كالآتي:

(أ) المكون الأخلاقي للرأي العام (moral component of public opinion)**:** لا تسري لولب الصمت إلا في القضايا ذات المكون الأخلاقي، أو القضايا المشحونة أخلاقيا (moral-ladden issue) "والتي بواسطتها يعزل الفرد، أو يمكن للفرد أن يعزل نفسه في العلن"(Neumann,1993,p. 231)**.** إنما يصدر تهديد الرأي العام بالعزلة ويتأكد، فقط من خلال هذا العنصر الأخلاقي المعياري (Neumann, 1983, p. 141)**.**

(ب) **عامل الوقت**(time factor)[1]**:** يعتبر مناخ الرأي المدرك(perceived opinion climate) وتطوره المستقبلي عاملان حاسمان في لولب الصمت**.** فإدراك أية وجهة نظر وأي رأي يرجح أن يصبح مهيمنا، وإدراك أي من الآراء تتبناه الأقلية ويرجح أن يخسر...، هذا الإدراك، بصرف النظر عن مدى دقته، يؤثر على مدى استعداد الأفراد للتعبير العلني عن آراءهم، والذي بدوره يؤثر على إدراكاتهم لمناخ الرأي السائد**.** والنتيجة أن يتكرس رأي ويتخذ صفة الرأي العام المهيمن (Neumann,1979,1992)**.**

(ج) دور وسائل الإعلام (role of the media)**:** لا يمكن للسيرورة الموصوفة أعلاه أن تحدث دون أن تتخذ وسائل الإعلام موقفا واضحا في الصراع**.** فأية مقاربة علمية للولب الصمت تتجاهل وسائل الإعلام كعامل حاسم، تنقض نظرية لولب الصمت متى كان اتجاه وسائل الإعلام يختلف بشدة عن الرأي العام (Neumann,1993,p. 200)**.**

ليخلص (2000) scheufele & moy إلى أنه إذا كان الرأي العام أحد أشكال الضبط الاجتماعي، ويتضمن إدراكات الآخرين، إذن يمكن تعريفه بوصفه:

"الاتجاهات والسلوكات التي يجب على الفرد التعبير عنها في العلن إذا كان هذا الفرد لا يريد أن يعزل نفسه؛ في مجالات الخلاف والتغير، الآراء العامة هي تلك المواقف التي يستطيع الفرد التعبير عنها دون مواجهة خطر العزلة"

[1] يشير Allpor t(1937) إلى أهمية الطابع الصيروراتي (process character) للرأي العام، أي أهمية " النظر إلى الظاهرة كسيرورة ذات بعد زمني" (ص. 37).

« Attitudes or behaviors one must express in public if one is not to isolate oneself ; in areas of controversy or change, public opinions are those attitudes one can express without running the danger of isolating oneself » (Neumann,1993, p. 178)[1]

تأثير الثقافة على صيرورة لولب الصمت

2-3-1-إدراك مناخ الرأي السائد بين الثقافات

من الافتراضات الأساسية للنظرية كما تقدم هي ارتباط مناخ الرأي السائد عن قضية ما – ومدى توافقه أو تعارضه مع رأي الفرد- بتعبيره علنا عن رأيه ذاك. غير أن تحليلا كليا (meta-analysis) أجري على مرتين (1997,2011) لنتائج دراسات تناولت هذه العلاقة لم يظهر إلا تأييدا محدودا لهذا الافتراض: ارتباطا صغيرا وإن كان ذا دلالة إحصائية (smal but significant ralationship)، وهو ما أطلق جملة من التساؤلات بين الباحثين عن خلفية هذا التباين بين نتائج نظرية لولب الصمت- وهذه العلاقة تحديدا- التي تبدو نظريا وحدسا منطقية ومقبولة، وعدم حضوها إلا بتأييد محدود على المستوى الميداني(empirically). هذا رغم تواتر تأكيد علم النفس الاجتماعي أن الأفراد يتصرفون أو يسلكون بناءا على اعتقاداتهم القائمة على ما يدركون أنه شائع معروف (في حكم العرف) في مجتمعهم أوجماعتهم. (على سبيل المثال لا الحصر: Cialdini & Trost, 1998 ; Jetten, Postmes, & McAuliffe, 2002; Latane& Darley, 1968; Mead, 1934; Newcomb, 1961; Paluck, 2009; Sherif, 1936)((Quoted In (scheufele & moy,2000).

وتبع هذا تفسيرات عدة، استشكلت التحديدات المفاهيمية (conceptualizations) والتعريفات الإجرائية(operatonalizations) المعتمدة للمتغيرين المتضمنين في الافتراض الأساسي، بالإضافة إلى

[1] من أجل نظرة أشمل عن النظرية، مقولاتها، تطبيقاتها والانتقدات التي وجهت إليها يرجى مراجعة(بلعموري،2009).

إشكالات منهجية أخرى تتعلق بكيفية اختبار هذه العلاقة (Noelle-; Scheufele & Moy,2000 Neumann & Petersen ,2004 ; Glynn et al,1997) (من أجل توسع أكبر انظر: (Bodor ,2012)).

ورغم تنويهنا بالتجاهل الذي عرفته العوامل الثقافية في الاختبارات السابقة للنظرية، إلا أن تجاهلا أشد ذاك الذي طال إدراك مناخ الرأي السائد ونصيب العوامل الثقافية منه، إذ لا نعرف-في حدود ما اطلعنا عليه- دراسة اختبرت النظرية – وهذه العلاقة تحديدا- وسلطت الضوء على دور الخصائص والتوجهات الثقافية في تشكيل إدراكات مناخ الرأي السائد أو الإجماع إزاء قضية ما.

وتتأكد جدارة هذا التوجه البحثي بالاهتمام لدى الوقوف على قرائن تدعمه من قبيل إشارة Neumann إلى أن الرأي العام لا يتم إدراكه عبر عملية واعية أو بطريقة محسوبة كما يمكن أن يبعث على توهمه استخدام Neumann لمصطلح حاسة شبه إحصائية، إنما يتم ذلك كما تؤكد – ولو جزئيا- عن غير وعي، خاصة فيما يتعلق بالقضايا ذات الطابع القيمي أو الأخلاقي (وهي القضايا التي قصرت Neumann صلاحية نظريتها عليها).يشدد (2012) Peterson على هذا الإدراك اللاواعي لمناخ الرأي السائد ومن ثم على أهمية أن تختبر النظرية على وضعيات واقعية-لا افتراضية- فيقول نقلا عنها:

> *« « At least in her later publications, Noelle-Neumann rejected the assumption that the quasi-statistical sense is a rational, consciously made assessment. Rather, she assumed that it is an emotional reaction that people are generally not consciously aware of—and for this reason, it is not possible to test the theory by presenting test subjects with hypothetical situations, but rather only when they are actually in a situation where they are subject to social pressure » ». (p.264-265)*

يضاف إلى هذا، تتويج السيرورة في نهايتها لرأي الأغلبية هذا (الرأي العام) كمعيار اجتماعي على حد قولها، والمعايير الاجتماعية إنما ترتبط أساسا بالثقافة، وقد سبقت الإشارة إلى تميز كل ثقافة بمعاييرها وقيمها كما

أسلفنا. يضاف إليه أيضا، نعت Neumann للرأي العام بالبشرة الاجتماعية (the public opinon: our social skin) في عنونتها لأهم عمل طرحت فيه نظريتها، أي -كما أسلفنا- بوصفه قوة ضبط اجتماعي، ووسيلة لتحقيق النظام والتماسك الاجتماعي والاستقرار في المجتمع، تهدد بالعقاب كل مخالف، عقاب نفسي في جوهره، لكنه من الشمول والفعالية بمكان بحيث يستطيع أن يحقق أحيانا ما يعجز عنه الإكراه الجسدي المباشر، أو كرد فعل عملي واع أو غير واع يمارسه الإجماع في حق من انتهكه. كل هذا يشي- بل يرجح- أن الرأي العام يرتبط إدراكا وتشكلا وتأثيرا بالثقافة بوصفها القواعد والمعايير والقيم التي نتعلمها منذ الميلاد لتستمر معنا طوال الحياة متجذرة عميقا في لا وعينا (Mcdaniel et al,2012 ; Samovar &Porter,2012).

حري بنا التنويه بتأثير التوجهات الثقافية في تشكيل إدراكات مناخ الرأي السائد وحتى تشكيل الرأي العام بطريقتين: إحداهما مباشرة، والأخرى غير مباشرة بالتأثير على الاتصال الشخصي ووسائل الأعلام كما سيتم تبيينه فيما يلي.

تذهب Neumann إلى أن الأفراد يعتمدون عموما في رصد مناخ الرأي السائد على مصدرين (وهما في نفس الوقت القناتين التين تنشأ وتتطور عبرهما سيرورة لولب الصمت: فيتطور رأي وينتشر ليستحيل رأيا عاما. وهو ما يجعل نظرية لولب الصمت نظرية اتصالية بامتياز): الاتصال الشخصي والقنوات الإعلامية.

وكلاهما مظنة لتأثير التوجهات الثقافية وبالتالي التأثير على إدراك مناخ الرأي السائد. في هذا الصدد يشير Rosenthal & Detenber(2014) إلى أنه كلما كانت ثقافة ما أكثر تسامحا إزاء الآراء المخالفة أو غير المألوفة وفر هذا مجالا أوسع وظرفا أكثر ملاءمة لظهور آراء أكثر تعددا وتنوعا حول قضية ما وقنوات أكثر لنشرها، وبالتالي يزيد من إمكانية تعرض الأفراد لآراء أكثر من كلا المصدرين. بالمقابل كلما كانت أقل تسامحا (تزمتا) شكل ذلك رادعا

للأفراد والمؤسسات، ومن ثم قلل من فرص التعدد والتنوع في الآراء، وعجل ذلك ببروز الرأي الواحد بل الأوحد وتشكل مناخ الإجماع الموهوم حوله.

يذهب Salmon & Oshagan (1990) مذهبا قريبا من هذا لدى تناوله العوامل الاجتماعية البنيوية (socio-structural factors) في نظرية لولب الصمت. إذ يرى أنه في المجتمعات المتجانسة (المجتمعات المعيشية في حالتنا: انظر أسفل الصفحة القادمة) هناك اختلاف محدود نسبيا في الآراء، وذلك لوجود عدد محدود نسبيا من مراكز القوة المتمايزة. بالمقابل، في الأنظمة الأوسع، والأقل تجانسا، لا يستبعد أن تعمد وسائل الإعلام على نقد جماعة ما ذات قوة أو سلطة؛ وهي حينئذ تعكس المصالح المتناقضة لجماعات المصالح المختلفة، والتي تمثل بدورها درجة أكبر من التنوع (المجتمعات التعبيرية عن الذات في حالتنا). بالإضافة إلى هذا، تتميز الأنظمة التعددية بوسائل إعلام أكثر تعددية (التعددية الإعلامية في أبعادها المختلفة: في الملكية، السياسية، الجغرافية، الثقافية،...) وهو ما يرجح احتمال تعرض الأفراد لوجهات نظر أكثر كما ونوعا. ويستلزم هذا-حسبهما- أن افتراض Neumann لاتساق مضامين وسائل الإعلام في نظريتها (media consonance) هو أكثر ملاءمة للمجتمعات الأقل تعددية منه في المجتمعات الأكثر تعددية، وأن مناخات الرأي قادرة على ممارسة تأثير أكبر في المجتمعات الأولى منه في الأخيرة.

كما وجدا أن الأفراد في المجتمعات الكبيرة أكثر نزوعا للجهر بآراءهم من نظراءهم في المجتمعات الصغيرة، وأرجعا ذلك إلى شبه الإجماع "pseudo consensus" الذي يمكن أن تشكله وسائل الإعلام في المجتمعات المتجانسة لردع الناس والحيلولة دون تعبيرهم عن أراء "غير شعبية". بينما تضطلع وسائل الإعلام في المجتمعات الكبيرة بوظيفة التحكم في رجع الصدى عبر تشجيع التعبير عن أراء متنوعة.

يؤكد Salmon & Moh (1994) هذا التوجه بل ويتجاوز به مستوى المجتمع إلى الأمة فيقرر: "بعض الأمم أكثر تعددية من أخرى. تمتلك بعض الأمم ثقافة سياسية تحضى بالإجماع أكثر من أمم أخرى. وعليه، لنا أن نتوقع أن تتفاوت شدة تأثير مناخ الرأي بشكل كبير تبعا لمثل هذه الخصائص الاجتماعية الكلية (macrosocial characteristics)"(p.161).

عموما يتمتع الصحفيون بحرية تعبير أكبر في المجتمعات الفردانية/المعبرة عن الذات مقارنة بالمجتمعات الجماعانية/المعيشية (Kenny & Gross, 2008; Van de Vliert, 2011). يصف Manaev (2010) لولب الصمت في الدول المنفصلة عن الاتحاد السوفياتي بأنها أداة للتضييق السياسي[1] كنتاج للتوجه الثقافي الجماعاني. حتى في المجتمعات التي لا تقيد فيها حرية التعبير، لا يتم إنتاج الأخبار بل ولا حتى استهلاكها في فراغ، بل في سياق اجتماعي ثقافي يؤثر في عمليات إنتاج هذه الأخيرة واستهلاكها. في هذا السياق، لربما يسهم ما يعرف بنظرية أو نموذج التأطير (the framing) وتأثيراته في تسليط شيء من الضوء على هذين العمليتين والتفاعل بينهما ومدى وكيفية ارتباط الخصائص الثقافية بها.

يحيل تأثير التأطير حسب Price and Tewksbury (1997) إلى العمليات المعرفية المرتبطة بكيفية تأثير وسائل الإعلام على فهم الأفراد وتأويلهم للأخبار والقضايا، وكذلك على مواقفهم وأحكامهم اتجاهها. ويتم ذلك أساسا عبر انتقاء، تجاهل، تهوين جوانب ما، والتركيز على جوانب معينة من القضايا الاجتماعية في الرسائل

(1) يرتبط تقسيم الثقافات إلى تعبيرية عن الذات/ معيشية أساسا بالظروف الاقتصادية. تحيل الأولى إلى ثقافة التسامح، الثقة، والتركيز على الرفاه الذاتي المتجلي في المجتمعات الحديثة المستقرة التي حققت حاجاتها الاقتصادية الأساسية. بالمقابل، تحيل الثقافات المعيشية إلى المجتمعات التي تواجه صعوبات (وربما اضطرابات) سياسية واقتصادية، ويتصدر اهتماماتها الاستقرار والقيم التقليدية. يمكن لهذه التوجهات الثقافية أن تؤثر في كيفية تعامل أو استجابة مجتمع ما للتغييرات الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية (Inglehart & Baker (2000. يعتبر بعض الباحثين الايديولوجيات الثقافية: الفردانية و التعبير عن الذات كمعالم مميزة للدول الصناعية الحديثة (Fuligni, Tseng, & Lam, 1999; Inglehart & Baker, 2000; Kwak, 2003; Triandis, 1989) ((Rosenthal & Detenber,2014) quoted In).

الإعلامية. وهو ماينشط ويستثير (أي الأطر الإعلامية media frames) مخططات معالجة ذات صلة (relevant processing schemas) - بعينها أي دون أخرى- من ذهن الجمهور لتأويل الرسائل الإعلامية وتشكيل آراء عنها. وأحيانا يحيل التأطير إلى عملية وضع الأطر أو إلى عملية تأثير التأطير على المستوى الفردي أو إلى كليهما (Scheufele, 1999). وهو محصلة تفاعل ديناميكي بين الرسائل الإعلامية من جهة والخرائط أو المخططات الذهنية (schemas) الفردية من جهة أخرى. والسؤال الآن كيف يتأثر التأطير بالخصائص أو التوجهات الثقافية؟

حسب (2007) van Gorp توفر قائمة مشتركة من الأطر في ثقافة ما رابطا وصلة بين إنتاج الخبر واستهلاكه (ص. 61). فعلى صعيد بناء الأطر(frame-building) الإعلامية توفر المعايير الاجتماعية الثقافية على غرار القيم والاعتقادات والتوجهات السياسية والإيديولوجيا وتقاليد الممارسة المهنية إطارا مرجعيا للصحفيين لفهم الأحداث الاجتماعية وبناء القصة الخبرية (Shoemaker & Reese, 1996). (للتوسع انظر: نموذج التشفير/فك الشفرة encoding/decoding عند Stuart Hall).

ينسحب الأمر كما قلنا حتى على الأنظمة التي لا تصادر حرية التعبير، إذ يمكن للتوجهات الثقافية أن تؤثر في تغطية الصحفيين للأحداث.مثال ذلك استخدام الصحفيين في الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية لأطر مختلفة في تغطية قضية إطلاق النار في فرجينيا سنة2007، وقضية المسؤولية الاجتماعية للشركات (رغم أن كلا البلدين تقريبا بنفس المستوى من حرية الصحافة: حسب مؤشر حرية الصحافة 2011 -2012 تحتل كوريا الجنوبية والولايات المتحدة على التوالي المرتبة 44 و47 الأكثر حرية من بين 179 بلد) (مراسلون بلا حدود 2012) وهو ما أرجعه الباحثون في الدراستين إلى الاختلافات في التوجهات الثقافية(Rosenthal & Detember,2018).

هذه الأطر التي تضعها وسائل الإعلام هي بمثابة الحدود التي توجه أفراد الجمهور إلى ما يجب اعتباره و/أو الاهتمام به (عبر الانتقاء، الاجتزاء، والتركيز على جوانب معينة... كما أسلفنا) حال التعرض للأخبار، بمعنى مخطط

تأويلي في شبكة الذاكرة يتم تنشيطه لمعالجة الرسالة الإعلامية بغرض تصورها وإدراكها على نحو ما (scheufele,2008).

أما على صعيد نتائج التأطير على المستوى الفردي، تساهم التوجهات الثقافية في جماعة أو مجتمع ما في تشكيل محتوى وبنية متميزين لشبكة الذاكرة عند الفرد فيها، وتوفر إطارا مرجعيا لفهم القضايا الاجتماعية. ويمكن القول إن نتائج التأطير أي تأثيرات التأطير (تأويل أو إدراك الفرد للرسالة على نحو ما) ترتبط عموما بمدى التناغم (the resonance) بين إطار (أو أطر) الخبر والمخطط. بعبارة أخرى، تعمل التوجهات الثقافية على تنشيط مخططات تأويلية مختلفة على المستوى الفردي من قبل إطار الخبر. وهو ما يفضي إلى تفسيرات وإدراكات مختلفة للرسالة الإعلامية.

كمثال على هذا أجرى fung (2010) تجربتين سعى فيهما إلى محاولة تناول التباين بين استجابات الأفراد أحاديي الثقافة(monocultural) والأفراد ثنائيي الثقافة(bicultural) للرسائل الإعلامية، وبصفة خاصة كيف تتفاوت تأثيرات التأطير بين الثقافات. في التجربة الأولى قدم fung قصة خبرية تتعلق بسياسةرعاية المسنين عند الصينيين والأمريكيين. كانت سياسة رعاية المسنين في القصة الخبرية تارة تؤكد على قيمة الرحمة لدى الأبناء (إطار قيميvalue-frame)، قيمة كونفوشية تتعلق بالعلاقات بين الأبناء والآباء، وتارة لا تؤكد على أي شيء (تجربة أو وضعية شاهدة). أظهرت النتائج أن الصينيين كانوا أكثر تأييدا لسياسة رعاية المسنين من الأمريكيين، وحملوا أولادهم البالغين مسؤولية أكبر في رعايتهم أكثر مما فعل الأمريكيون. الاختلاف في تأثيرات التأطير بين الصينيين والأمريكيين يمكن رده إلى التباين في وفرة المخطط القيمي (value schema) بين الثقافتين.

في التجربة الثانية، اختبر fung تأثيرات التأطير على صينيي هونغ كونغ، الذين يجمعون بين النظام القيمي الكونفوشي والنظام القيمي الأمريكي في أذهانهم. لتنشيط أحد النظامين القيميين ليكون أكثر حضورا أو جاهزية

للمعالجة أو أكثر قابلية للنفاذ أو الولوج (accessible) بهدف المعالجة. تم تنبيه أو تحضير أو توجيه اهتمام المبحوثين إما بأيقونة ثقافية أمريكية أو بواحدة صينية. تلا ذلك أن عرض على المبحوثين قصة خبرية تتعلق بسياسة رعاية المسنين، ولكن تارة تركز على قيمة الرحمة لدى الأبناء وتارة لا تركز على أي قيمة محددة. أظهرت النتائج أن صينيي هونغ كونغ الذين تم تنبيههم أو تحضيرهم أو توجيه اهتمامهم (primed) بواسطة أيقونات ثقافية صينية يحملون مسؤولية أكبر للأبناء وأقل للآباء مقارنة بأولئك الذين تم تنبيههم أو تحضيرهم بأيقونات ثقافية أمريكية. يعود هذا الاختلاف في تأثيرات التأطير إلى التناغم أو الصدى بين الإطار الإعلامي والنظام القيمي المطبق للمعالجة.

إجمالا، يمكن القول أن التوجهات والخصائص الثقافية ومن خلال طبيعتها الإعلامية والتوجيهية(informational & prescriptive) -والإلزامية أحيانا- توفر- من منظور تأثيرات التأطير (وإن كانت هناك حاجة ماسة لمزيد من الدراسات لتبين مدى ارتباط العوامل الثقافية بتأثيرات التأطير، لهذا الغرض أنظر: Fung (& Cheufele ,2014))- من جهة إطارا مرجعيا لكل من وسائل الإعلام في بناء وعرض الرسالة الإعلامية- وبالتالي تشكيل وتصوير مناخ الرأي حول القضايا؛ ومن جهة أخرى، توفر أيضا لأفراد الجمهور إطارا مرجعيا في كيفية الاستجابة عموما - وتحديدا- في إدراك الرسالة الإعلامية، ومن بينها إدراك مناخ الرأي السائد عن القضايا.

هذا عن التأثيرات غير المباشرة للتوجهات الثقافية في تشكيل إدراكات الأفراد لمناخ الرأي السائد وذلك من خلال التأثير على الاتصالين الشخصي أو ذاك المرتبط بوسائل الإعلام. نعرج الآن إلى استعراض بعض من أوجه التأثيرات المباشرة للتوجهات الثقافية على إدراكات الأفراد لمناخ الرأي السائد أو الإجماع في محيطهم.

يرى Rosenthal&Detember (2014) أن الطبيعة الأساسية للتوجه الثقافي قد تهيئ الأفراد إلى إدراك درجات متفاوتة من الإجماع في الرأي العام. ويفترض أن تحدث هذه الإدراكات في من ينتمون إلى الأقلية كما في من ينتمون إلى الأغلبية. فمن يعتقدون أنهم من الأغلبية سيكونون أكثر استعدادا للتعبير عن آراءهم (أو أقل

استعدادا للرقابة الذاتية) بمعزل عن توجهاتهم الثقافية. بالمقابل، سيدرك الأفراد في الأقلية إن كانوا من ذوي التوجهات الفردانية/التعبيرية عن الذات (individualist self-expressive) إجماعا أقل في محيطهم، وبالتالي سيكونون أكثر استعدادا للتعبير علنا عن آراءهم؛ أما إن كان الأفراد في الأقلية من ذوي التوجهات الجماعانية/ المعيشية (collectivist survivalist) فسيدركون إجماعا أكبر في محيطهم وبالتالي سيكونون أقل استعدادا للتعبير عن آراءهم (أو أكثر استعدادا للرقابة الذاتية).

في نفس الاتجاه، وفي دراسة zou et al (2009) لتأثير الاختلافات الثقافية على سلوك التوافق (اتباع النمط السائد compliance) وتفسير السلوكات behavioral attribution)، تم تناول تأثير متغير اعتقاد الإجماع الثقافي (perceived cultural consensus) على المتغيرين السابقين مقارنة بالاعتقاد الشخصي في تفسير الاختلافات الثقافية محل البحث. أجريت التجربة الأولى على عينتين بولندية (أكثر جماعانية نسبيا) وأمريكية (أكثر فردانية نسبيا). أظهرت النتائج أنه يسود اعتقاد أكبر لدى البولنديين بإجماع على القيم الجماعانية مقارنة بالأمريكيين. تبين أيضا أن البولنديين أكثر تأثرا بالمعلومات عن الأقران (كيف يسلك الأقران في محيطهم)؛ كما أنه في كلا العينتين ثبت ارتباط إيجابي بين اعتقاد الإجماع على الجماعانية والتأثر بالمعلومات عن الأقران، بينما لم يثبت ارتباط بين الاعتقاد الشخصي وتأثير المعلومات عن الأقران. فسرت النتائج بتأثير التوجهات الثقافية (الجماعانية في حالتنا) على السلوك التوافقي (محاكاة الغير) بواسطة اعتقاد الإجماع الثقافي (كمتغير وسيط).

في تعليقه على هذه النتائج يقول Rosenthal & Detenber (2014): "تحيل هذه النتائج للتأثيرات المحتملة للتوجهات الثقافية على الإجماع المعتقد: يحدث أن يدرك الناس في الثقافات الجماعانية دورا منتظما نسبيا للأفراد في المجتمع، وكنتيجة عنه جزئيا، يكونون آراء أو ينخرطون في سلوكات المعايير الجماعانية المدركة"(ص.195).

في التجربة الثانية، اختيرت عينتان: واحدة صينية والأخرى أمريكية، وعرض عليهما ممثل يقوم بسلوك مخالف لما هو مألوف، وطلب من المبحوثين في كلتا العينتين تفسيرا لهذا السلوك: بين نسبته إلى عوامل شخصية (داخلية) أو عوامل وضعياتية (خارجية سياقية) (هنا هو بصدد قياس الاعتقاد الشخصي). ثم طلب منهم التعبير عن اعتقادهم بمدى تحقق الإجماع على ذاك التفسير في محيطهم (قياس اعتقاد الإجماع على التفسير). أظهرت النتائج-كما في الدراسات السابقة- شيوع نسبة السلوك إلى العوامل الشخصية عند الأمريكيين (dispositional attribution)، وشيوع نسبته إلى عوامل وضعياتية (تأثير الغير عموما situationnal attribution) عند الصينيين. أظهرت النتائج أيضا وجود ارتباط إيجابي بين اعتقاد الإجماع على تفسير ما للسلوك (perceived attribution consensus) (دون الاعتقاد الشخصي أي المطلق) وتبني الفرد لهذا التفسير للسلوكات(وضعياتي/شخصي). أكدت هذه النتائج نتائج التجربة الأولى من أن تأثير الاختلافات الثقافية على تفسير الفرد للسلوكات يتوسطه- كمتغير وسيط- اعتقادالإجماع على ذلك التفسير في محيطه (بين نسبته إلى عوامل داخلية شخصية أو إلى عوامل وضعياتية).

تؤكد هاتان الدراستان أن تأثير الثقافة على الأفراد يتم بشكل مباشر على أراءهم، وبشكل غير مباشر من خلال الإجماع المعتقد (the perceived consensus).

يردف Rosenthal & Detenber (2014) معلقا: "وهكذا، يمكن أن يحدث مسار مهم لتشكل الرأي، مثلا، عندما (أ) يعتقد أفراد الثقافات الفردانية أن أقرانهم يمكن أن ينسبوا السلوكات غير المألوفة إلى عوامل شخصية داخلية، و(ب) هذا الإجماع المعتقد يؤسس لاعتقادات شخصية لوقوف العوامل الشخصية وراء السلوكات. وينتج عن ذلك أن أعضاء الثقافات الفردانية يمكن أن يكونوا أكثر تقبلا للسلوكات العالية التعبير عن الذات، والمنبثقة بوضوح عن عوامل شخصية".

تترتب عن هذه النتائج مسائل مهمة للولب الصمت. في الثقافات الجماعانية/المعيشية، حيث يعتقد الأفراد بوجود إجماع عن كون سلوكات الآخرين يجب أن تعكس وتستجيب لمقتضيات وضعياتية، يمكنهم أن يكونوا اعتقادات شخصية تتعارض والتعبير الفرداني عن الذات. هذه الاعتقادات الشخصية يجب أن تعكس المعايير الثقافية المتشربة واتباع الإجماع الثقافي المدرك. ليس عندنا أي سبب لاعتقاد امتلاك الثقافات الجماعانية/المعيشية إدراكا لإجماع أكبر عن أسباب السلوكات من ذاك المدرك عند الأفراد في الثقافات الفردانية/التعبرية عن الذات. وإنما لا يعدو ذلك اختلافا في طبيعة الإجماع من ثقافة إلى أخرى.

بالفعل، يمكن لتأثيرات الإجماع المدرك على تشكيل الرأي والتعبير عنه أن تتغير بشكل درامي عبر مجال التوجهات الثقافية.

ختاما حري بنا-على سبيل تأكيد بعض ما تقدم- الإشارة إلى ما سطره Nisbett et al (2005) في عملهم الموسوم"Culture and Systems of Thought: Holistic Versus Analytic Cognition ".

إذا استعرضوا فيه جملة من الاختلافات الثقافية بين الصينيين (كممثل عن الثقافة الأسيوية) والأمريكيين (كممثل عن الثقافة الغربية)، مشفوعة بتجارب ودراسات أيدتها. وكان من أهمها في سياقنا هذا الانتباه والاهتمام أكثر بالسياق الذي يقع فيه الحدث أو ينتمي إليه الشيء محل البحث (contextualization) عندالأسيويين، بمقابل انتباه أكثر للأمريكيين واهتمام بالحدث أو الشيء قصرا بمعزل عن السياق الذي ينتمي إليه (decontextualization). لهكذا تباين فيما يُنتبه إليه ويُهتم به بين الثقافتين تداعيات على طبيعة إدراكاتنا للواقع، وكيفية تفسير هذا الواقع بين نسبة الأسباب إلى خصائص كامنة في الشيء أو الشخص أو الحدث (في حالة الأمريكيين)، أو إلى العلاقات التي تربطه بمحيطه، أي إلى السياق أو الوضعية (حال الأسيويين) (dispositions versus contexts in explaination). كما ينعكس ذلك ويتجلى في مقاربتهم للمشاكل والتناقضات: حرص لدى الاسيويين على تحري الحلول التوفيقية

للمشاكل، وقبول الحجج القائمة على مبادئ الكلية(holism) والاستمرار، والتوليف بين التناقضات الظاهرية أو تجاوزها؛ بينما ينزع الأمريكيون في مقاربتهم للمشاكل والتناقضات إلى رفض إحدى أو كلا القضيتين التي يتصور أن تناقضا يجمع بينهما (Dialectics versus the law of noncontradiction).

يشدد Nisbett وفريقه في دراستهم على غزارة الشواهد الأدلة التي تؤيد النزوع اللاواعي-كمؤشر عن رسوخها- لكلا أفراد الثقافتين للانتباه لجوانب دون أخرى، وتطبيق نوع من العمليات الذهنية على حساب أخرى، وتبني تبعا لذلك إدراكات وتفسيرات للواقع. كما يؤكد على حقيقة وأهمية الاختلافات في إدراكات الواقع الراجعة إلى العوامل الثقافية، الأمر الذي عملنا على استعراض بعض الشواهد والأدلة عليه في جزئية منه: مناخ الرأي السائد.

2-3-2- الخوف من العزلة عبر الثقافات:

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن دافع الانتماء (the need to belong) حاجة طبيعية فطرية أساسية لدى الإنسان. ويستدلون على قوتها وتجذرها لدى الإنسان تحكمها في عدد غير قليل من إدراكاته ومواقفه وسلوكاته. وتتجلى هذه الحاجة عمليا، ضمن أمور أخرى، في سعي دؤوب للفرد لينسج من العلاقات ما يتناسب وحاجته تلك في المحيط الذي يعيش فيه وصيانتها. كما تفرز حساسية شديدة لديه إزاء ما يتهددها، وهو ما يصطلح عليه بالخوف من العزلة، أو الخوف من التقييم السلبي، أو...

خوف العزلة هذا، بالإضافة إلى عوامل أخرى، يقتضي تجنب كل سلوك يتنافى والمعايير والقيم وأنماط السلوك التي تواضع عليها الأفراد في جماعته أو محيطه، حذَر أن توقعه تحت طائلة العقاب على اختلاف أشكاله وتفاوت شدتها على غرار فقدان ماء الوجه، التقييم السلبي، الهجر، النبذ... وهي بوجه من الوجوه ضروب متباينة من العزلة.

ولئن كانت الحاجة إلى الانتماء يفترض وجودها كنزعة فطرية لدى عامة البشر في سائر الثقافات، غير أنه لا يستبعد وجود تباين في شدتها عبر الثقافات، واختلافات فردية وثقافية في التعبير عليها وإشباعها. وينسحب ذلك

بداهة على وجود تفاوتات في مدى الحساسية حيال ما يمكن أن يعرض لهذه الحاجة من أخطار وتهديدات، تتجلى كما قدمنا في اختلافات بين الثقافات وضمن الثقافات (within and cross-cultural differences) في الخوف من العزلة أو أي ضرب من ضروب العقاب.

في سياق متصل، نذكر بما سبق أن نقلناه عن Neumann نفسها من كون التعبير العلني عن الرأي يتأثر بالثقافة، الأمر الذي يرجح، إن لم يستلزم وجوبا، بشكل ما و/أو إلى حد ما تأثر العامل الذي وصفته بمفجر السيرورة – الخوف من العزلة- بالثقافة.

يتأكد هذا، باعترافها هي نفسها، بظاهرتي النواة الصلبة والطليعة (the avant-guarde & the hardcore). فمن تسميهم Neumann بالنواة الصلبة أو المتصلبون هم حسبها يجهرون بآراءهم وإن كانوا أقلية كونهم " اعتادوا على العزلة" أو "يعتبرون العزلة ثمنا يجب عليهم دفعه نظير تأييدهم رأي أقلية"(Neumann,1974. p.48-49.) أما بخصوص الطليعة فهم" إما لا يعرفون خوفا من العزلة أو قد تجاوزوه" (Neumann,1993. p.139)

في هذا الصدد، نسجل دعوة Kim & Makkman (2013) تبعا لوقوفهما على بعض مكامن القصور في الدراسات التي تعنى بالفوارق الثقافية وأثرها على بعض الجوانب المعرفية- الإدراكية والسلوكية، إذ دعيا إلى إجراء مقارنات تبنى على الفوارق الفردية بين وضمن الثقافات (within and cross cultures). وقد عكفا على دراسة التباين في أساليب أو استراتيجيات حل الصراعات أو معالجة الخلافات بين الثقافات الأسيوية من جهة، والتي يبرز فيها نزوع شديد إلى الحلول التوفيقية والتركيز على العلاقات بين الأفراد. ومن جهة أخرى، الثقافة الأمريكية التي يميل أفرادها أكثر إلى منطق الحسم في الصراعات والتركيز أكثر على الأفراد. وقد سجلا في هذه الدراسة تفاوتا بين الجانبين في الخوف من العزلة، والذي كان لدى الأسيويين (الكوريين) أكبر منه لدى الأمريكيين. كما سجلا ارتباطه بأسلوب حل الصراعات. بل فوق ذلك، وجدا أنه لدى رفع مستوى الخوف من العزلة عند الطلاب الأمريكيين تجريبيا، لوحظ تبنيهم لنفس استراتيجة حل الصراعات المسجل عند نظراءهم الأسيويين (; Nsibett & Peng,1999

Nsibett et al,2001 ; Lung ,1987). وفي هذا تأكيد لنتائج دراستهما (Kim & Makkman,2006) عن التباين بين الثقافتين في أسلوب التفكير والاستدلال المتسم بكلياتية أكبر (more holistic) لدى الأسيويين، وبتحليلاتية أكبر (more analystic) لدى الأمريكيين؛ وكذلك اتسامه بالطابع الجدلي (السعي للتوفيق والجمع بين عناصر متضادة) واهتمام أكبر بالمعلومات السياقية لدى الأسيويين أكثر منه لدى الأمريكيين. (Dialectical thinking and sensitivity to context information)

ما يستفاد من الدراستين أن هناك تفاوت بين الثقافتين في الخوف من العزلة، وأن الخوف من العزلة يفسر الاختلاف في التفكير الجدلي والأسلوب التوفيقي في حل الصراعات داخل كل من الثقافتين المدروستين. وفوق ذلك، يفسر التباين في مستويات تفضيل هذا الأسلوب بين الثقافتين.

في سياق يتصل بهذا، يذكر Markus & Kitayama (1994) أنه في كثير من السياقات الثقافية في شرق آسيا، هناك خوف ثابت لدى الفرد من الوحدة، من العزلة أو أن يفصل عن الجماعة. كما تنعت هناك كل رغبة في الاستقلال أو التفرد بكونها غير طبيعية أو غير ناضجة. وفي موقع آخر يؤكدان أنه لا يتجلى كثقافة أكثر واقعية بالنسبة لشخص من القلق (في السياقات الثقافية في شرق آسيا) ولا من النشوة أو الإثارة (المستشعرة عادة في السياقات الثقافية الأمريكية) الناتجين عن الظهور والتميز عن الآخرين.

دفع Federeci,Stella,Hunefeldt (2011) هذا التوجه البحثي أبعد لدى مقارنتهم بين ثقافتين غربيتين: الأمريكية والإيطالية في مستوى الخوف من العزلة تبعا لتفاوتهما في مؤشر الجماعانية (حسب Hofstede(2010) الإيطاليون أكثر جماعانية من الأمريكيين). فوجدوا أنهما يتفاوتان: إذ سجل خوف من العزلة أكبر لدى الإيطاليين منه لدى الأمريكيين، وإليه أوعزوا تشابها أكبر بين الإيطاليين والأسيويين في طريقة التفكير والاستدلال السابق الذكر.

يستفاد من نتائج هذه الدراسة أن الاختلافات في الخوف من العزلة ليست واقعا مقتصرا بين الثقافة الغربية وغيرها من الثقافات، بل هو واقع ضمن الثقافة الغربية ذاتها. كما أن الاختلافات في جملة من الجوانب الإدراكية والسلوكية ضمن وبين هذه الثقافات ترتبط بهذا الأخير.

يعضد هذا ما توصل إليه Horsney et al (2006) لدى بحثهم تأثير المعايير الفردانية والجماعانية على تقييم الجماعة للمخالفين. وجدوا أنه في الجماعة التي تسود فيها قيمة الجماعانية يبرز فيها تفضيل كبير للطلبة المتوافقين (conformist) مقارنة بالطلبة المخالفين (non-conformist). بينما سجل في الجماعة التي تسود فيها قيمة الفردانية لا مفاضلة تقريبا بين المتوافقين والمخالفين، فكانت المواقف نحوهم سواء نسبيا.

وفي فقرة عنونها Horsney et al (2006.p.3) " المخالفون ليسوا دوما محل تقييم سلبي" (deviants are not always downgraded)، استعرضوا عددا من الدراسات التي تدلل على تفاوت النظر والموقف من المخالفين حسب السياقات الثقافية (Hollander,1958; Moscovici & lage,1978;Dedrick,1978;Bass,1998;...).

في نفس الاتجاه يذهب Rosenthal & Detenber (2014) إلى أن الحدس يدفع للقول بتأثيرات ممكنة للتوجه الثقافي على الخوف من العزلة: "كلما ازداد التوجه الجماعاني في مجتمع ما ازداد الضرر الشخصي الناتج عن العزلة الاجتماعية" (ص. 192) يقابل هذا حسبه أن "في المجتمعات الفردانية، يتقبل منك الاستقلال عن التيار العام (المعيار أو التوجه الغالب)، فلا يؤدي السلوك المخالف إلى العزلة الاجتماعية" (ص. 193).

يبسط Horsney et al (2006) هذا المعنى بشكل موجز جميل:

> *« « The norm of individualism causes people to decategorize, meaning that they perceive themselves and other group members as individuals. However, members of individualist groups are still bound by a group norm, but one in which individualist behavior is normatively prescribed. In other words, attitudes and behavior can be conceptualized (somewhat ironically) as a manifestation of group*

influence—the result of conformity to an individualist group norm » ».
(p.92)

يفهم من هذا أن الأشخاص الذين يخالفون التيار العام أو الغالب في المجتمعات ذات التوجه الفرداني إنما هم بصدد اتباع المعيار السائد، ألا وهو التفرد والاستقلال، فهم آنذاك في حال متسقة مع هويتهم الاجتماعية. وهناك من البحوث الامبيريقية ما يؤيد هذا الطرح (Jetten, Postmes, McAuliffe, 2002). بالمقابل، المخالفون للتيار الغالب في المجتمعات الجماعانية، يكونون في تعارض مع ما هو سائد كمعيار اجتماعي (as a social norm)، ألا وهو التناغم والتوافق مع الجماعة. وهو ما يرجح وقوعهم تحت تهديد العزلة الاجتماعية.

من جهته، خلص Hayes et al(2013) في بحثه لعلاقة الخوف من العزلة بإدراك مناخ الرأي السائد في عشر دول ذات ثقافات مختلفة (الو.م.أ، فرنسا، الصين، إسبانيا، البرازيل، كوريا الجنوبية،..)، إلى وجود تأثير للأول على الثاني متفاوت من بلد إلى آخر. تأثير يرتبط بمستوى الاهتمام برصد مناخ السائد العائد إلى مستوى الخوف من العزلة، المتفاوت بدوره من بلد إلى آخر. تأثير خوف العزلة هذا، المتفاوت عبر الثقافات، رجحوا أن يتعدى للتأثير على الاستعداد العلني عن الرأي(الرقابة الذاتية)، على نحو ما وبشكل متفاوت نسبيا، وإن لم تبن عليه نتائج دراسته.

بموازاة ما ذكرنا، يجدر بنا التنويه إلى ما أثبتته عدد من الدراسات من تأثيرات واضحة لكونفورميا الجماعة على المواقف والسلوكات في الثقافات الفردانية نفسها (مثل: Nolan et al,2008 ;Asch, 1956). وهو ما يؤشر لنزوع فطري لدى البشر للتفكير والشعور والسلوك على نحو يحاكي ويتوافق مع الأغلبية في محيطهم. يتقوى هذا مع ما أشار إليه Asch (1956.p.31)، إذ وجد في مقابلات تلت تجربته الشهيرة أن ضمن طلبة الجامعة في أمريكا، حتى الأكثرهم، استقلالا يخافون أن ينكر عليهم تميزهم أو مخالفتهم عندما يعبرون عن إجابة مخالفة للأغلبية، وإن كانت صحيحة في واقع التجربة.

رغم هذه النزعة التي تبدو ظاهريا فطرية لدى عامة البشر، إلا أنه يمكن القول إجمالا، ومن خلال ماسقناه من شواهد، أن الخوف من العزلة يتأثر بالتوجهات الثقافية السائدة في مجتمع ما، وتبعا له ينعكس ذلك، ضمن أمور أخرى، على تفاوت مستويات الاهتمام بمناخ الرأي السائد، الرقابة الذاتية، الكونفورميا، عبر الثقافات.

2-3-3- التعبير العلني عن الرأي أو كونفورميا الرأي بين الثقافات:

ثمة وعي متزايد لدى علماء النفس بكون النفس «the self» أكبر من مجرد مجموعة من الخصائص الفردية التي تبقى ثابتة عبر الزمن والسياقات (Gergen, 1981 ; Fazio, Effrein, & Falender ,1981 ;Goffman, 1959; McGuire & McGuire, 1982; Niedenthal & Beike, 1997; Rogers, 1951).

كما أن المنظورات الحديثة عن بنية النفس ومحتواها أو مضمونها تشمل المفاهيم الأوسع للثقافة والمؤسسات الاجتماعية(collectives) بوصفهما يتدخلان بشكل جوهري في تعريف النفس ومدى ربطها بالآخرين

(Brewer, 1991; Deaux, 1992; Markus & Kitayama, 1991; Moscovici, 1984;Oyserman, 1993; Tajfel & Turner, 1979; Triandis, 1989,1990. Quoted In (Redmond et al,2004)).

ولعل هذا عائد، ولو جزئيا، إلى ملاحظة حجم التأثير الذي يمارسه السياق الاجتماعي الأوسع على تصورات النفس (self representations) (Redmond et al,2004).

يذهب (1989) triandis أبعد من هذا عندما ينقل مشاطرة هذا الرأي من قبل حقول معرفية عدة من قبيل علم الاجتماع، الانثروبولوجيا، فضلا عن علم النفس: من كون النفس (وهو يتناولها في عمومها بكل ما تشمله من جوانب: الاتجاهات، الاعتقادات، النوايا، الأدوار، المعايير، القيم) هي، ولو جزئيا، تتشكل نتاج تفاعلات الفرد مع الجماعة (أو الجماعات) التي ينتمي إليها. وأن هناك أدلة تفيد بتباين طبيعة هذه النفس عبر الثقافات. والأدلة التي تثبت ارتباط النفس بالسلوك أكثر من أن تحصى(Triandis,1989). يقول (1998) Park:

« « Many social behaviors can be explained based on the different conceptsof self cultivated in different cultures. » » (P. 13)

ويفصل Triandis (1989) أكثر:

«« Culture is to society what memory is to the person. It specifies designs for living that have proven effective in the past, ways of dealing with social situations, and ways to think about the self and social behavior that have been reinforced in the past. It includes systems of symbols that facilitate interaction, rules ofthe game of life that have been shown to "work" in the past. When a person is socialized in a given culture, the person can use custom as a substitute for thought, and save time. »» (P. 511-512).

يتعزز هذا مع ما قرره عدد من الباحثين في سعيهم لتفسير السلوك الاجتماعي في علاقته ببعض أبعاد الثقافة (مثلا الفردانية/ الجماعانية). إذ أقروا بصعوبة اختبار تفسير سببي للسلوك (ظاهرة على المستوى الفردي) بناء على تفسيرات على المستوى الثقافي (kashima,1989). وجنوحا منهم إلى تفسيرات بديلة على المستوى الفردي عمد جملة من الباحثين إلى اقتراح متغير مفهوم النفس أو تصور الذات (the self-concept or the self-construal) عبر الثقافات كعامل وسيط يربط الثقافة بالسلوك

. (Gudykunst et al,1996 ; Triandis,1989 ; Markus& Kitayama (1991a; 1991b))

ورغم كثرة الطروحات المتعلقة بتصورات النفس عبر الثقافات، إلا أن أهمها وأكثرها استخداما على الإطلاق كان مفهوم النفس المرتبطة/النفس المستقلة (independent-self/interdependent-self) عند (Markus & Kitayama1991a; 1991b). وحسبهما، يتمثل أهم اختلاف في تصور النفس عبر الثقافات- والذي يرتبط بصلة وثيقة بالفردانية/الجماعانية- في مدى ارتباط الفرد أو استقلاله عن الآخرين في محيطه. بعبارة أخرى، تصور الأفراد على أنهم مرتبطون بعضهم ببعض هو ما يطلق عليه مفهوم النفس المرتبطة. بالمقابل، النظرة الغربية للفرد على أنه

كيان مستقل، مكتف ذاتيا، مشتمل على تشكيلة فريدة من الخصائص الداخلية هو ما يطلق عليه مفهوم الذات المستقلة.

ويبسطان هذين المفهومين أكثر:

> *« « some cultures, on certain occasions, the individual, in the sense of a set of significant inner attributes of the person, may cease to be the primary unit of consciousness. Instead, the sense of belonging to a social relation may become so strong that it makes better sense to think of the relationship as the functional unit of conscious reflection » ».* (Markus & Kitayama, 1991a, p. 226)

ويقتضي هدا المفهوم معياريا في الثقافات الفردانية أن يكون الفرد مستقلا وأن يكتشف خصائصه الفريدة ويعبر عنها. هذه الخصائص الداخلية هي الأهم في توجيه سلوكات الأشخاص ذوي النفوس المستقلة. بالمقابل، مقتضى ذاك معياريا في الثقافات الجماعانية أن يحافظ على العلاقات والارتباط بين الأفراد وألا يكون للخصائص الداخلية كبير دور في توجيه السلوك العلني خاصة (Park, 1998).

مثل هذه التصورات للنفس عبر الثقافات لها تداعياتها وانعكاساتها على مستويات عدة مثل الإدراكات، الاتجاهات والدوافع، وتبعا لذلك حتما السلوكات. يقول Markus and Kitayama(1991b) في معرض شرحه لهذا:

> *« « for those with independent selves, social influence is often equivalent to "conformity," implying an inability to resist social pressure and stick to one's own perceptions, attitudes or beliefs, which are the defining features of the self. For those with interdependent selves, however, social influence may more commonly be construed as "adjustment" of one's self according to relevant others with whom one is interdependent » ».*

تتفاوت الثقافات تحديدا في مقدرا ما تفرضه على أفرادها من التزام بمعاييرها (يراجع في هذا الصدد مفهوم الثقافات الضيقة (tight cultures) والثقافات الفضفاضة (loose cultures) عند (Triandis,2012))، وبالتالي مقدار ما تبديه من تسامح مع المخالفين أو المنتهكين لمعاييرها من أفرادها. وينسحب هذا على تصورها للكونفورميا و/أو التفرد، فالسلوك ذاته إن جاء موافقا للمعايير أو لما تراه الأغلبية في الجماعة، نظر إليه في سياق ثقافي على أنه تناغم (harmony)، بينما اعتبر في سياق ثقافي آخر كونفورميا وإذعانا وخضوعا (submission). من جهة أخرى، السلوك ذاته إن جاء مخالفا للمعايير الاجتماعية أو للمواقف المتبناة من الأغلبية في الجماعة اعتبر في سياق ثقافي تفردا واستقلالا، بينما نظر إليه في سياق ثقافي آخر على أنه مخالفة وربما انحراف وشذوذ (deviance).

في هذا السياق يؤكد (1990) Bruner أن رفض معايير معينة أو اتباعها لا يحمل أي قيمة ذاتية (أي لا الحسن ولا القبح كامن في ذاتها)؛ إن السياق الثقافي هو الذي يمنح المعنى والقيمة للسلوك ويحدد ما إذا كان سيفهم ويتلقى على أنه حسن أو سيئ.

> *« « The acts of rejecting or following norms do not carry any inherent valence ; it is the cultural context that provides the connotation and determines whether an act will be understood and experienced as good or bad » »* (Bruner, 1990).(quoted In (Kim & Markus,1999)).

ويتجلى هذا التأثير بصورة أشد في القضايا التي تحمل بعدا قيميا أخلاقيا، ولا يقتصر عليها، بل يتعداها- كما تبينه العديد من الدراسات- ليطبع أبسط السلوكات والاختيارات والتفضيلات(preferences) التي تحفل بها يوميات حياتنا.

كمثال عن ذلك سنعرض لعملين بارزين. أجرى (1999) Kim أربع دراسات تناول فيها أثر العوامل الثقافية على تفضيلاتنا واختياراتنا وأي نماذج للحسن والسوء تقدمها الوسائل الإعلامية ممثلة في الإعلانات الإشهارية.

في الدراستين الأوليين عرض على طلبة صينيين وأمريكيين أشكال مكونة من أجزاء متطابقة عموما إلا واحدا أو قليلا منها (شكل أو أشكال فريدة). وجد في كليهما تفضيل للصينيين للأشكال الجزئية المتشابهة، بينما اتجه تفضيل الأمريكيين للجزء أو الأجزاء القليلة المتميزة أو الشاذة، ولوحظ أن التفضيل يشتد في الاتجاهين إن اقتصرت الأشكال المخالفة على واحد فريد لا جزءا من أقلية متعددة. حسب Kim يتسق نمط تفضيلات المبحوثين مع القيم الثقافية رغم عدم وجود أي ضغط ظاهر ولا أية تداعيات محتملة لأحكامهم. وهو ما جعله يرجح أن أحكامهم تلك تعكس تفضيلاتهم الحقيقية بمعزل عن خضوعهم لضغوط اجتماعية. رغم أن الاتجاهات الثقافية نحو الكونفورميا والتفرد (conformity and uniqueness) تتشكل لدى تفاعل الفرد مع الأحداث الاجتماعية، إلا أنها تؤثر حتى على أحكامهم على أشياء مجردة بمعزل عن أي سياق اجتماعي. تم تبني القيم الثقافية من قبل الأفراد فغدت أفكارهم وتفضيلاتهم هم، وهذه الأخيرة تؤثر في إدراك الأشياء المجردة البسيطة.

أثبتت الدراستان أن تأثيرات القيم الثقافية على تفضيلات الأفراد للتفرد و/أو للكونفورميا تتجلى حتى في أحكامهم التفضيلية على أشياء مجردة بسيطة (أشكال بسيطة) بمعزل عن أي سياق اجتماعي قد يشكل ضغطا ما، ولا أية تداعيات محتملة تنبني عنها.

في الدراسة الثالثة كان الهدف اختبار تأثير القيم الثقافية على الاتجاهات نحو التفرد والكونفورميا ولكن هذه المرة على مستوى الاختيار (كتعبير عن التفضيلات). عرض على عينتين من الطلبة الأمريكيين والصينيين كهدية اختيار قلم واحد من حزمة من خمسة أقلام أحدها ذو لون مختلف. وكان الهدف اختبار كيف يؤثر مظهر شيء- إن كان مشابها لغيره (من الأغلبية) أو مختلفا عنهم (من الأقلية) - في نمط اختيار أفراد عينتين من ثقافتين مختلفتين. أظهرت النتائج نزوع الصينيين إلى اختيار الأقلام ذات اللون الغالب بينما نزع الأمريكيون إلى اختيار الأقلام ذات اللون المتميز أو الفريد. جاءت هذه النتائج متسقة بشدة مع نتائج التفضيلات. بعبارة أخرى، القيم الثقافية المرتبطة بالكونفورميا والتفرد التي ثبتت على مستوى نمط التفضيلات تم استصحابها وتأكيدها على مستوى نمط الاختيارات.

اختار الأمريكيون القلم الفريد المتميز بينما تجنب الصينيون القلم الشاذ. يبني الأفراد اختياراتهم كما تفضيلاتهم على أساس المعاني المرتبطة بالأشياء أكثر منها على أساس الخصائص الذاتية للأشياء (مثلا Hunt, 1955; Irwin & Gebhard, 1946; Rozin & Zellner, 1985; Zajonc, 1968). حسب Kim الأمريكيون الذين اختاروا لون القلم الأكثر تميزا والصينيون الذين تجنبوا لون القلم الأكثر تميزا لم يقوموا باختيارهم هذا بدافع من حبهم للون قلم ما، بل لأن اللون تميز أو شذ عن الجماعة.

في الدراسة الرابعة عمد الباحث إلى تحليل مضامين إعلانات المجلات المرتبطة بقيم الكونفورميا والتفرد في كل من كوريا الجنوبية والو.م.أ. وتكمن أهمية تحليل هذه الإعلانات في كونها أنتجت بطريقة عفوية في سياق طبيعي تثبت أن أنماط التفضيلات والاختيارات ليست إجابات مفبركة في عمل بحثي. يضاف إلى هذا أن الإعلانات بطبيعتها تعكس جانبا مهما من التمثلات (representations) الاجتماعية التي يتقاسمها الجمهور وتؤثر فيه. ذلك أن أي معلن كفئ يحرص على أن يعكس التفضيلات المحتملة للمستهلكين ويسعى للتأثير عليها. أظهر التحليل أن المواضيع المستخدمة في الإعلانات في كلا البلدين تعكس القيم الثقافية السائدة في كل منهما. تركز الإعلانات الكورية على مواضيع الكونفورميا المتسقة مع قيم الجماعة وتناغمها، بينما تركز الإعلانات الأمريكية على مواضيع التفرد المتسقة مع قيم الحرية والتميز. وهي نتائج تتفق في عمومها مع تلك المتعلقة بالتفضيلات والاختيارات في الدراسات 1، 2 و3. أيا كانت التقنيات أو الإغراءات المتبناة يعمل المعلنون على استخدام صور ذهنية وقيم يعتبرونها في ثقافتهم حسنة وجذابة (Caillat & Mueller, 1996; Gregory & Munch, 1997; Javalgi, Cutler, & Malhotra, 1995; Zhang & Gelb, 1996). لدى تضمينها في الإعلانات تصبح المواضيع الثقافية جزءا من البيئة الثقافية الاجتماعية التي يتعلم فيها أعضاء ثقافة ما القيم والأفكار الثقافية ويجسدونها. يفترض في الإعلانات بصفة خاصة خلق صورة إيجابية وتمثيل أشياء جذابة مرغوبة، مما يجعلها سهلة الفهم والتعلم من قبل أفراد الجمهور. أكثر من ذلك، تصبح الصور في الإعلانات، التي تبدو منبتة الصلة عن منتجيها، تصبح المقياس الموضوعي للجمال والحسن في نظر الجمهور على المستويين الفردي

والجماعي (kim,1999). تعمل الرسائل في الإعلانات الأمريكية على إقناع الأمريكيين أن الصواب أن تكونوا فريدين (unique)؛ بينما تعمل الرسائل في الإعلانات الكورية على إقناع الكوريين أن الصواب أن تكونوا مثل الآخرين. تبين من هذا البحث أن تشكيل التفضيلات الأكثر بساطة وتفاهة تتأثر بشدة بالثقافة، إذ بدا ذلك جليا في الدراسات الثلاثة الأولى، حيث لم يكن ثمة وجود لأية ضغوط خارجية تدفع لسلوك يتوافق مع المعايير الثقافية. كما أن الفهم الجماعي لما هو صحيح أو خطأ كتفضيل وسلوك في ثقافة ما تحفل به الرسائل الإعلامية. وأن الاتجاه والسلوك حيال شيء ما، فضلا عن قضية، يحدده المعنى الذي تضفيه الثقافة على ذلك الشيء، لا الخصائص الكامنة فيه. تؤكد هذا البحث نتائج دراسات سابقة حول تأثير الاختلافات الثقافية في سلوكات الكونفورميا والتفرد في أشياء بسيطة كما هي الحال في بحثنا هذا، أو في قضايا أهم من قبيل الرضى عن الحياة (Suh et al, 1998)، ممارسات تربية الأولاد (Chao, 1994)، والدوافع (Iyengar & Leppe, 1999).

دراسة أخرى لافتة قام فيها Bond & Smith (1996) بإجراء تحليل عام أو كلي meta-analysis لنتائج دراسات الكونفورميا التي اعتمدت براديغم(1952b,1956) Asch (انظر شرحا لتجاربه ص.89 في الهامش)، وهدفت بشكل أساسي إلى بحث كيف ترتبط الكونفورميا بالقياسات الثقافية، والتي يفترض نظريا تأثيرها على الاستجابة للضغوط الاجتماعية. وقد تناولا تحديدا، من بين سائر الأبعاد الثقافية، بعد الفردانية/الجماعانية لوثيق ارتباطه- حسبهما- بسلوك الكونفورميا المتعلق بدوره بمدى استجابة الفرد لضغوط الجماعة. شمل التحليل 133 دراسة تتوزع على 17 بلدا. عمد فيه الباحثان إلى استخدام ثلاث قياسات لـ: الفردانية/ الجماعانية للبلدان محل الدراسات: عند كل Schwartz (1994)، Trompenaars (1993)، و Hofstede (1980, 1983)، حتى لا ترتبط النتائج بعينة ما أو بطريقة قياس محددة. جاءت نتائج التحليل مؤيدة لفرضيتها العامة من كون سلوك الكونفورميا يبرز أكثر في الثقافات الجماعانية مقارنة بالثقافات الفردانية، وعلى اختلاف مجموعات القياسات الثلاثة. وهو ما يؤكد قوة التأييد الذي حضيت به هذه الفرضية. أكثر من ذلك، كان تأثير العوامل الثقافية أكبر من تأثير عوامل أخرى أثبتت

دراسات سابقة أهميتها من قبيل حجم الأغلبية، والعلاقة مع جمهور الأغلبية (أن يكون من جماعة الانتماء(in-group) أو من في حكمها أو لا).

تجدر الإشارة إلى أن مستويات الكونفورميا هذه سجلت وموضوع الاختبار (طول الخيط) بسيط واضح لا غموض فيه، إذ سجلت دراسة (1955) Crutchfield أن هذا الأخير (الموضوع أو القضية) كلما كان أكثر غموضا كان الفرد أقل قدرة على مواجهة الأغلبية، وبالتالي ارتفعت مستويات الكونفورميا.

تمحور مسعانا في هذا العرض حول إثبات تأثير التوجهات الثقافية على سلوك الفرد في تفاعله مع تأثيرات جماعته أو مجتمعه وتراوحه بين الكونفورميا والتفرد، بصرف النظر عما إذا كان ذلك التأثير:

1- نتاج تشرب أو استدماج للقيم الثقافية (internalization) (كما في مجموعة الدراسات الأولى) فيأتي تجسيدها سلوكا عفويا في السر كما في العلن، بعيدا عن أي معنى من معاني الإذعان والخضوع حتى في الثقافات الجماعانية، بل هو التناغم (لا الكونفورميا) مع معايير الجماعة وآراء الأغلبية فيها في المجتمعات ذات التوجهات الجماعانية، إذ المعيار في هكذا سياق هو اتباع المعايير (people follow the norm to follow the norms).

أو النزوع إلى مخالفة معايير الجماعة أو آراء الأغلبية فيها كتجل لقيم الاستقلال والاعتماد على الذات المميزة للثقافات الفردانية، إذ المعيار في هكذا سياقات تحتفي بالتفرد هو عدم اتباع المعايير (people follow the norm to not follow the norms). وهو ما أشارت إليه نتائج الدراسات الأربعة الأولى.

2- نتاج ضغوط الجماعة- وهو ما يهمنا أكثر-إذ يتفاوت الأفراد من ثقافات مختلفة في مدى قابليتهم للإذعان لها، ويفترض -كما بينته دراسات عدة ومنها خاصة التحليل الكلي الذي كنا بصدده- أن الجماعانيين أكثر كونفورميا من الفردانيين رغم أن مدار الاختبار كان حول أحكام فيزيائية غير غامضة. وقد ثبت أن تأثيرات الضغوط الاجتماعية هذه تتباين بين ما إذا كان السلوك يرتبط بأحكام فيزيائية أو أحكام جمالية وأحكام رأي ذات الطبيعة الغامضة

نسبيا(Allen,1965,1975)، إذ يفترض بل يرجح أن تزداد هذه التأثيرات في حالة الأخيرة، ويزداد تفاوتها أكثر بين الثقافتين السابقتين.

على صعيد آخر، يسجل عدد من الباحثين انعكاس التوجهات الثقافية – وأساسا في بعد الفردانية/الجماعانية من الثقافة-على المستوى الفردي، أي على السمات الشخصية المميزة لمواطني ثقافة ما أو الأكثر شيوعا لديهم (وقد تقدم بيان أن الأمر لا يقتصر على تجليات لقيم ثقافية متباينة في سمات شخصية معدودة على المستوى الفردي، بل يتعداه إلى تشكيل تصورات لذوات كاملة). يتسق هذا مع ما أشار إليه Triandis et al(1985) من مفاهيم لمتغيرات تقابل الفردانية والجماعانية على المستوى الفردي: Allocentrism-idiocentrismعلى التوالي. لهكذا متغيرات على المستوى الفردي أهميتها على اعتبار أن بحثنا تبنى توجها يعنى بتناول العوامل القارة التي تحكم الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي أو الاستعداد للرقابة الذاتية، مثل العوامل الثقافية وما يقابلها مما ذكر على المستوى الفردي كسمات شخصية، لا تلك المتسمة بالظرفية والوضعياتية مثل طبيعة الموضوع، الجمهور وأشكال التعبير.

يتدعم هذا التوجه باستحضار ما سطرناه سلفا من تفاوت بين أفراد من ثقافات مختلفة في السمات الشخصية من قبيل الخوف من العزلة ومدى الاهتمام أو المبالاة وبالتالي التأثر بمناخ الرأي السائد (Hayes et al,2013).

بعبارة أخرى، افتراض وجود ذوات أو شخصيات نزاعة إلى الكونفورميا وأخرى إلى اللاكونفورميا -أي التفرد- بمعزل عن الوضعية أو الموقف الذي تتواجد فيه[1].

(1) في تجربته عمد Asch (1952b, 1956) إلى دعوة طلبة إلى المشاركة في اختبار نظر مزعوم سبق لآخرين التعرض له دون مواجهتهم أية صعوبات في إعطاء الإجابة الصحيحة. كان هدف التجربة ملاحظة كيف يتأثر المبحوثون بسلوكات الغير. طلب من الطالب تحديد أي واحد من ثلاثة خيوط معروضة على يمين خيط -اتخذ نموذجا أو شاهدا- مساو له في الطول. اتفق سلفا مع طلبة بأن يدلوا بإجابات خاطئة أمام الطالب محل الاختبار وعلى مرأى ومسمع منه. أظهرت النتائج أن عددا معتبرا من المبحوثين (36) نزعوا إلى تأييد إجابات تتناقض مع ما تراه أعينهم. أي أن المبحوثين انتهوا بالإذعان إلى الإجابات الخاطئة المؤيدة من الأغلبية.

على صعيد آخر، يمكن أيضا الإفادة من دراسات أساليب حل الصراع بين الأشخاص-وما تبعها من دراسات تناولت تبايناتها بين الثقافات- في فهم تأثير العوامل الثقافية على التعبير العلني عن الرأي أو الاستعداد للرقابة الذاتية. حري بنا هنا تحديد مفهوم الأسلوب في حديثنا عن أساليب حل الصراع. نريد به ههنا ذات المعنى الذي تبناه Ting-Toomey (1999): "الإستجابات النمطية للصراع في وضعيات مختلفة"

« « *patterned responses to conflict in a variety of situations* » »(p. 48).

هكذا مفهوم للأساليب يحيلنا إلى سلوكات ترتبط بسمات شخصية أو هي في ذاتها سمات شخصية كالتي نحن بصدد بحثها: الاستعداد للرقابة الذاتية، فلا ترتبط بقضية ولا وضعية. وهو ما يراكم أهمية إضافية إلى أهمية اعتبار أساليب حل الصراعات، فضلا عن وثيق صلته أو مجاورته مفاهيميا لمفهومنا (وضعية الصراع مع وضعية يعتقد فيها معارضة المحيط).

وقد اشتهر تقسيم أساليب حل الصراع عموما إلى خمسة أساليب:

1-أسلوب التفادي (avoiding): يتفادى صاحبه الصراع أو ينسحب منه. 2-أسلوب التوافق(compromising): هو الذي يسعى من خلاله لإيجاد حل وسط سريعا. 3-أسلوب الهيمنة(dominating): هو الذي يسعى صاحبه من خلاله إلى تحقيق مصالحه على حساب الغير. 4-أسلوب الإدماج(integrating): هو الذي يسعى فيه كل الأفراد إلى الاستجابة لمصالح الكل. أسلوب الإيثار (obliging): هو الذي يضحي صاحبه بحاجاته من أجل حاجات الغير (Croucher et al, 2012; Rahim, 1983).

تظهر العديد من الدراسات التي تناولت علاقة العوامل الثقافية بأساليب حل الصراعات الشخصية أن الأفراد من ثقافات جماعانية يميلون عموما إلى أساليب التفادي أو الإيثار (Chau & Gudykunst, 1987; Ohbuchi et al , 1999; Ting-Toomey et al, 1991)، بينما يغلب على الأفراد من ثقافات فردانية النزوع إلى

أسلوب الهيمنة (Cai & Fink, 2002; Croucher, 2011; Dsilva & Whyte, 1998; Oetzelet al,2006 ; Zhang,2007).

من جهته، وجد Oetzel(1998) تأثيرا أكبر لطبيعة الذات أو مفهوم النفس- الذي تقدم بسطه(self-construal) بين ذات مستقلة وأخرى مرتبطة- على تفضيل أسلوب معين للصراع مقارنة بتأثير الخلفية الثقافية أو الإثنية. أما Chau & Gudykunst (1987) وTing-Toomey(1985) فذهبا إلى تفسير السياق لتفضيل أسلوب صراع ما (quoted In (Oetzel & Ting-Toomey,2003)). ففي الثقافات العالية السياق (كما صنفها (1975) Hall، هي ثقافات جماعانية في الغالب ومقابلتها فردانيةكما جاءت عند Hofstede (1980)، وحسب (1985) Ting-Toomey هناك تطابق بين هذين البعدين) يمكن أن يسبب الخلاف العلني مع أحدهم حرجا أو فقدا لما الوجه (loss of face) (Ting-Toomey,1985)، بينما في الثقافات المنخفضة السياق، يغلب على الأفراد الفصل بين القضية والشخص في الصراع. يجادل Ting-Toomey (1999) أن الأفراد في الثقافات ذات السياق المنخفض أكثر نزوعا لاستعمال " شفرات اتصال صريحة، أسلوب ذي منطق زمني، خطاب عقلاني قائم على حقائق ووقائع، واستراتيجيات مباشرة وواضحة"(ص. 82)، فيما يغلب على الأفراد من الثقافات ذات السياق العالي استعمال "شفرات اتصال ضمنية، أسلوب ذي منطق نقطي أو موضعي، خطاب عاطفي، واستراتيجيات غامضة غير مباشرة"(ص. 82). في اختبار لاحق لنظرية Ting- Toomey وجد Chau & Gudykunst (1987) أن الأفراد في الثقافات ذات السياق المنخفض يستخدمون أساليب صراع تتجه نحو الحل (solution oriented) أكثر من أفراد الثقافات المنخفضة السياق (أي تتراوح بين أسلوبي التوافق والإدماج)، وأن الأفراد من الثقافات العالية السياق يفضلون عدم المواجهة (non-confrontation)، أي تتراوح بأسلوبي الإيثار والتفادي (quoted In (Croucher et al , 2012).

ممكن الإفادة من هكذا بحوث في تصنيف الشخصيات إلى Allocentrism-idiocentrism بناء على سماتها التي تتجلى فيها التوجهات الثقافية الفردانية/الجماعانية على التوالي، وتحديد أيا منها أكثر قدرة على تحمل الضغوط الاجتماعبة والتعبير عن آراءها والدفاع عنها، وأيا منها أنزع إلى ممارسة الرقابة الذاتية على النحو الذي عرفناها عليه (Huang,2005).

الفصل الثالث:

صياغة فرضيات البحث وتحديد إجراءاته الميدانية

ينقسم الفصل الحالي إلى ثلاثة محاور، يتناول المحور الأول فرضيات البحث، حيث قدمنا لكل فرضية بالكيفيات التي تم بها تناولها في دراسات سابقة، وما تمخض عنها من نتائج في تلك الدراسات (طبعا هذا إن تم أو وجد) أو على الأقل ما يؤسس من أدلة وشواهد في الأدبيات لافتراضها. أما الثاني فقد تضمن عرضا لميدان البحث ووصفا لعينته. فيما تضمن المحور الثالث الاعتبارات السيكومترية للبحث.

1- فروض البحث:

الفرضية الأولى: الاختلافات الثقافية بين الجماعات الثقافية في الجزائر.

لدى مراجعتهم للأدلة الأمبريقية للبحوث المقارنة بين الثقافات في بعد الفردانية /الجماعانية، خلص(Oyserman et al(2002b إلى إشكالات تلبست بها مقاييس هذا المفهوم، وتحديدا على صعيد الصدق والثبات، وأن هذا الأخير تم تعريفه بشكل جد فضفاض. وعليه دعا هؤلاء المهتمين بالبحوث المقارنة بين الثقافات إلى ضرورة ابتداع نماذج أو تصاميم ثقافية أوسع وأشمل (Oyserman,2000b). يذهب في نفس الاتجاه (2002) Bond، (2002)Kitayama، Triandis (2001) مؤكدين الحاجة إلى اعتبار العوامل غير الفردية من قبيل المعايير (norms)، البيئة، التاريخ، الجغرافيا، الموارد... وغيرها، بهدف الإمساك بالاختلافات في الفردانية والجماعانية. يؤسس هذا كما يجادل shen & liang (2015) إلى توقع إمكانية اختلافات ثقافية-وتحديدا في الفردانية والجماعانية- حتى داخل البلد الواحد والثقافة (within-cultural variations)، بله بين البلدان أو الثقافات. بل

ربما كانت الفوارق بين الجماعات الثقافية أقوى وأهم من الفوارق بين الدول (Offman ,2000 ; Cohen,1999 ; Kerchmeyer,2005. Muleer,Everson & Price,1999 ; quoted In Cohen,2007).

يجادل Schwartz (1999) أن الحدود الوطنية لا تعكس بالضرورة ولا تتفق دوما مع حدود لمجتمعات متبلورة عضويا ومتجانسة نسبيا ذات ثقافة مشتركة. عادة، وفي أي دولة، يمكن لأكثر من ثقافة أن تتواجد معا، كل بمعاييرها الخاصة، دينها، لغتها، ونمط أو منهج حياتها. وقد يقود المزج بينها في جماعة واحدة إلى تصوير خاطىء لطبيعة ثقافة دولة ما.

يشهد لهذا نتائج دراسة(1999) vandello & cohen عن الاختلافات الثقافية على مستوى الدولة، والذين أخذا بعين الاعتبار العوامل غير الفردية المشار إليها أعلاه، فوجدا اختلافات جهوية داخل الولايات المتحدة في الفردانية والجماعانية، وهي الدولة التي درج الباحثون على تقديمها كواحدة من أكثر الأمثلة عن الثقافات الفردانية. قريب من هذا ما توصل إليه في بحثه للاختلافات في الجماعانية والفردانية بين المحافظات اليابانية، إذ أبانت دراسته عن تباينات مهمة بين هذه الأخيرة في هذا الجانب. رغم أن اليابان لطالما قدمت على أنها مثال للثقافات الجماعانية. يمكن للمرء أن يتصور حجم الاضطراب والخطأ في نتائج دراسة تسعى لمقارنة ثقافية بين الولايات المتحدة كمثال عن المجتمعات الفردانية متخذة عينة من ولاية لويزيانا أو هاواي أكثر الولايات جماعانية، واليابان كمثال عن المجتمعات الجماعانية متخذة عينة من محافظة طوكيو أكثر المحافظات فردانية!!!!!! إغفال هكذا اختلافات ثقافية داخلية يمكن أن يجعل الدراسات المقارنة بين الثقافات - مع اتخاذ الدول علما عن الثقافات- مصدرا لقدر غير يسير من التضليل.

يعزز أهمية اعتبار الاختلافات الثقافية داخل الدول نتائج Hofstede نفسه الذي نحى في براديغمه في تصنيف الثقافات إلى اعتبار الدول علما عن الثقافات، إذ أظهرت نتائجه غير ما مرة تباينات داخل عدد من الدول المتعددة الثقافات (multi-cultural countries) على غرار بلجيكا، أندونيسيا... وفي أكثر من بعد من أبعاد الثقافة التي اعتبرها في أنموذجهHofstede (2010).

يسري هذا التحليل على واقع الجماعات الثقافية في الجزائر، إذ باعتبار عوامل المعايير، الجغرافيا، التاريخ، البيئة، والموارد التي تتسم بها كل جماعة ثقافية لا يستبعد أن تكون هذه الأخيرة مصدرا لاختلافات ثقافية بينها، قد لا تقتصر -وفق نفس منطق التحليل- على بعد الفردانية/الجماعانية، بل ربما تتعداه إلى أبعاد ثقافية أخرى على غرار تلك التي هي محل بحثنا. يذهب Mercure (1997.p.26) في نفس الاتجاه مؤكدا تميز الجماعات الثقافية في الجزائر-وإن كان تناول منها ثمانية، تضمنت ثلاثتنا- فيما يتعلق بالعوامل المشار إليها أعلاه:

« « Ces subcultures correspondent-elles a des espaces géographiques précis, a des réalités linguistiques souvent dissemblables, et surtout a des modes de vie et a des enracinements historiques singuliers » ».

وبناء عليه: **نفترض أن الجماعات الثقافية الجزائرية: القبائل، الشاوية وبني ميزاب.**

الفرضية الثانية: البعد الفرداني/الجماعاني:

مما يعزز أهمية العوامل الثقافية ارتباط لولب الصمت بشكل كبير بمفهوم الكونفورميا(conformity)، متجليا في نصها على نزوع الأفراد إلى الصمت أو ادعاءهم التوافق مع الأغلبية إذا أدركوا تعارضا معها في الرأي. بل من بين هذه العوامل الثقافية، تتعزز، ومن باب أولى، أهمية المفهوم المركب(construct) الفردانية / الجماعانية تحديدا، الذي يعتبر عاملا مهما في وصف الفوارق الثقافية (Bond& Smith,1996 ; Hofsted,1980 ;Hui & Triandis,1986) ومتغيرا أساسيا في تحديد السلوك الاجتماعي، وبشكل أساسي سلوك الاتصال ضمن الثقافات (مثل: Gudycunst et al,1992; Ito,1993; Tin Toomey,1996) (quoted In: scheufele & moy,2000). وتتعين هذه الأهمية في لولب الصمت لدى ملاحظة أن التعبير العلني عن الرأي (ومقابله الاستعداد للرقابة الذاتية) كسلوك اجتماعي يتباين الموقف منه من ثقافة إلى أخرى. فبينما تقف منه المجتمعات الغربية (الفردانية) موقف الإعجاب والتشجيع، ترى فيه المجتمعات الشرقية (الجماعانية) سمة سلبية وسلوكاً غير لائق.

وقد استخدم (Hofsted,1980) هذا المفهوم (construct) لوصف العلاقة بين الفرد والجماعة أو المؤسسة الاجتماعية (the collective)، وهو ما يدل على ملاءمة المفهوم ووثيق علاقته بكونفورميا الفرد تحت تأثير الأغلبية. وهي العلاقة التي أكدها عدد من الباحثين مثل (Bond & Smith, 1990) الذين خلصا لدى مراجعتهما للدراسات

السابقة عن الموضوع إلى أن البلدان الجماعانية تنزع إلى إظهار مستوى كونفورميا يفوق ذاك الذي تبديه البلدان الفردانية. من جهته، يرى (Triandis,1990) أن العلاقات الذات- الآخر (self-other relationships) المختلفة بين الثقافات الفردانية والجماعانية ذات تأثير بالغ على كونفورميا (امتثال) الأفراد تحت تأثير الجماعة. وهنا يجب الإشارة إلى أن هذه العلاقات الذات-الأخر المختلفة في الثقافات هي نتاج اختلاف تصورات "الذات" و"الآخر" في كل من الثقافات الفردانية والجماعانية (Tin Toomey, 1989; Triandis,1986; Hofsted, 1980). فالأفراد في الثقافات الفردانية مثل الولايات المتحدة، يميلون إلى تأكيد الهوية الفردية على حساب الهوية الجماعية (*I* identity over*We* identity)، وهناك تمايز كبير وفصل واضح بين الهويتين في هذه الثقافات؛ فالذات كيان مستقل متميز عن المجتمع، كما أن الهوية تحددها الإنجازات الشخصية. أما في الثقافات الجماعانية مثل المجتمع الصيني، فالذات تعتبر كيانا يضم في نفس الوقت الفرد نفسه ومحيطه الاجتماعي القريب(intimate) (Hofsted,1980). والأفراد في هذه الثقافات يعيرون الهوية الجماعية أهمية أكبر وعلى حساب الهوية الفردية (*We* identity over *I* identity) وهم أكثر ارتباطاً –عاطفياً- بالمنظمات والمؤسسات (Triandis et al,1988).

الأمر الذي يجعل سلوكا متميزا ما في ثقافة ما قد يكتسي طابع التفرد(uniqueness) (الو. م. أ)، ليكتسي ذات السلوك طابع الانحراف بل ربما الشذوذ(deviance)في ثقافة أخرى(الصين). كما أن سلوكا نحو ما تقتضيه معايير ثقافة ما أو جرى عليه أغلب أفرادها قد يتلقى في ثقافة ما على أنه حالة كونفورميا(conformity) (أي خضوعا واتباعا للغير)، وفي ثقافة أخرى يدرك بوصفه تناغما(harmony).

وهو ما يرفع من احتمالات وقوع الكونفورميا في مجتمعات كالصين مقارنة بمجتمعات كالولايات المتحدة الأمريكية. وقد أثبتت هذا –بالفعل- عدة دراسات (مثل: Mead & Bernard,1978;Huang & Harris,1973 (quoted In (Huang,2005)).

ويقابل مفهوم الفردانية/الجماعانية على المستوى الثقافي مفهوم allocentcism/ idiocentrism على المستوى الفردي. ويشير مفهوم Idiocentrism (الموافق للفردانية الثقافية على المستوى الفردي) إلى توجه الفرد نحو تأكيد الاستقلالية (independence)، الأهداف الشخصية، الحقوق، وتحليل العلاقات القائم على الكلفة – فائدة (cost-benefit analysis of relationships). بينما يشير مفهوم Allocentrism (الموافق للجماعانية الثقافية على المستوى الفردي) إلى توجه الأفراد نحو تأكيد الارتباط والاعتماد المتبادل (Interdependence)، الأهداف المشتركة،

الواجبات، والحفاظ على العلاقات (Triandis, 1995). وقد أثبتت دراسات عن تناسب إيجابي بين مفهوم Allocentrism، والدعم الاجتماعي (social support)، ومستويات متدنية من الاغتراب(alienation). كما أفادت دراسات أخرى عن وجود تناسب بين مفهوم Idiocentrism والتأكيد على الإنجاز (Triandis et al,1985) (Huang,2005).

وقد تناول عدد من دراسات لولب الصمت هذه المتغيرات (على المستويين الثقافي والفردي)، مثال ذلك (Willnat et al , 2002) في سنغافورة، والتي أظهرت وجود علاقة بين عامل الارتباط المتبادل (Interdependence) والتعبير العلني عن الرأي. كذلك دراسة (Huang, 2005) المقارنة بين تايوان والولايات المتحدة، والتي خلصت إلى دعم للنظرية فقط في تايوان (ثقافة جماعانية)، وأظهرت أن التايوانيين (الجماعانيون) يلزمون الصمت لدى شعورهم بالانتماء إلى الأقلية بدافع الحفاظ على انسجام الجماعة التي ينتمون إليها(harmony) لا بدوافع الخوف من العزلة. في نفس الاتجاه تقريبا، تناول (2012) Matt et al هذا العامل في دراسته لتأثير العوامل الثقافية على العلاقة الأساسية للنظرية- بين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية في عدد من السياقات الثقافية بلغت عشرة. وانتهت نتائج بحثهما إلى تأييد للنظرية في كل الثقافات المتناولة ماعدا الصين، على خلاف ما كان متوقعا.

وعليه، وتبعا لهذا التفاوت المسجل في نتائج الدراسات التي اعتبرت هذا العامل، يسعى بحثنا إلى دراسة مدى تأثير تباين الجماعات الثقافية في فردانيتها أو جماعانيتها على الاستعداد للرقابة الذاتية، وبناءاً عليه يمكننا صياغة الفرضية التالية:

هناك علاقة بين توجهات الأفراد الفردانية والجماعانية، واستعداداتهم للرقابة الذاتية.

الفرضية الثالثة: تفاوت السلطة (power distance)

تفاوت السلطة كما عرفه Hofstede(2012) :" هو *مدى قبول وتوقع الأفراد الأضعف في المنظمات والمؤسسات (مثل العائلة) توزيع السلطة بطريقة غير متساوية*".

لدى مراجعتنا للأدبيات المتعلقة بمتغير أو بعد تفاوت السلطة، لم نعثر على دراسات سابقة تناولت علاقته وتأثيره على الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي أو الرقابة الذاتية بشكل مباشر، ولكن هناك دراسات تناولت علاقة

هذا الأخير -بشكل من الأشكال وإن بأسماء أخرى- مع متغيرات مجاورة مفاهيميا للرقابة الذاتية أو التعبير العلني عن الرأي. ورغم العدد المعتبر نسبيا من الدراسات التي تناولت علاقة تفاوت السلطة بالإدراكات والاتجاهات والسلوكات عبر الثقافات، إلا أن أغلبها اقتصر على دراسة هذه العلاقة ضمن المنظمات، أي أن عامة المبحوثين كانوا مرؤوسين في علاقتهم مع رؤساءهم (boss-subbordinate relationships). إلا أنهذا الواقع لا يقلل من أهمية هذه الدراسات، إذ يستدرك Hofstede (2001) مؤكدا امتداد صلاحية النتائج المسجلة في المنظمات إلى سائر المؤسسات في شتى مناحي الحياة، إذ يؤكد قائلا:

لا يمكن أن يحمل الأفراد معهم إلى أماكن العمل برامج عقلية (mental programs) بعينها، ويحملوا إلى غيرها من الأماكن والمؤسسات برامج عقلية مختلفة.

« « people do not carry separate mental programs for work and non-work situations » »(Hofstede, 2001)

كما أسلفنا من قبل، يشير Hofstede (1980) إلى أن الثقافات ذات فوارق السلطة الكبيرة (high power distance cultures) في المراحل الأولى من العمر (وهي حسبه المراحل الأخطر في تكوين شخصية الفرد) ينشأ الأفراد، ولدا في البيت أو تلميذا في المدرسة، أو بحسب تعريف Hofstede للثقافة، تتم برمجتهم عقليا، على نحو يؤكد الحاجة إلى الارتباط والتبعية، ولا يتم التشجيع على الاستقلال. وهذا النموذج يطبع كل جوانب وأشكال التواصل الإنساني. كما يتعاطى الأضعف سلطة في منظماتها أو مؤسساتها (الولد أو الأخ الصغير، التلميذ، المرؤوس،..) مع الأقوى (والدا أو أخا كبيرا، أو مدرسا أو رئيسا في العمل) بقدر كبير من الاحترام يصل حد الخوف أحيانا، فلا يتوقع منهم إلا الطاعة في البيت والانضباط في الفصل الدراسي، الذي قد يصل إلى حد الإحجام عن الكلام إلا إذا دعي التلميذ، فما بالك بالتعبير عن مخالفته للأستاذ أو انتقاده له جهارا.

بالإضافة إلى ذلك، تتخذ القرارات فيها بشكل مركزي (طبعا من طرف المسؤول أو الرئيس في العمل، الوالد أو الأخ الأكبر في العائلة، المدرس في المدرسة)، فمثلا يلاحظ عادة عدم انخراط المرؤوسين أو تأثيرهم في عملية اتخاذ القرار، كما لا يتوقعون إلا أن يفعلوا ما يؤمرون.

بالمقابل، في الأوساط ذات فوارق السلطة الصغيرة (low power distance cultures) يعامل الأولاد والتلاميذ من قبل الأولياء والمدرسين كأنداد متساوين، فيشجع الولد على خوض تجاربه الخاصة، ويسمح له بمعارضة والديه، كما يتعلم باكرا قول كلمة "لا"، ويتكرس نفس النهج في المدرسة حيث يعمل على تحبيذ المبادرة الفردية، إذ للتلميذ أن يعبر عن آرائه ومعارضته لمدرسيه، بل وحتى انتقاداته لهم جهارا، ولا يظهر لهم أي احترام استثنائي خارج المدرسة، ويتوقع من التلميذ أن يتلمس مساره الفكري وحده.

يستقر الوضع على هذا النحو مع بلوغ سن الرشد، إذ تشير دراسات إلى أن التنشئة الأولى تؤثر على القيم الجوهرية، بينما لا تطال التنشئة المتأخرة إلا القيم السطحية الثانوية. وهذه القيم السطحية يمكن أن تتغير عكس الجوهرية العصية على التغيير (Hofstede,2001 ;Lachmann,1988). يصح هذا ويتأكد إلى درجة أن الموظفين إذا ووجهوا بضغوط تتعلق بمتطلبات أدوارهم الوظيفية سعوا إلى تغيير هذه المتطلبات إذا تعارضت مع قيمهم الجوهرية، بل قد يكونون أميل إلى تغيير وظائفهم منهم إلى تغيير قيمهم (holland,1976). يذهب (1984) Hofstede إلى أكثر من هذا، إذ ينقل أن في الأوساط ذات تفاوت السلطة الكبير يعاني الموظفون الحيرة والضياع إذا افتقدوا مسؤولين يعتمدون عليهم ويمدونهم بالتعليمات.

في نفس السياق، يشير (1985) birnbaum & wong إلى هونغ كونغ حيث تسود ثقافة ذات تفاوت كبير في السلطة والمنظمات جد مركزية، فالعمال، الذين هم في غالبيتم صينيون، راضون أكثر عن العمل في هياكل مركزية بدل تلك اللامركزية. باعتبار القيم الحاكمة لعلاقات السلطة التراتبية (hierarchical)هي جوهر الثقافة

الصينية في هونغ كونغ، فإذا تغيرت الممارسات داخل المنظمات بشكل يتعارض مع هذه القيم الجوهرية أوجد ذلك ضيقا وانزعاجا لدى الموظفين.

من جهة أخرى يشير (1990) redding أنه في منظمة ذات التفاوت الكبير في السلطة، يندر أن يصدر تحد علني لسلطة رسمية، إذ يسكن الموظفين معنى مفاده شرعية العلاقة رئيس- مرؤوس، كما يتوقع من صانع القرار أن يكون متسلطا حازما. أما في الغرب حيث يتضاءل التفاوت في السلطة، فتفيد الدراسات أن الموظفين ينظرون بشكل أكثر إيجابية لرؤساءهم الذين يمنحونهم حرية أكبر لإنجاز أعمالهم (marchese,2001). غير أنه تأثير إشراك العمال في القرارات المتعلقة بسيرورة العمل وتشجيعهم على تحمل مسؤولية هذه القرارات يتفاوت من ثقافة إلى أخرى (cordova,1982)، وتحديدا بين الثقافات ذات التفاوت الكبير والضعيف في السلطة (lincoln hanada & olson,1981)(Quoted In (Hofstede el al,2010)).

بالإظافة إلى ماسبق، يفترض في المنظمات العاملة في أوساط ذات تفاوت كبير في السلطة ويتوقع من رئيس العمل أن يتخذ قراراته دونما حاجة إلى استشارة مرؤوسيه، لأن المرؤوسين قد يرون إقحام الرؤساء لهم في القرارات كمؤشر عن قصورهم وضعفهم (Chen &Francesco,2000). كما أن المرؤوسين لا يرغبون في التعبير عن أراءهم أو معارضتهم علنا مخافة أن يفقدوا احترامهم أو أن يتسببوا في إفقاد غيرهم الاحترام(رؤساءهم). كما وجد (1999) kim أن الاتصال داخل منظمات تنتمي إلى مثل هذه الثقافات ككوريا، يرتسم وفق نموذج عمودي. والاتصال الرسمي يسري في عمومه من الأعلى إلى الأسفل(top-down)، متدفقا عبر سلسلة القيادة الهرمية المعتمدة، كما أن رجع الصدى الطوعي من الأسفل قليل. ويردف قائلا: في سياق تفاعل بين رئيس ومرؤوس عادة ما يستأثر الأول بأغلب الكلام فيما يكتفي الثاني بطأطأة رأسه وتحريك عينيه لإبداء التوافق.

في الأخير، في بحث مقارن عن المستهلك بين الثقافات يذكر (2006) Torelli, Zhang,Lalwani & Shavitt

أن بعض المجتمعات أفقية (تثمن المساواة) بينما مجتمعات أخرى عمودية (تؤكد على التراتبية hierarchy)، وهذه التمايزات تشبه مفهوم تفاوت السلطة.

بالنسبة لـ(Singelis et al,1995) الشكل العمودي للفردانية والجماعانية يحمل على الاعتراف بأن التفاوتات بين الأفراد تقتضي قدرا من الامتثال (conformity) لصالح التراتبية (hierarchy)، بينما الأفقانية(horizontalness) تملي وجوب التحرر من تأثيرات الآخرين. في نفس الاتجاه يؤكد (1996)Triandis هيمنة شخصيات ذات سلطة (authority figures) في الثقافات التي تفضل القيم العمودية، بينما يسجل بروز للاختيار الشخصي في الثقافات التي تفضل القيم الأفقية((quoted In(Triandis,2012) .

بناءا على ما تقدم نفترض أن تفاوت السلطة يرتبط بعلاقة إيجابية مع الاستعداد للرقابة الذاتية.

الفرضية الرابعة: تفادي الارتياب (uncertainty avoidance).

يعتبر تفادي الريب من المتغيرات الأقل تناولا وبحثا في نموذج Hofstede للأبعاد الثقافية مقارنة بمتغيري الفردانية/الجماعانية وتفاوت السلطة. إلا أن عددا من الدراسات -على قلتها - أشارت إلى أهمية هذا الأخير وارتباطه بعدد من السلوكات والأنماط الاتصالية. سبقت الإشارة إلى أن تفادي الريب يحيل إلى " درجة توتر الأفراد بسبب وضعيات يجدونها غير مهيكلة، مبهمة، أو غير متوقعة، وإلى أية درجة يسعون لتفادي هكذا وضعيات عبر تبني أنماط سلوك منضبطة وإيمان بحقائق مطلقة"(Merkin, 2006. p. 214). يبدو تفادي الريب وكأنه سمة من سمات الشخصية المرتبطة "بعدم تحمل الغموض"(Hofstede, 2001).

اتساقا مع هذا تبدو جلية إمكانية تأثير متغير تفادي الريب على الميولات الاتصالية تبعا لارتباطه بالصراع والخلاف والحرص قدر الاستطاعة على تجنبهما، إذكل مخالف أو مختلف هو مظنة لخطر أو تهديد كما تقدم شرحه، لا مصدر إلهام وإبداع وتجديد. خاصة إذا تعلق الأمر بمفهوم الاستعداد للرقابة الذاتية-محل البحث في دراستنا-

والذي يعني عدم إبداء الرأي الحقيقي للفرد أمام جمهور يعتقد أنه يختلف مع هذا الرأي. كما أن هذا السلوك- السمة يتطلب- كما سلف تعريفه في دراستنا- تقييما حثيثا لمناخ الرأي السائد قبل اتخاذ قرار بالتعبير أو بالتزام الصمت، وهو ما يرجح بروز مثل هذا السلوك- السمة لدى المجتمعات التي تشهد تفادي ريب قويا.

في المجتمعات ذات تفادي الارتياب القوي ليس بديهيا أبدا الارتباط بعلاقة صداقة إذا لم نكن نتقاسم نفس القناعات، أو الإبقاء عليها تبعا لاختلاف في الرأي ولو كان علميا. بالمقابل، ينظر لأي اختلاف فكري حول موضوع أكاديمي في الثقافات المتقبلة للارتياب على أنه ممارسة محفزة تستوجب الإشاد (Hofstede, 2010.p. 248). غير أن هذا الواقع ليس قصرا على الجامعة، بل هو نتاج مسار دراسي منذ المراحل المتقدمة منه. في مثل هذه المجتمعات، يقدم العالم للأطفال على أنه لطيف وودي ويشجعون على اختبار الوضعيات غير المألوفة. بينما يتعلم الأطفال في الثقافات المتفادية للارتياب أن العالم عدائي وأنه يجب تفادي التورط في وضعيات غير مألوفة. (Hofstede, 2010,p. 242).

في السياق المهني أو المؤسساتي، ذهب van Oudenhoven et al (1998, p. 444) إلى ما يلي: "ينزع العمال في الثقافات المتفادية للارتياب بشكل كبير إلى اعتبار النزاعات أوالصراعات أمورا غير محبذة، مستصحبين دوما شعورا بوجوب تفاديها قدر الاستطاعة". أكثر من هذا، يلاحظ حرص على تفادي الاتصال مع أفراد الجماعات الأخرى(outgroups) في هذه الثقافات أو إدارته بواسطة طقوس أو قدر كبير من اللباقة. (Gudykunst, 1997).

وينقل Hofstede اتسام المجتمعات المتفادية للارتياب باللاتسامح الديني والسياسي والإيديولوجي، بخلاف المجتمعات التي تتحمل الارتياب (Hofstede et al, 2010.p. 276). ولاحظ في دراسته لشركة IBM ضعف تفاؤل الأفراد في الثقافات المتفادية للارتياب بإمكانية التأثير في قرارات المسؤولين، كما سجل قلة الأفراد في هذه الثقافات المستعدين للاحتجاج على تلك القرارات؛ وإن حدث واحتجوا، فعموما يتحرون الوسائل التقليدية (الإمضاء على عريضة أو التظاهر). غير أنهم لا يستحضرون تماما طرقا أكثر تطرفا من قبيل المقاطعة أو الإضراب، أو... ظنا منهم

أنها قد توقعهم تحت طائلة قمع الحكومة. بالمقابل، يعتقد مواطنو الثقافات حيث يتقبل الارتياب ويحتمل بإمكانية التأثير في القرارات على المستوى المحلي أي الأدنى، كما أنهم أكثر استعدادا للاحتجاج على قرارات الحكومة من نظراءهم في الثقافات الأخرى. وفوق ذلك، فهم يتبنون إمكانية القيام بحركات احتجاجية قوية وغير تقليدية إذا لم تفلح مساعيهم الأكثر اعتدالا. وعلى عكس نظراءهم، فهم لا يتوقعون مقابلة الحكومة هكذا احتجاجات بالقمع (Hofstede, 2010.p. 265-266). في نفس السياق تشير معطيات البارومتر الأوروبي لسنة 2007أن شبابا من 19بلدا أوروبيا متقدما كانوا أكثر استعدادا للإمضاء على عريضة إذا كان مؤشر تفادي الارتياب لبلدهم ضعيفا.

في سياق متصل، ولدى مراجعته سلم الحاجات لMaslow حسب ثقافات المجتمعات، ذهب Hofstede إلى أن حاجة الأمن هي الأقوى لدى المجتمعات المتفادية للارتياب، بينما تتصدر الحاجة إلى النجاح- وبالتالي الاستعداد لمواجهة أخطار غير معتادة في سبيله- سائر الحاجات لدى المجتمعات ذات مؤشر تفادي الارتياب الضعيف(Hofstede, 2010.p.259). من جهة أخرى، يجدر التنبيه في هذا الصدد إلى ارتفاع مستوى التعبير عن العواطف(الانفعال) ضمن العلاقات في الثقافات الحريصة على تفادي الارتياب، وهو ما يمكن أن يكون وراء الحرص على تفادي الولوج في نزاعات لدى أفراد هذه الثقافات .(Gudykunst & Ting-Toomey, 1988)

يضاف إلى ما مضى الاهتمام والانخراط اللافتين في الشأن العام والعمل الجمعوي لدى المجتمعات المتقبلة للارتياب مقارنة بالأخرى. ربما يتسق مع موقف من الساسة -والحياة السياسيةعموما- ملؤه الريب واللاثقة لدى هذه الأخيرة، مقارنة بنظرة إيجابية نسبيا لدى المجتمعات الأولى (Hofstede, 2010.p. 264).

انطلاقا مما تقدم، يكتسب القول بتفاوت الثقافات المتفادية للارتياب وتلك المتحملة والمتقبلة له حيال التعبير العلني عن الرأي أو بالأحرى الإمساك عنه- أي القيام برقابة ذاتية- أمام جمهور مخالف أو معاد، قدرا من الوجاهة، وعليه:

نفترض أن هناك ارتباط بين ارتفاع مستوى تفادي الارتياب في ثقافة ما وارتفاع مستوى الرقابة الذاتية في هذه الثقافة.

الفرضية الخامسة: الذكورة/الأنوثة (masculinity/feminity).

على غرار تفادي الارتياب، يعتبر بعد الأنوثة/ الذكورة من أقل أبعادHofstede الثقافية الستة تناولا من الباحثين. تجدر الإشارة أن النساء في المجتمعات الذكورية، وإن كن متمايزات بشكل واضح عن الرجال، إلا أن هذا لا ينفي أنهن يبدين قدرا معتبرا من الملامح الذكورية من قبيل الشدة، فرض الذات، التنافسية، والرغبة في الهيمنة والانجذاب نحو الإنجازات الشخصية وبروز الأنا، على نحو يفوق نظيراتهن في المجتمعات الإناثية. بموازاة هذا، يبقى التفاوت الأكبر ذاك المتعلق بمستوى الذكورة بين الرجال في الثقافتين.

بالنظر إلى ما تقدم، لا يستبعد ارتباط قيم الذكورة/الأنوثة ببعض من الاتجاهات والسلوكات الاتصالية، خاصة لدى استحضار سمات مثل الشدة، بروز الأنا (stimulation de l'égo)، الطموح، الرغبة في الإنجازات المادية لدى المجتمعات الثقافية؛ في مقابل الحنان ورعاية العلاقات الشخصية لدى المجتمعات الإناثية. وهي إجمالا سمات يفترض ارتباطها بقضايا الخلاف والصراع وكيفية إدارتهما.

في دراسة شملت 800 شاب أمريكي (مجتمع ذكوري) و800 شاب هولندي (مجتمع إناثي) تتراوح سنهم بين 11 و18 سنة، ملئوا استمارة تتعلق بمؤهلاتهم ومشاكلهم الخاصة. عبر الأمريكيون عن مشاكل ومؤهلات أكبر من الهولنديين. من بين الأسئلة التي حصل فيها أمريكيون على نتائج أحسن: " يحتجون أكثر"، " يستطيعون إنجاز أشياء أفضل من الأطفال الآخرين"، "يتصرفون دون تفكير". يعلق Hofstede على هذه النتائج قائلا: "تستهدف تنشئة الشباب في أمريكا على إذكاء الأنا (بينما يحدث العكس في هولندا)". لم تظهر دراسة سابقة مقارنة بين ألمانيا والولايات المتحدة عن مثل تلك الفوارق (كلاهما مجتمع ذكوري)(Hofstede et al, 2010.p. 196) .

مجال آخر تتجلى فيه قيم الامتياز والتفوق والمنافسة الشديدة لتحقيقهما، ألا وهو المدرسة أو الجامعة. فبالنظر إلى كونها هي المعيار السائد في المجتمعات الذكورية، فلا يكتفي التلاميذ أو الطلاب بمجرد النجاح، بل المعيار هو التفوق وأن يكون الواحد الأحسن، وهو المتوقع من أهليهم. بينما في المجتمعات الإناثية، يبدو سخيفا موقف

طالب يسعى إلى الظهور والتميز عن أقرانه ولفت الأنظار إليه، إذ المعيار هنا هو الطالب المتوسط الناجح. في نفس السياق، يعتبر الفشل في الدراسة كارثة في المجتمعات الذكورية، بينما لا تعدو أن تكون مجرد حدث بسيط نسبيا في المجتمعات الإناثية. في نفس السياق تشكل المنافسات الرياضية مكونا أساسيا في السير الذاتية في المجتمعات مثل بريطانيا والو.م.أ، ربما يترجمه المدرب الأمريكي George Allenبقوله: "ليس النجاح هو الأهم، بل هو الشيء الوحيد المهم". بينما لا تعدو ممارسة الرياضة أن تكون نشاطا اختياريا ثانويا غير متضمن في التقييم المدرسي في كثير من الدول الأوربية.(Hofstede et al, 2010)

في مشروع فريد، عرض على أطفال تتراوح سنهم بين 10 و15 سنة ينتمون لخمس دول مختلفة صورة لطفل ملقى على الارض وآخر قائما بجانبه قائلا: "هيا، دافع عن نفسك". عرض على الأطفال مجموعة من تسع أجوبة ليختاروا واحدة. كانت الإجابات العنيفة: "ضربتني، فسألقنك درسا"، "سأخبر الأستاذ"، "لست صديقي بعد الآن"، "سأبلغ الشرطة". أما الإجابات المسالمة فكانت: "لا داعي للشجار"، " لنتحاور"، "دعنا لا نتشاجر، لنكن أصدقاء"، " أسف، كنت مخطئا"، "ما عساه يحدث إن أصيب أحدنا!". جاءت الإجابات متسقة مع نتائج ذكورة البلد التي ينتمي إليه الأطفال، إذ كلما كان البلد أكثر ذكورة كانت الإجابات المختارة أكثر عنفا، وهو ما يؤشر بوضوح عن تباينات في التنشئة بين تلك البلدان فيما يتعلق بالعنف(Hofstede et al, 2010) .

وفي دراسة أخرى كان محلا لها طلبة من ست دول مختلفة، سئلوا عما إذا كان مسموحا للأطفال في بلدانهم بالتعبير عدائيتهم. وثانية جاءت نسبة الإجابات بنعم أيضا متسقة مع نتائج الذكورة في تلك البلدان. في نفس الاتجاه، يذكر مرجع عن الثقافة التايلاندية (وهو البلد الأسيوي الأكثر أنوثة) مايلي: "يتعلم التايلندي كيف يتفادى العدوان، لا كيف يدافع عن نفسه إذا اعتدي عليه. أما إذا تشاجر الأطفال ولو للدفاع عن أنفسهم فإنه يعاقبون. فالطريقة الوحيدة لتفادي المتاعب هي بتفادي أسبابها برمتها"(Hofstede et al, 2010. P.195).

مجال آخر يتجلي فيه بعد الأنوثة/الذكورة وتأثيراته، ألا وهو العمل والعلاقات بين العمال في المؤسسة: رؤساء/ مرؤوسين، أو نقابة/إدراة. ففي الثقافات الذكورية يسود اعتقاد وشعور أن الصراعات والخلافات في العمل يجب أن تسوى عبر المواجهة "ولينتصر الأقوى"، بينما يفضل اللجوء إلى التوافقات والمفاوضات كأسلوب لحلها في الثقافات الإناثية.(Hofstede,2001. P.316) في نفس السياق، ينصب اهتمام المؤسسات في الثقافات الذكورية على النتيجة ويقوم نظام المكافآت على مبدأ الاستحقاق (equity)، كل على حسب أدائه (le mérite). في حين تعمد المؤسسات في المجتمعات الإناثية إلى مكافأة العمال حسب مبدأ المساواة، أي أن يكافأ كل تبعا لحاجاته .(Hofstede et al,2010)

على صعيد آخر، يمكن ملاحظة تحل لارتباط قيم الذكورة والأنوثة بمواقف المواطنين كما الساسة (باعتبارهم صنيعة مجتمعاتهم وتم انتخابهم-أو تعيينهم- تبعا لما يتبنون أو يدعون من قيم وآراء ذوات أهمية عند ناخبيهم) من مختلف القضايا. مثال ذلك المواقف من الهجرة وكيفية التعامل معها، إذ تتصادم إجمالا رؤيتان: واحدة تقول بوجوب التماهي أو الذوبان (على المهاجرين التخلي عن ثقافتهم الأصلية)، وأخرى تدافع عن الاندماج (ليس على المهاجرين إلا تكييف الجوانب من ثقافتهم أو دينهم التي تتعارض وقوانين الدول المستضيفة). ففي سبر للآراء أجري في 14 بلدا من الاتحاد الأوربي، وجد أن تفضيل الاندماج يرتبط بعلاقة عكسية مع مستوى الذكورة للبلد (Hofstede, .2010.)

في نفس السياق، وحسب معطيات الأورو بارومتر لسنة 2008، طلب من مواطني 26 بلدا أوربيا اختيار ثلاث قيم تتصدر اهتمامهم من اثني عشر قيمة، وكان من بين القيم المقترحة "احترام ثقافات الغير". وقد لوحظ أن التباينات بين الدول بخصوص نسب المبحوثين الذين اختاروا هذه القيمة يرتبط بالفردانية من جهة، وبمستوى ذكورة متدن(Hofstede et al,2010. P.208) .

من ناحية أخرى، لوحظ أن الدول الذكورية تنزع إلى (أو تحاول) حل الصراعات الدولية بالقوة، فيما تؤثر الدول الإناثية حلها بالتوافق والتفاوض (سيناريو الصراع في المؤسسات مكرر). يمثل التباين في التعاطي مع أزمة المالوين(Malouines) بين بريطانيا والأرجنتين من جهة، وأزمة الآلند(Aland) بين السويد وفينلندا (دولتان إناثيتان) من جهة أخرى مثالا ذا دلالة بهذا الصدد (Hofstede et al,2010. p.209).

في سياق ذي صلة، يلاحظ انعكاس بعد الذكورة/الأنوثة على قواعد اللعبة السياسية في الديمقراطيات المختلفة. ففي الثقافات الذكورية مثل بريطانيا العظمى، ألمانيا والولايات المتحدة يلاحظ اتسام الخطاب السياسي بمستوى كبير من التناقض والحدة، وهو أمر ليس وليد اللحظة بل يرجع إلى أكثر من قرن، ولا أدل على ذلك من الإيغال في مهاجمة الخصوم في الإشهار السياسي السلبي الممارس في هذه الدول، وتحديدا في الو. م. أ. وعلى أوسع نطاق. بالمقابل، في الثقافات الإناثية، كالدول الاسكاندينافية وهولندا، غالبا ما تنشأ الحكومات عن تحالفات بين أحزاب يتعاطى بمرونة بعضها مع بعض (Hofstede et al,2010. P.211).

بناء على ما سبق، ليس بمستبعد وجود تفاوت بين الثقافات الذكورية والإناثية في التعبير عن الرأي حيال قضية ما أو بالأحرى الإمساك عنه- أي القيام برقابة الذات- أمام محيط مخالف أو معاد، وعليه:

نفترض أن هناك ارتباط سلبي بين مستوى الذكورة في ثقافة ما ومستوى الاستعداد للرقابة الذاتية في هذه الثقافة.

الفرضية السادسة: الفردانية/الخوف من العزلة الاجتماعية:

أثبتت عدد من الدراسات أن الخوف من العزلة أشد في الثقافات الأكثر جماعانية مثل الصين، كوريا وسنغافورة وأقل شدة في الثقافات الفردانية (Hayes,Mattes,& Eveland,2013 ;Lee et al,2004). بل حتى المجتمعات الغربية المتفاوتة فردانيتها تشهد تباينا في مستويات الخوف من العزلة على غرار ما مر بنا في المقارنة بين

الإيطاليين والأمريكيين في مستويات الخوف من العزلة (انظر مبحث الخوف من العزلة عبر الثقافات في مراجعة الأدبيات).

وبناء عليه، **نفترض أن مكون الفردانية يرتبط بعلاقة عكسية بالخوف من العزلة الاجتماعية.**

التساؤلات المتعلقة بارتباط خشية العزلة بالعوامل الثقافية:

من جهة أخرى، لا يستبعد وجود ارتباطات محتملة بين الخوف من العزلة وعوامل ثقافية غير عامل الفردانية/ الجماعانية، من قبيل التي اعتبرناها في دراستنا هاته، رغم خلو الأدبيات- على الأقل في حدود ما اطلعنا عليه- من الإشارة إلى مثل هذه الارتباطات. وبناء عليه، نكتفي بالتساؤلات التالية:

1- هل هناك ارتباط بين الخوف من العزلة وتفاوت السلطة؟

2- هل هناك ارتباط بين الخوف من العزلة وتفادي الريب؟

3- هل هناك ارتباط بين الخوف من العزلة والذكورة؟

فرضية تفاوت العلاقة WSC-FSI بين الثقافات:

استنادا إلى ما تقدم من تأسيس لفرض تأثير العوامل الثقافية على كل من خشية العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية، فضلا عما أوردنا في مراجعتنا للأدبيات من تفاوت مستويات كل من المتغيرين كسمتين شخصيتين عبر الثقافات، وأكثر من ذلك، ما توصلت إليه دراسة (Matt et al,2012) لهذه العلاقة عبر عشر ثقافات، من إثبات لهذه العلاقة، وإن تفاوتت شدتها من ثقافة إلى أخرى، وعدم تسجيل لارتباط لشدة العلاقة بالعامل الثقافي المعتبر في دراستهم: الفردانية.

بناء على ما تقدم نسوق الفرض التالي: **تتباين العلاقة بين خشية العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية عبر الثقافات.**

2- ميدان البحث وعينته:

أجري البحث الميداني في الفترة الممتدة بين ماي 2016 ومارس 2017. اضطررنا إلى اعتماد طريقة المعاينة الحصصية (quota-sampling)، وهذا لتعذر الحصول على قائمة كاملة للأساتذة من كل جماعة ثقافية حتى يتيسر الحصول على عينة طبقية(stratified-sample). اشتملت عينة الدراسة على 302 مفردة، بين أساتذة جامعيين وطلبة دكتوراه من جامعات عدة ولكن أغلب مفردات العينة ينتسب إلى جامعات الجزائر 1، 2، 3، تيزي وزو، بجاية، البويرة، باتنة 1، 2، أم البواقي، قالمة، غرداية (لجأنا لجامعيات ميزابيات (بين طالبات حاليا وخريجات جامعات مختلفة) استثناء لتعذر إيجاد أستاذات جامعيات أو طالبات دكتوراه في العينة الميزابية). موزعين على الجماعات الثقافية الثلاث كما يلي: قبائل (90)، شاوية (128)، ميزابيين (84). اتخذنا كمحدد لثقافة الانتماء للمبحوثين، ولاية الميلاد والنشأة، ولغة التخاطب في البيت، طبعا بالإضافة إلى سؤال الفرد عن جماعته الثقافية.

يعود الاكتفاء بهذا العدد -القليل نسبيا-من المفردات لكل جماعة ثقافية من جهة لما ذهب إليه Hofstede et al (2010) من كفاية 50 مفردة عن كل عينة ممثلة لثقافة ما في الدراسات المقارنة بين الثقافات. تم تسليمهم الاستمارات في نسختها الورقية شخصيا يدا بيد، أو في نسختها الإلكترونية عبر البريد الإلكتروني أو الفيسبوك.

كما يعود اقتصار عينتنا على فئة الأساتذة لتوسم جدية أكبر وتمكن أكبر من التعامل مع أداة الاستبيان من ناحية، ومن ناحية أخرى، لما يحمله تلقي افتراض تأييد النظرية في المجتمع الجزائري ممثلا في هذه العينة- وهم من هم من مستوى علمي ورصيد ثقافي يمنحهم سلطة ويجعلهم نسبيا أكثر تحررا من القيود النفسية والضغوط الاجتماعية- من إمكانية للتعميم على سائر شرائح المجتمع.

جدول (6) توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس

	التكرار	النسبة
الذكور	717	% 56.91
الإناث	134	43,09%

جدول (7) توزيع أفراد العينة حسب متغير السن

	التكرار	النسبة
من 20 إلى 24 سنة	30	%09,93
من 25 إلى 29 سنة	43	%14,24
من 30 إلى 34 سنة	71	%23,51
من 35 إلى 39 سنة	65	21,52
من 40 إلى 49 سنة	67	%22,18
من 50 إلى 59 سنة	23	%7,61
60 سنة أو أكثر	3	%1,00

3- الاعتبارات السيكومترية للبحث(القياس):

تم جمع بيانات هذا البحث من خلال ملء المبحوثين لاستمارة تضمنت ثلاثين (30) سؤالاً، سعينا بواسطة إجابتهم لقياس متغيرات البحث المعتبرة أعلاه (في الفرضيات)، بالإضافة إلى المعطيات الديمغرافية، وفيما يلي تفصيل هذه الأسئلة في شأن كل متغير:

(أ)الاستعداد للرقابة الذاتية: لقياس هذا المتغير تم تبني مفهوم (Hayes et al,2005a) والذي قدمه كسمة شخصية أو كأحد الفوارق الفردية كما سلف تبيينه في تحديدنا لمفاهيم الدراسة، وكان باعثنا على اختياره اتسامه بالثبات النسبي، بمعزل عن الوضعيات أو القضايا، وهو مايعززأكثر قابليتهللمقارنة بين الثقافات (cultural comparability)، وقد سبق التنويه إلى تباين بين الثقافات في مدى ملاءمة الوضعيات للتعبير عن الرأي، وكذا تباين مستوى الجانب القيمي أو الأخلاقي للقضايا بين الثقافات. وقد جاء تعريفه كما يلي: **"الرقابة الذاتية هي كتم رأي الفرد عن جمهور يعتقد أنه يخالف ذلك الرأي".**

« willingness of Self-censorship is the withholding of one's true opinion from an audience perceived to disagree with that opinion ».

ومن ثم تم اعتماد مقياسه الذي عرضه في (Hayes et al,2005a) وطوره في (Hayes et al,2005b) والذي اشتمل على ثمانية بنود نذكر منها:

- أميل للإفصاح عن رأيي فقط للأصدقاء أو الأشخاص الذين أثق فيهم.
- من السهل عليّ التعبير عن رأيي أمام أولئك الذين أعتقد أنّهم يخالفونني الرأي.
- عندما أكون في خلاف مع الآخرين أفضّل مسايرتهم بدلامن مجادلتهم في الموضوع.

طبق على بنود هذا الأخير مقياسlikert (1=معارض جدا، 5=معارض جدا). وقد جاء معامل الثبات لمقياسه (Cronbach'salpha .83). كما جاء معامل ثباته في بحثنا (.77).

(ب)الخوف من العزلة:

على غرار اختيارنا في تحديد مفهوم المتغير الأساسي التابع للنظرية ومن ثم قياسه، سنسلك المسار نفسه، ولذات الاعتبارات بالإضافة إلى أخرى، في قياس المتغير المستقل الأساسي للنظرية أو الميكانيزم المسبب للسيرورة. إن تبنينا مفهوما للخوف من العزلة بصفته سمة شخصية أو أحد الفوارق الفردية (trait-like conceptualization) فضلا عما يعنيه من ثبات أكبر-نسبيا -عبر الوضعيات والقضايا، ودلالة أكثر على مدى قابلية الفرد أو استعداده (disposition) ليكون عرضة أو محلا لسيرورة لولب الصمت و/أو تأثرا بها، مقارنة بتصوره كحالة (state-like conceptualization) ظرفية ناشئة عن وضعية أو قضية، فهو ينطوي على فوائد على مستوى القياس. فتبعا لثباته النسبي كسمة شخصية يتأتى قياسه بيسر في سياق مسحي بمجردسؤال المبحوثين عن حجم الخوف من العزلة الكامن في شخصيتهم والذي يتجلى أبدا لدى همهم بالقيام بسلوكات في مختلف السياقات، الوضعياتوالقضايا. بينما يصعب الثقة بصدقوثبات نفس طريقة القياس لمفهوم الحالة لهذا الأخير، أي التعويل على إجابات المبحوثين حول حالة خوف ظرفية عابرة من جهة، ومن جهة أخرى ناشئة عن التواجد في وضعية افتراضية أو مواجهة التعبير عن قضيةافتراضية لا واقعية، لاستشكال مدى قدرتهم استحضار حالة الخوف تلك التي تختص أساسا بوضعية أو بقضية (kim,2012)، وقد مثل هذا مثارا لانتقادات كثيرة، وأحد العوامل التي نسب لها الاضطراب في النتائج التي اتسمت بها اختبارات هذه النظرية.

قدوما إلى القياسات التي استعملت فنجد جملة منها ربما بعدد دراسات لولب الصمت التي تناولت هذا الأخير، كل استخدم بما يناسب الهدف من دراسته (Hayes et al,2013). فمنهم من استعمل بندا واحدا لقياسه مثل (Huang,2005,P. 335)، وهو ما يثير إشكال كيفية قياس ثبات المقياس. وذات الشيء فعل

(Moy et al. 2001, p.20) الذي قاس الخوف من العزلة مركزا بشكل واسع على تلك العزلة التي تنجم عن خلاف في الرأي (مثال بند واحد: ينتابني قلق من أن أعزل إذا اختلف الناس معي). وقد يؤخذ على هكذا تعريف إجرائي شدة ترمكزه الذي ينحو نحو الضيق إلى درجة يبدو معها قاصرا عن استيعاب "النزوع العام للخوف من العزلة the general tendency to fear isolation" بالشكل الذي طرحته نيومان في افتراضاتها الأولى (see Noelle-Neumann & Petersen, 2004, p. 349).

في حالات أخرى يبدو أنهم ركزوا حصريا على الخوف المتولد عن مدى التوافق المدرك بين رأيهم الشخصي ومناخ الرأي السائد.

هناك دراسات أخرى استعملت قياسات اشتملت على أكثر من بعد، إلا أنها رغم ملاءمتها في الظاهر اتسمت ببعض الضعف مثل Lin & Pfau (2007) الذي استعمل خمسة بنود غير أن 54 .= α)، واستعمل آخرون مقاييس متعددة البنود دون ذكر لمستوى ثباتها ولا اختبار لبعديتها (dimensionality) أي مدى تداخلها مع مفاهيم قريبة من الخوف من العزلة على غرار خشية الاتصال،....)، كما زعم باحثون آخرون أن مقاييسهم أحادية البعد(unidimensional) دون سوق إثبات على ذلك(kim et al ,2003 ; scheufele et al ,2001).

كما استعاض باحثون آخرون بقياسات مفاهيم أخرى عن قياس هذا الأخير مثل الخجل، القلق الاجتماعي، خشية الاتصال (Petrič& Pinter, 2002;، أنظر أيضا (Willnat et al. ,2002) الذي جادل بوضوح ضد هذه الممارسة)، المحاججة (argumentativeness) (Ho & McLeod,2008 ; Scheufele et al. , 2001)، أو خوف التقييم السلبي (fear of negative evaluation) (Shoemaker et al, 2000).

في هذا السياق، خلص Hayes et al (2013) لدى استعراضهم أهم القياسات التي استخدمها الباحثون الذين تناولوا الخوف من العزلة بصفته سمة شخصية، ووقوفهم على أهم مواطن القصور التي اتسمت بها، خلصوا إلى غياب استخدام مضطرد لمقياس قابل لإثبات صدقه في الأدبيات. وتبعا لذلك عملوا على تطوير مقياس لهذا الأخير

عار من المآخذ الأساسية التي سجلت على المقاييس السابقة، وتحديدا صدق المقياس، ثباته وبعده الأحادي. وفيما يلي شرحهم لأهم الاعتبارات التي روعيت في تطوير هذا المقياس (FSI scale developpment):

> *« « We had four objectives when developing our FSI measure. Our first goal was to produce a unidimensional measure of FSI that does not operationalize fear in reference to isolation resulting from specific acts, such as expressing normatively deviant opinions in general topic areas or on specific topics in specific situations. Rather, our goal was to assess general emotional or cognitive responses to being socially isolated or "left out. " That is, we approach our measurement of FSI from the perspective of a trait orientation. Second, we sought to produce a measure that was minimally correlated with dispositional shyness or what is sometimes called "communication apprehension. " Third, we wanted it to be as short as feasible so as to facilitate its use in telephone surveys or other costly methods of measurement. Finally, this new measure must not yield data so highly correlated with data from competing measures so as to make it largely redundant. » »* (Hayes et al, 2013)

فجاء المقياس مشتملا على خمسة بنود طبق عليها مقياسlikert (1=معارض جدا، 5= موافق جدا)، طورت بناء على تعريف Neumann للخوف من العزلة المذكور أعلاه.(Noelle-Neumann & Petersen 2004. p. 349)

نذكر منها:

- لا أحب أن أشعر بأنّني مبعد من الوظائف الاجتماعية، الحفلات أو اللقاءات الاجتماعية الأخرى.
- يزعجني ألاّ يرغب أحد في أن يكون بجانبي.
- أسوأ الأشياء التي يمكن أن تحدث لي هو أن أعزل من قبل الأشخاص الذين أعرفهم.

وقد جاء معامل الثبات لمقياسه (Cronbach'salpha .71). كما جاء معامل ثباته في بحثنا (65.).

القيم الثقافية:

تبعا لتبنينا لنموذج Hofstede في تصنيف الثقافات للمبررات التي استعرضنا آنفا فقد اعتمدنا آليا مفاهيمه للقيم الثقافية- مناط التصنيف- وبالتالي مقاييسه المعتمدة لقياس هذه الأخيرة في آخر طبعة لها والمجملة فيما يعرف بـ: VSM 2013(VALUES SURVEY MODULE 2013) في نسخته الإنجليزية من الموقع الرسمي له(انظر الملحق(1)). وقد اشتمل كل مقياس للقيم الأربعة المتناولة على أربعة بنود، طبق عليها مقياس likert (1=موافق جدا، 5= معارض جدا).

وفيما يلي عرض لمفهوم ومقياس كل قيمة ثقافية متناولة في بحثنا هذا، مشفوعا بعبارة حساب مؤشرها أو قيمتها (Formulas for index calculation) كما أوردها هوفستيد في ذات المقياس VSM 2013.

ملاحظة: بخصوص ترتيب بنود كل مقياس (رقم كل بند من بنود VSM 2013) راجع الملحق (1).

(ج) تفاوت السلطة: عرف (2013) Hofstede تفاوت السلطة كما سبق وأن تناولناه على أنه "إلى أي درجة يقبل ويتوقع الأعضاء الأقل سلطة أو قوة في المنظمات المؤسسات (مثل العائلة) أن توزع السلطة بشكل غير متساو".

> *« « The extent to which the less powerful members of organisations and institutions (like the family) accept and expect that power is distributd unequally » ».*

وفيما يلي بندان من بنود مقياس هذا المفهوم:

- أن يستشيرك رئيسك في القرارات التي تتعلق بعملك.
- أن يكون لديك رئيس (أعلى منك درجة بشكل مباشر) يمكنك أن تحترمه.

وقد جاء معامل الثبات لمقياسه (Cronbach'salpha .55). كما جاء معامل ثباته في بحثنا (.47).

أما عبارة حساب مؤشر تفاوت السلطة (power distance index-PDI) فهي:

PDI = 35(m07 – m02) + 25(m20 – m23) + C(pd)

m: متوسط نتائج البند. مثلا m02 هو متوسط نتائج البند 2، وهكذا. يتغير المؤشر في مجال من مئة نقطة يمتد من ثقافات أو بلدان ذات تفاوت سلطة صغير جدا إلى أخرى ذات تفاوت سلطة كبير جدا. **C(pd):** ثابت (سلبي أو إيجابي) يرتبط بطبيعة العينات؛ ولا يؤثر على المقارنة بين البلدان أو الثقافات. يمكن اختياره حتى يحول نتائج PDI إلى قيم تتراوح بين 0 و100. وقد اختير هنا C(pd) = 80.

(د)الفردانية/ الجماعانية: حسب Hofstede (2013)، الفردانية هي مقابل الجماعانية. تحيل الفردانية إلى مجتمع تتسم العلاقات بين الأفراد فيه بالهشاشة: ينتظر من الفرد فيه الاهتمام بنفسه وبأسرته المباشرة وفقط. تحيل الجماعانية إلى مجتمع يندمج أفراده منذ الولادة جماعات متماسكة قوية، والتي تعمل على حمايتهم مدى الحياة مقابل ولاء مطلق.

> *« Individualism is the opposite of Collectivism. Individualism stands for a society in which the ties between individuals are loose: a person is expected to look after himself or herself and his or her immediate family only. Collectivism stands for a society in which people from birth onwards are integrated into strong, cohesive in-groups, which continue to protect them throughout their lifetime in exchange for unquestioning loyalty ».*

وفيما يلي بندان من بنود مقياس هذا المفهوم:

- أن يكون لديك الوقت الكافي لحياتك الشخصية أو المنزلية.
- أن يكون لديك عمل يحترمه أفراد عائلتك وأصدقاؤك.

بخصوص عبارة حساب هذا المؤشر- مؤشر الفردانية (IDV-individualism index)- كما سماه Hofstede فهي:

IDV = 35(m04 – m01) + 35(m09 – m06) + C(ic)

وفيها **m04** هو متوسط نتائج البند 4، وهكذا. يتغير هذا المؤشر في مجال من مئة نقطة يمتد من ثقافات أو بلدان ذاتجماعانية عالية جدا إلى أخرى ذات فردانية عالية جدا. C(ic): ثابت (سلبي أو إيجابي) يرتبط بطبيعة العينات؛ ولا يؤثر على المقارنة بين البلدان أو الثقافات. يمكن اختياره حتى يحول نتائج IDV إلى قيم تتراوح بين 0 و100. وقد اختير هنا C(ic)=80.

(هـ)الذكورة/ الأنوثة: حسب Hofstede (2013)، الذكورة هي مقابل الأنوثة. يحيل مفهوم الذكورة إلى مجتمع تتمايز فيه بشكل واضح أدوار الجنسين: يفترض أن يكون الرجال واثقين من أنفسهم، أشداء، وهمهم النجاح المادي؛ يفترض أن يكون النساء متواضعات، حنونات، ومهتمات بجودة الحياة. يحيل مفهوم الأنوثة إلى مجتمع تتداخل فيه أدوار الجنسين: يفترض في كل من الرجال والنساء أن يكونوا متواضعين، حنونين، ومهتمين بجودة الحياة.

> *« Masculinity is the opposite of Femininity. Masculinity stands for a society in which social gender roles are clearly distinct: men are supposed to be assertive, tough, and focused on material success; women are supposed to be more modest, tender, and concerned with the quality of life. Femininity stands for a society in which social gender roles overlap: both men and women are supposed to be modest, tender, and concerned with the quality of life ».*

وفيما يلي بندان من بنود مقياس هذا المفهوم:

- أن تعيش في منطقة أنت راغب فيها.
- أن تتلقى التقدير مقابل أداءك الجيد.

بشأن عبارة حساب مؤشر الذكورة (Masculinity Index-MAS) هي:

$$\mathbf{MAS = 35(m05 - m03) + 35(m08 - m10) + C(mf)}$$

وفيها **m05** هو متوسط نتائج البند 5، وهكذا. يتغير هذا المؤشر في مجال من مئة نقطة يمتد من ثقافات أو بلدان ذات أنوثةعالية جدا إلى أخرى ذات ذكورةعالية جدا. C(mf): ثابت (سلبي أو إيجابي)يرتبط بطبيعة العينات؛ ولا يؤثر على المقارنة بين البلدان أو الثقافات. يمكن اختياره حتى يحول نتائج **MAS** إلى قيم تتراوح بين 0 و100. وقد اختير هنا C(mf)= 50.

(و)تفادي الريب: حسب Hofstede(2013) ، يشير مفهوم تفادي الريب إلى درجة شعور أعضاء المنظمات والمؤسسات ضمن مجتمع بالتهديد جراء التواجد في وضعيات غير نمطية، غامضة، مريبة مجهولة.

> *« Uncertainty Avoidance is defined as the extent to which the members of institutions and organizations within a society feel threatened by uncertain, unknown, ambiguous, or unstructured situations ».*

وفيما يلي بندان من بنود مقياس هذا المفهوم:

- لا يمكن انتهاك قوانين شركة أو هيئة ما حتى وإن ظن الموظفأن ذلك في صالح الشركة أو الهيئة.

- يمكن للمرء أن يكون مديرا جيدا دون أن يجيب بدقةعن كل تساؤلات الموظفين لديه حول قضايا العمل.

أما عن عبارة مؤشر تفادي الريب (Uncertainty Avoidance Index-AUI) فكانت:

UAI = 40(m18 - m15) + 25(m21 – m24) + C(ua)

وفيها **m18** هو متوسط نتائج البند 18، وهكذا. يتغير هذا المؤشر في مجال من مئة نقطة يمتد من ثقافات أو بلدان ذات تفادي ريب منخفض جدا إلى أخرى ذات تفادي ريب عال جدا. C(ua) : ثابت (سلبي أو إيجابي) يرتبط بطبيعة العينات؛ ولا يؤثر على المقارنة بين البلدان أو الثقافات. يمكن اختياره حتى يحول نتائج **UAI** إلى قيم تتراوح بين 0 و100. وقدر اختير هنا C(ua) = 50

الفصل الرابع

عرض نتائج البحث وتحليلها ومناقشتها

4-1-التحليل الإحصائي الوصفي للمكونات:

4-1-1- نتائج بنود المقياس للعينة كاملة:

جدول (8) نتائج بنود المقياس

	المتوسط	الانحراف المعياري	الالتواء	التفلطح
البند1	3,66	1,246	-,731	-,593
البند2	3,82	,994	-,774	,075
البند3	4,21	1,124	-1,457	1,206
البند4	3.60	1,251	-,500	-,950
البند5	2.24	1,051	,741	,029
البند6	2.99	1,295	-,024	-1,294
البند7	3.84	1,145	-,647	-,742
البند8	98 .2	1,137	,112	-,900
البند9	4,23	,834	-1,396	2,587
البند10	2,86	1,264	,239	-1,162
البند11	2,84	1,162	,212	-1,113
البند12	3,63	1,170	-,578	-,626
البند13	3.10	1,195	-,114	-1,088
البند 14	4.67	,660	-2,575	8,277
البند 15	2.08	,922	1,033	1,266

البند 16	3,14	1,082	-,054	-,920
البند 17	2,85	1,157	,236	-,977
البند 18	4,45	,720	-1,324	1,982
البند 19	4,18	,860	-1,115	1,457
البند 20	4.44	,746	-1,582	3,309
البند 21	3.94	1,010	-,947	,630
البند 22	4.36	,799	-1,314	1,855
البند23	4.48	,753	-1,476	2,004
البند 24	4.26	,841	-1,153	1,234
البند 25	4.41	,814	-1,509	2,255
البند 26	4.08	,921	-,883	,476
البند 27	4.11	,967	-1,045	,744
البند 28	3.31	1,156	-,268	-,701
البند 29	4,00	1,032	-1,064	,784
البند 30	4,47	,704	-1,397	2,410
البند 31	4.45	,768	-1,584	2,961
البند 32	3.42	,842	,120	-,085
البند 33	3.28	1,076	-,166	-,592
البند 34	3.79	,693	-,404	,646
البند 35	4.15	,985	-1,048	,662
البند 36	3.45	,992	-,391	-,066
البند 37	3.68	,833	-,600	,850

يبين لنا الجدول (8) أن الانحرافات المعيارية لبنودالمقياس عن المتوسطات تقع إجمالا ما بين 0.660 و1.295 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (2.575- و741.). ويؤشر انحصار درجة الالتواء- إجمالا - بين -1 / +1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغيرات. وهي

قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع. يذكرأن نتائج الالتواء والتفلطح تستخدم كمؤشرات دالة على اعتدال توزيع المتغيرات من عدمه، خاصة في مقاييس المسافات المنتظمة (مقياس Likert) (لوصيف، 2007).

4-1-2- نتائج بنود المقياس المتعلقة بالقبائل:

يبين لنا الجدول (9) أن الانحرافات المعيارية لبنودالمقياس المتعلقة بالقبائل عن المتوسطات تقع إجمالا مابين 0.728 و.1404 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (2.618-و700.). ويؤشر انحصار درجة الالتواء- إجمالا - بين -1 / +1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغيرات. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

جدول (9) نتائج بنود المقياس المتعلقة بالقبائل

	المتوسط	الانحراف المعياري	الالتواء	التفلطح
البند 1	3,30	1,404	-,343	-1,260
البند2	3.61	1,148	-,562	-,592
البند3	4.16	1,157	-1,386	,950
البند4	3.51	1,313	-,426	-1,081
البند5	2.36	1,154	,573	-,417
البند6	3,17	1,272	-,269	-1,211
البند7	3.67	1,187	-,547	-,849
البند8	2.88	1,160	,067	-1,065
البند9	3.90	,973	-1,411	2,099
البند10	2.65	1,268	,594	-,819
البند11	2,80	1,040	,045	-1,310
البند12	3.42	1,251	-,271	-1,040
البند13	3.01	1,262	,046	-1,212
البند 14	4.58	,829	-2,618	7,658

البند 15	2.13	1,024	1,125	1,106
البند 16	3,02	1,129	-,043	-1,047
البند 17	2.88	1,203	,274	-1,028
البند 18	4.25	,909	-1,238	1,281
البند 19	4.33	,728	-,942	,762
البند 20	4.30	,913	-1,436	1,838
البند 21	3,74	1,036	-,665	,022
البند 22	4.29	,896	-1,181	1,037
البند23	4.59	,816	-2,001	3,035
البند 24	4.06	,952	-,911	1,384
البند 25	4.38	,900	-1,575	2,2087
البند 26	3,92	1,071	-,887	,210
البند 27	3.96	1,089	-,853	,057
البند 28	3.35	1,149	-,369	-,553
البند 29	3.95	1,161	-1,226	,923
البند 30	4.35	,762	-,990	,466
البند 31	4,43	,762	-1,524	2,462
البند 32	3.50	,883	,196	-,214
البند 33	3.45	1,167	-,307	-,761
البند 34	3.67	,728	-,106	,198
البند 35	4.23	,962	-1,234	1,281
البند36	3.75	,921	-,339	-,267
البند 37	3.66	,802	-,747	1,483

4-1-3-نتائج بنود المقياس المتعلقة بالشاوية:

يبين لنا الجدول (10) أن الانحرافات المعيارية لبنودالمقياس المتعلقة بالقبائل عن المتوسطات تقع إجمالا مابين 0.613 و1.281 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود

كلها بين (1.814- و1.109). ويؤشر انحصار درجة الالتواء- إجمالا - بين -1 / +1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغيرات. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

جدول (10) نتائج بنود المقياس المتعلقة بالشاوية

	المتوسط	الانحراف المعياري	الالتواء	التفلطح
البند 1	3,78	1,121	-,772	-,332
البند2	3.93	,925	-,876	,650
البند3	4.17	1,128	-1,490	1,495
البند4	3.77	1,209	-,700	-,679
البند5	2.13	1,015	,955	,571
البند6	3,14	1,237	-,118	-1,155
البند7	3.90	1,193	-,722	-,750
البند8	3.06	1,204	,043	-,969
البند9	4.24	,758	-,980	1,065
البند10	3.00	1,281	,091	-1,265
البند11	2,88	1,233	,389	-1,096
البند12	3.75	1,109	-,867	,156
البند13	3.09	1,197	,012	-1,191
البند 14	4.62	,613	-1,814	3,978
البند 15	2.13	,913	1,109	1,656
البند 16	3,30	1,080	-,100	-,895
البند 17	2.78	1,194	,417	-,905
البند 18	4.51	,626	-,897	-,210
البند 19	4.01	1,008	-1,031	,828
البند 20	4.49	,652	-1,096	,864
البند 21	4,11	,954	-1,098	1,139
البند 22	4.39	,731	-1,128	1,079

البند23	4.52	,613	-,911	-,166
البند 24	4.21	,860	-1,085	1,100
البند 25	4.45	,694	-1,147	1,115
البند 26	4,17	,855	-,863	,518
البند 27	4.20	,914	-1,028	,560
البند 28	3.50	1,187	-,304	-,920
البند 29	4.25	,810	-,853	,065
البند 30	4.43	,716	-1,643	4,367
البند 31	4,40	,833	-1,720	3,651
البند 32	3.50	,847	,078	-,194
البند 33	3.28	1,097	-,143	-,640
البند 34	3.79	,667	-,214	,096
البند 35	4.11	,934	-,740	-,176
البند36	3,47	,958	-,422	-,056
البند 37	3.54	08,8	216-,	040,

4-1- 4-نتائج بنود المقياس المتعلقة ببني ميزاب:

يبين لنا الجدول (11) أن الانحرافات المعيارية لبنودالمقياس المتعلقة بالشاوية عن المتوسطات تقع إجمالا مابين 452. و1.219مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (3.039- و700.). ويؤشر انحصار درجة الالتواء- إجمالا - بين -1 / +1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغيرات. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

جدول (11) نتائج بنود المقياس المتعلقة ببني ميزاب

	المتوسط	الانحراف المعياري	الالتواء	التفلطح
البند 1	3,83	1,208	-,986	-,033
البند2	3.87	,915	-,700	-,142
البند3	4.34	1,074	-1,624	1,658
البند4	3.45	1,219	-,303	-1,060
البند5	2.29	,994	,606	-,003
البند6	2,58	1,345	,446	-1,168
البند7	3.95	,993	-,660	-,566
البند8	3.01	1,000	,346	-,655
البند9	4.55	,648	-1,408	2,019
البند10	2.93	1,218	,100	-1,165
البند11	2,80	1,190	,052	-1,241
البند12	3.67	1,155	-,503	-,868
البند13	3.22	1,144	-,547	-,571
البند 14	4.85	,452	-3,039	8,759
البند 15	1.95	,805	,513	-,233
البند 16	3,01	1,035	,042	-,895
البند 17	2.96	1,058	-,178	-,942
البند 18	4.58	,564	-,956	-,071
البند 19	4.30	,708	-,7081	,114
البند 20	4.51	,656	-2,117	8,856
البند 21	3,89	1,053	-1,050	,892
البند 22	4.38	,805	-1,658	3,676
البند23	4.31	,850	-1,250	1,697
البند 24	4.56	,567	-,848	-,275
البند 25	4.40	,893	-1,627	2,437
البند 26	4,12	,827	-,620	-,273

البند 27	4.18	,880	-1,338	2,569
البند 28	3.04	1,064	-,322	-,406
البند 29	3.70	1,073	-,634	-,180
البند 30	4.67	,567	-1,506	1,350
البند 31	4,55	,654	-1,163	,203
البند 32	3.21	,762	,286	,807
البند 33	3.10	,936	-,298	-,316
البند 34	3.89	,667	-1,061	3,607
البند 35	4.24	,989	-1,187	,982
البند36	3,11	,982	-,376	,118
البند 37	3.95	,805	-1,048	2,707

الجدول (12) نتائج مكونات المقياس

	المتوسط	المعياري الانحراف	القيمة الدنيا	القيمة القصوى
الخوف من العزلة الاجتماعية	3.6960	.6902	1.00	5.00
الاستعداد للرقابة الذاتية	2.8362	.7055	1.00	5.00
الخوف من العزلة لدى القبائل	3.5260	.7188	1.00	5.00
الاستعداد للرقابة الذاتية لدى القبائل	2.7675	.6911	1.00	5.00
الخوف من العزلة لدى الشاوية	3.784	.7362	1.00	5.00
الاستعداد للرقابة الذاتية لدى الشاوية	2.8762	.7280	1.00	5.00
الخوف من العزلة لدى بني ميزاب	3.760	.5572	1.00	5.00
الاستعداد للرقابة الذاتية لدى بني ميزاب	2.8562	.7001	1.00	5.00

4-1-5- الاستعداد للرقابة الذاتية:

يبين لنا الجدول (13) أن نتائج الانحرافات المعيارية لبنودالمقياس المتعلقة بالقبائل عن المتوسطات تقع إجمالا مابين 0.805و1.404 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (986.- و1.125). ويؤشر انحصار درجة الالتواء- إجمالا - بين -1 / +1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغيرات. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

جدول (13) نتائج بنود مكون الرقابة الذاتية

	ترتيب البند في المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري في المتوسط	الالتواء	التفلطح
الرقابة الذاتية	البند رقم 1	3.66	1,246	-,731	-,593
	البند رقم 5	2.24	1,051	,741	,029
	البند رقم 10	2.86	1,264	,239	-1,162
	البند رقم 11	2.84	1,162	,212	-1,113
	البند رقم 13	3.10	1,195	-,114	-1,088
	البند رقم 15	2.08	,922	1,033	1,266
	البند رقم 16	3.14	1,082	-,054	-,920
	البند رقم 17	3.14	1,082	-,054	-,920
الرقابة الذاتية لدى القبائل	البند رقم 1	3,30	1,404	- .344	-1.260
	البند رقم 5	2.36	1,154	-.562	-.417
	البند رقم 10	2.65	1,268	.594	-.819
	البند رقم 11	2,80	1,040	.045	-1.310
	البند رقم 13	3.01	1,262	.046	-1.212
	البند رقم 15	2.13	1,024	1.125	1.106
	البند رقم 16	3,30	1,080	-.043	-1.047
	البند رقم 17	2.88	1,203	.247	-1.028
	البند رقم 1	3,78	1,121	-.772	-.332

الرقابة الذاتية لدى الشاوية	البند رقم 5	2.13	1,015	.955	.571
	البند رقم 10	3.00	1,281	.091	-1.265
	البند رقم 11	2,88	1,233	.389	-1.096
	البند رقم 13	3.09	1,197	.012	-1.091
	البند رقم 15	2.13	,913	.913	1.656
	البند رقم 16	3,30	1,080	-.100	-.895
	البند رقم 17	2.78	1,194	.417	-.905
الرقابة الذاتية لدى بني ميزاب	البند رقم 1	3,83	1,208	-.986	-.033
	البندرقم 5	2.29	,994	.606	-.003
	البند رقم 10	2.93	1,218	.100	-1.165
	البند رقم 11	2,80	1,190	.052	-1.241
	البند رقم 13	3.22	1,144	-.547	-.571
	البند رقم 15	1.95	,805	.513	.520
	البند رقم 16	3,01	1,035	-.042	.895
	البند رقم 17	2.96	1,058	-.178	-.942

4-1-6- الخوف من العزلة:

يبين لنا الجدول (14) أن نتائج الانحرافات المعيارية عن متوسطات بنودالمقياس تقع إجمالا مابين 0.648و1.313 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (1.411- و. 346.). ويؤشر انحصار درجة الالتواء- إجمالا - بين -1 / +1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغيرات. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

جدول (14) نتائج بنود مكون خوف العزلة

	ترتيب البند في المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري في المتوسط	الالتواء	التفلطح
الخوف من العزلة	البند رقم 2	3.82	,994	-,774	,075
	البند رقم 4	3.60	1,251	-,500	-,950
	البند رقم 7	3.84	1,145	-,647	-,742
	البند رقم8	2.98	1,137	,112	-,900
	البند رقم 9	4.23	,834	-1,396	2,587
الخوف من العزلة لدى القبائل	البند رقم 2	3.61	1,148	-,562	-,592
	البند رقم 4	3.51	1,313	-,426	-1,081
	البند رقم 7	3.67	1,187	-,547	-,849
	البند رقم 8	2.88	1,160	,067	-1,065
	البند رقم 9	3.90	,973	-1,411	2,099
الخوف من العزلة لدى الشاوية	البند رقم 2	3.93	,925	-,876	,650
	البند رقم 4	3.77	1,209	-,700	-,679
	البند رقم 7	3.90	1,193	-,722	-,750
	البند رقم 8	3.06	1,204	,043	-,969
	البند رقم 9	4.24	,758	-,980	1,065
الخوف من العزلة لدى بني ميزاب	البند رقم 2	3.87	,915	-.700	-.142
	البند رقم 4	3.45	1,219	-.303	-1.060
	البند رقم 7	3.95	,993	-.606	-.566
	البند رقم 8	3.01	1,000	.346	-.655
	البند رقم 9	4.55	,648	-1.408	2.019

4-1-7-نتائج بنود مكون تفاوت السلطة:

جدول (15) نتائج بنود مكون تفاوت السلطة لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث.

	ترتيب البند في المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري في المتوسط	الالتواء	التفلطح
تفاوت السلطة لدى العينة كاملة	البند رقم 3	4.21	1,124	-1,457	1,206
	البند رقم 21	3.94	1,010	-,947	,630
	البند رقم 24	4.26	,841	-1,153	1,234
	البند رقم 33	3.28	1,076	-,166	-,592
تفاوت السلطة لدى القبائل	البند رقم 3	4.16	1,157	-1,386	,950
	البند رقم 21	3,74	1,036	-,665	,022
	البند رقم 24	4.06	,952	-,911	1,384
	البند رقم 33	3.45	1,167	-,307	-,761
تفاوت السلطة لدى الشاوية	البند رقم 3	4.17	1,128	-1,490	1,495
	البند رقم 21	4,11	,954	-1,098	1,139
	البند رقم 24	4.21	,860	-1,085	1,100
	البند رقم 33	3.28	1,097	-,143	-,640
تفاوت السلطة لدى بني ميزا ب	البند رقم 3	4.34	1,074	-1,624	1,658
	البند رقم 21	3,89	1,053	-1,050	,892
	البند رقم 24	4.56	,567	-,848	-,275
	البند رقم 33	3.10	,936	-,298	-,316

يبين لنا الجدول (15) أن نتائج الانحرافات المعيارية عن متوسطات بنود المقياس المتعلقة بمكون تفاوت السلطة تقع مابين567.و1.167مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (1.624- و143. -). ويؤشر انحصار درجة الالتواء –إجمالا- بين-1/+1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغير. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

4-1-8 -نتائج بنود مكون الفردانية/ الجماعانية:

جدول (16) نتائج بنود مكون الفردانية/الجماعانية لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث.

	ترتيب البند في المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري في المتوسط	الالتواء	التفلطح
الفردانية/الجماعانية لدى العينة كاملة	البند رقم 23	4.48	,753	-1,476	2,004
	البند رقم 29	4.00	1,032	-1,064	,784
	البند رقم 30	4.47	,704	-1,397	2,410
	البند رقم 31	4.45	,768	-1,584	2,961
الفردانية/الجماعانية لدى القبائل	البند رقم 23	4.59	,816	-2,001	3,035
	البند رقم 29	3.95	1,161	-1,226	,923
	البند رقم 30	4.35	,762	-,990	,466
	البند رقم 31	4,43	,762	-1,524	2,462
الفردانية/الجماعانية لدى الشاوية	البند رقم 23	4.52	,613	-,911	-,166
	البند رقم 29	4.25	,810	-,853	,065
	البند رقم 30	4.43	,716	-1,643	4,367
	البند رقم 31	4,40	,833	-1,720	3,651
الفردانية/الجماعانية لدى بني ميزاب	البند رقم 23	4.31	,850	-1,250	1,697
	البند رقم 29	3.70	1,073	-,634	-,180
	البند رقم 30	4.67	,567	-1,506	1,350
	البند رقم 31	4,55	,654	-1,163	,203

يبين لنا الجدول (16) أن نتائج الانحرافات المعيارية عن متوسطات بنود المقياس المتعلقة بمكون الفردانية/الجماعانية تقع مابين 1.0481 و1.2042 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (8101. - و700.). ويؤشر انحصار درجة الالتواء –إجمالا- بين-1/+1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغير. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

4-1-9 -نتائج بنود مكون تفادي الريب:

جدول (17) نتائج بنود مكون تفادي الريب لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث.

	ترتيب البند في المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري في المتوسط	الالتواء	التفلطح
تفادي الريب لدىالعينة كاملة	البند رقم 6	2.99	1,295	-,024	-1,294
	البند رقم 12	3.63	1,170	-,578	-,626
	البند رقم 32	3.42	,842	,120	-,085
	البند رقم 37	3.68	,833	-,600	,850
تفادي الريب لدى القبائل	البند رقم 6	3,17	1,272	-,269	-1,211
	البند رقم 12	3.42	1,251	-,271	-1,040
	البند رقم 32	3.50	,883	,196	-,214
	البند رقم 37	3.66	,802	-,747	1,483
تفادي الريب لدى الشاوية	البند رقم 6	3,14	1,237	-,118	-1,155
	البند رقم 12	3.75	1,109	-,867	,156
	البند رقم 32	3.50	,847	,078	-,194
	البند رقم 37	3.54	,808	-,216	,040
تفادي الريب لدى بني ميزا ب	البند رقم 6	2,58	1,345	,446	-1,168
	البند رقم 12	3.67	1,155	-,503	-,868
	البند رقم 32	3.21	,762	,286	,807
	البند رقم 37	3.95	,805	-1,048	2,707

يبين لنا الجدول (17) أن نتائج الانحرافات المعيارية عن متوسطات المقياس المتعلقة بمكون تفادي الريب تقع مابين 762. و1.295مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة للبنود كلها بين (1.048- و078.). ويؤشر انحصار درجة الالتواء –إجمالا- بين-1/+1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغير. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

4-1-10-نتائج بنود مكون الذكورة/الأنوثة:

جدول (18) نتائج بنود مكون الذكورة/الأنوثة لدى مجموع العينة والجماعات الثقافية الثلاث.

	ترتيب البند في المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري في المتوسط	الالتواء	التفلطح
الذكورة/الأنوثة لدىالعينة كاملة	البند رقم 20	4.44	,746	-1,582	3,309
	البند رقم 22	4.36	,799	-1,314	1,855
	البند رقم 25	4.26	,841	-1,153	1,234
	البند رقم 27	4.11	,967	-1,045	,744
الذكورة/الأنوثة لدى القبائل	البند رقم 20	3,74	1,036	-,665	,022
	البند رقم 22	4.29	,896	-1,181	1,037
	البند رقم 25	4.38	,900	-1,575	2,2087
	البند رقم 27	3.96	1,089	-,853	,057
الذكورة/الأنوثة لدى الشاوية	البند رقم 20	4.49	,652	-1,096	,864
	البند رقم 22	4.39	,731	-1,128	1,079
	البند رقم 25	4.45	,694	-1,147	1,115
	البند رقم 27	4.20	,914	-1,028	,560
الذكورة/الأنوثة لدى بني ميزاب	البند رقم 20	4.51	,656	-2,117	8,856
	البند رقم 22	4.38	,805	-1,658	3,676
	البند رقم 25	4.40	,893	-1,627	2,437
	البند رقم 27	4.18	,880	-1,338	2,569

يبين لنا الجدول (18) أن نتائج الانحرافات المعيارية عن متوسطات بنود المقياس المتعلقة بمكون الذكورة/ الأنوثة تقع مابين 652. و1.089 مما يعني أن تشتتها ضيق وتباينها ضعيف. كما يظهر من نتائج الالتواء أنها تنحصر بالنسبة

للبنود كلها بين (2.217- و665. -). ويؤشر انحصار درجة الالتواء –إجمالا- بين-1/+1 إلى الاعتدال النسبي في توزيع قيم المتغير. وهي قيم تتمركز حول المتوسط على يسار التوزيع.

4-1-11-نتائج مستويات القيم الثقافية:

الجدول (19) مستويات القيم الثقافية الأربعة لدى الجماعات الثقافية

	القبائل	الشاوية	بنو ميزاب
قيمة تفاوت السلطة	73.85	61.25	72.45
قيمة الفردانية/ الجماعانية	71.60	77.90	37.65
قيمة تفادي الريب	50.15	36.25	52.35
قيمة الذكورة/الأنوثة	65.05	62.25	62.25

يظهر من الجدول (19) لمستويات القيم الثقافية الأربعة لكل جماعة ثقافية ما يلي: تقارب أقرب إلى التساوي في مؤشر قيمة الذكورة/الأنوثة لدى الجماعات الثقافية الثلاثة. كما يظهر تقارب كبير في كل مستويات القيم الأربعة بين القبائل وبني ميزاب إلا في مستوى الفردانية/الجماعانية.

4-2-اختبار الفرضيات والإجابة عن التساؤلات:

في مستهل هذا المبحث المتعلق باختبار فروض بحثنا والإجابة عن تساؤلاته، نجد وجيها التذكير بفروض بحثنا وتساؤلاته. نزعم أننا نحاول تدارس ما إذا كان ثم ارتباط أوتأثير للعوامل الثقافية على سمتين شخصيتين تجسدان فوارق فردية بين الأفراد، وهما في ذات الوقت متغيران أساسيان في سيرورة لولب الصمتو طرفا علاقة أساسية في هذه الأخيرة، ألا وهما الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية. وذلك في مستويات ثلاث، **أولا:** تناول العلاقة المباشرة المفترضة بين المتغيرات الثقافية والمتغير التابع الأساسي للنظرية وهو في حالتنا الاستعداد للرقابة الذاتية. **ثانيا:** تناول العلاقة غير المباشرة بينهما، أي عبر متغير وسيط(mediator) ألا وهو الخوف من العزلة الذي أيدت كثير من

الدراسات كونه الميكانيزم المسبب للسيرورة- إن بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر من خلال الدفع إلى رصد مناخ الرأي السائد ومن ثم تقرير التعبير عن الرأي أو الرقابة الذاتية على حسب مدىالتوافق بين الرأي الشخصي ومناخ الرأي السائد عن القضية محل التداول. ثالثا: تناول كيف تتفاوت العلاقة بين هذين المتغيرين الأساسيين في السيرورة تبعا للعوامل الثقافية (cultural factors as moderators).

وانطلاقا مما سبق نسوق الفرضيات والتساؤلات التالية:

الفرضية الأولى: تفاوت مستويات القيم الثقافية الأربع المعتبرة بين الجماعات الإثنية الثلاثة.

المستوى الأول: العلاقة المباشرة بين العوامل الثقافية والاستعداد للرقابة الذاتية:

المستوى الثاني: العلاقة غير المباشرة بين العوامل الثقافية والاستعداد للرقابة الذاتية: الخوف من العزلة كمتغير وسيط (العلاقة بين العوامل الثقافية والخوف من العزلة).

المستوى الثالث: تفاوت العلاقة بين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية بين الثقافات.

في هذا السياق نذكر أيضا أننا اكتفينا في شأن العلاقة غير المباشر بين العوامل الثقافية المعتبرة على الاستعداد للرقابة الذاتية: أي الخوف من العزلة الاجتماعية كمتغير وسيط بينهما (fear of isolation as a **mediator**)، اكتفينا بفرضية واحدة فقط تتعلق بعامل الفردانية / الجماعانية. أما عن علاقة العوامل الأخرى بالخوف من العزلة الاجتماعية. أما بخصوص العوامل الثقافية الثلاثة الباقية فقد اكتفينا بالتساؤل عن علاقتها بالخوف من العزلة الاجتماعية كمتغير وسيط وذلك لخلو الأدبيات، على الأقل في حدود ما اطلعنا عليه، من إشارة لارتباطات بين الطرفين كما تقدم بيانه.

ملاحظة: في كل ما هو آت سيتم استخدام كل من القيم، المتغيرات والعوامل الثقافية بنفس المعنى.

الفرضية الأولى: نصت الفرضية الأولى على تفاوت مستويات القيم الثقافية الأربع المعتبرة بين الجماعات الإثنية الثلاثة.

الجدول (20) مستويات القيم الثقافية الأربعة لدى الجماعات الثقافية

	القبائل (1)	الشاوية (2)	بنو ميزاب (3)
قيمة تفاوت السلطة PD	73.85	61.25	72.45
قيمة الفردانية/الجماعانية IND	71.60	77.90	37.65
قيمة تفادي الريب UA	50.15	36.25	52.35
قيمة الذكورة/الأنوثة MAS	65.05	62.25	62.25

يبدو جليا من الجدول (20) أن هناك تفاوتا نسبيا بين الجماعات الثقافية الثلاث فيمستويات كل قيمة من القيم الثقافية الأربعة المتناولة. وهو ما يعبد لنا الطريق ويؤسس للتوجه نحو بحث علاقة التفاوت في القيم الثقافية المعتبرة بين الجماعات الثقافية بمتغيرين أساسيين في سيرورة لولب الصمت، أو بالأحرى، بحظوظ حدوث السيرورة في سياق ثقافي ما دون غيره، وبالتالي تحصيل مزيد فهم حيال طبيعة السيرورة وما إذا كانت وجودية أو سياقية. وعليه لقيت الفرضية 1 تأييدا في بحثنا، وإن كان متفاوتا ومحدودا.

الفرضية الثانية: نصت الفرضية الثانية على وجود ارتباط إيجابي بين تفاوت السلطة والاستعداد للرقابة الذاتية لدى الأفراد. يبدو من الجدول (21) أن لا وجود لارتباط ذي دلالة إحصائية بين المتغيرين السابقين، أي لم تبن النتائج عن وجود علاقة بين المتغيرين، وعليه الفرضية 2 لا تلقى تأييدا في بحثنا.

جدول (21) علاقة العوامل الثقافية بالاستعداد للرقابة الذاتية

	الاستعداد للرقابة الذاتية
تفاوت السلطة	-,050
الفردانية/الجماعانية	-,005
تفادي الريب	-,041
الذكورة/الأنوثة	-,065

**الارتباطات ذات دلالة عند مستوى 01. *الارتباطات ذات دلالة عند مستوى 05.

الفرضية الثالثة: نصت الفرضية الثالثة على وجود ارتباط إيجابي بين متغير الفردانية/الجماعانية والاستعداد الرقابة الذاتية لدى الأفراد (أي كلما زادت جماعانية المجتمع زاد استعداده للرقابة الذاتية). يبدو من الجدول (21) أن لا وجود لارتباط ذي دلالة إحصائية بين المتغيرين السابقين، أي لم تبن النتائج عن وجود علاقة بين المتغيرين، وعليه الفرضية 3 لا تلقى تأييدا في بحثنا.

الفرضية الرابعة: نصت الفرضية الرابعة على وجود ارتباط إيجابي بين تفادي الريب والاستعداد للرقابة الذاتية لدى الأفراد. يبدو من الجدول (21) أن لا وجود لارتباط ذي دلالة إحصائية بين المتغيرين السابقين، أي لم تبن النتائج عن وجود علاقة بين المتغيرين، وعليه الفرضية 4 لا تلقى تأييدا في بحثنا.

الفرضية الخامسة: نصت الفرضية الخامسة على وجود ارتباط سلبيبين متغير الذكورة والاستعداد للرقابة الذاتية لدى الأفراد. يبدو من الجدول (21) أن لا وجود لارتباط ذي دلالة إحصائية بين المتغيرين السابقين، أي لم تبن النتائج عن وجود علاقة بين المتغيرين، وعليه الفرضية 5 لا تلقى تأييدا في بحثنا.

جدول (22) علاقة العوامل الثقافية بالخوف من العزلة

	الخوف من العزلة
تفاوت السلطة	-,115*
الفردانية/الجماعانية	-,029
الذكورة/الأنوثة	-,165**
تفادي الريب	-,089

**الارتباطات ذات دلالة عند مستوى01. *الارتباطات ذات دلالة عند مستوى 05.

إجمالا، أظهرت النتائج المتعلقة بعلاقة العوامل الثقافية بالاستعداد للرقابة الذاتية عدم تسجيل أية ارتباطات بين الطرفين، وذلك ربما يعود على الأقل ظاهريا، وكما أشارت إليه عدد من الدراسات (مثل: kashim,1989)، إلى تعذر اختبار تفسيرات على المستوى الثقافي لظواهر على المستوى الفردية، مما يؤكد الحاجة لمتغيرات وسيطة تقابل

العوامل الثقافية على المستوى الفردي، مثال ذلك ما تقدم بيانه في مفهوم النفس أو تصور الذات على المستوى الفردي. ربما هناك عوامل أخرى سنتوسع في شرحها حال مناقشة النتائج.

فيما يلي نعطف إلى الفرضية والتساؤلات المتناولة للعلاقة غير المباشرة بين القيم الثقافية والاستعداد للرقابة الذاتية، أي المتخذة من الخوف من العزلة متغيرا وسيطا بينهما، أي طرفا في علاقة مع العوامل الثقافية الأربعة.

الفرضية السادسة: نصت الفرضية السادسة على وجود ارتباط إيجابي بين متغير الفردانية/الجماعانية والخوف من العزلة (أي كلما زادت جماعانية المجتمع زاد خوف أفراده من العزلة). تظهر نتائج الجدول (22) أن لا وجود لارتباط ذي دلالة إحصائية بين المتغيرين السابقين. وعليه، لم تبن نتائج بحثنا عن علاقة بينهما بين المتغيرين. وبالتالي لا تلقى الفرضية السادسة تأييدا في بحثنا.

التساؤل الأول: بخصوص التساؤل عما إذا كانت ثم علاقة بين تفاوت السلطة والخوف من العزلة، يبدو من خلال الجدول (22) أن هناك ارتباط ذو دلالة إحصائية بين المتغيرين (*r=-. 115, p<0. 05). وعليه، فعلا أبانت نتائجنا عن علاقة عكسية بين تفاوت السلطة والخوف من العزلة. وهي نتيجة جاءت على عكس ما كان متوقعا لو حدسا، وذلك من منظور الفئة الأضعف في علاقات السلطة في المجتمع التي اتخذت مرجعا في تعريف، وبالتالي في قياس الخوف من العزلة. ماعدا إذا اعتبرنا مفردات العينة- وهم في حالتنا الأساتذة الجامعيون- أصحاب سلطة، وبالتالي يزول الإشكال وتتسق النتيجة المتحصل عليها مع هذا الاعتبار.

التساؤل الثاني: أما بشأن التساؤل عما إذا كانت ثم علاقة بين متغير تفادي الريب والخوف من العزلة، فيظهر من الجدول (22) أعلاه أن لا وجود لأي ارتباط ذي دلالة إحصائية بين المتغيرين، وبالتالي لا تشير نتائجنا لوجود علاقة بينهما.

التساؤل الثالث: فيما يتعلق بالتساؤل حول علاقة ما بين متغير الذكورة (تشير القيم الكبيرة لهذا المتغير إلى ارتفاع مستوى الذكورة لدى المجتمع، بينما تشير القيم الصغيرة له إلى انخفاض مستوى الذكورة لدى المجتمع وبالتالي ارتفاع مستوى الأنوثة) والخوف من العزلة. فيبدو من خلال الجدول (22) أعلاه أن هناك ارتباط سلبي ذو دلالة إحصائية بين المتغيرين ($r=-,165^{**}, p<0.01$). إذن تظهر نتائج بحثنا وجود علاقة عكسية بين متغير الذكورة والخوف من العزلة. وهي نتيجة مهمة تعكس أهمية اعتبار عامل الذكورة المستحكم في مجتمعنا الجزائري وعبر مختلف الجماعات الثقافية تبعا لارتباطه القوي بمتغير الخوف من العزلة كما يبدو في الجدول أعلاه.

الجدول (23) العلاقة بين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية في المجتمع الجزائري والجماعات الثقافية.

	الاستعداد للرقابة الذاتية في المجتمع الجزائري	الاستعداد للرقابة الذاتية لدى القبائل	الاستعداد للرقابة الذاتية لدى الشاوية	الاستعداد للرقابة الذاتية لدى بني ميزاب
الخوف من العزلة في المجتمع الجزائري	,222**			
الخوف من العزلة لدى القبائل		,190		
الخوف من العزلة لدى الشاوية			,276**	
الخوف من العزلة لدى بني ميزاب				,115

*الارتباطات ذات دلالة عند مستوى 05. ** الارتباطات ذات دلالة عند مستوى01.

الفرضية السابعة: تنص الفرضية السابعة على تفاوت العلاقة بين المتغيرين الأساسيين للنظرية: الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية عبر الثقافات، أي تباين هذه العلاقة بين الجماعات الثقافية وجودا وشدة. يبدو من

الجدول (23) أن هناك تفاوت في هذه العلاقة فعلا عبر الثقافات محل البحث. فبينما يلاحظ من ذات الجدول ارتباط ذو دلالة بين هذه المتغيرين في المجتمع الجزائري قاطبة (r=. 222**, p<0. 01) (باعتبار عينة الدراسة متجانسة أي بتجاوز الفوارق الثقافية) ، وكذلك ارتباط ذو دلالة إحصائية بين هذين المتغيرين لدى الشاوية (r=. 276**, p<0. 01)، في حين لم يسجل أي ارتباط ذي دلالة إحصائية لدى القبائل ولا بني ميزاب.

أهم من ذلك، يلاحظ من الجدول (24) وجود ارتباطات ذات دلالة إحصائية بين مستويات كل قيمة من القيم الثقافية الأربعة والعلاقة WSC-FSI. وهو ما يؤشر لارتباط هذه العلاقة وجدا وشدة بمستويات القيم الثقافية في الجماعات الثقافية المختلفة. وعليه لقيت الفرضية السابعة تأييدا.

جدول (24) الارتباطات بين العلاقة (WSC-FSI) والعوامل الثقافية.

	العلاقة WSC-FSI
تفاوت السلطة	.216**
الفردانية/ الجماعانية	.221**
تفادي الريب	.217**
الذكورة/الأنوثة	.214**

*الارتباطات ذات دلالة عند مستوى 05. ** الارتباطات ذات دلالة عند مستوى 01.

4-3-مناقشة النتائج:

يمثل هذا البحث كما تقدمت الإشارة إليه استجابة لحاجة ملحة نوه إليها عدد من الباحثين في العقدين الأخيرين من اختبارات النظرية، ولا يزال التأكيد والإلحاح عليها يتزايد مع مرور الزمن، وهو ما تعلق بدور العوامل الثقافية في النظرية.

اقتصر سعينا فيه على اختبار افتراضات والإجابة عن تساؤلات تتعلق بإمكانية ارتباط أربع عوامل ثقافية بمتغيرين أساسيين في النظرية ألا وهما الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية من جهة، ومن جهة أخرى، مدى ارتباط هذه العوامل الأربع- منفردة أو مجتمعة- بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين الأساسيين السابقين من النظرية.

من ناحية أخرى، وكما سلف التنويه إليه، تمثل هذه الدراسة محاولة للتصدي لواحدة من أهم التحديات التي تواجهها الدراسات الثقافية المقارنة عموما، وكل اختبار ثقافي (عبر الثقافات cross-cultural test) لنظرية لولب الصمت تحديدا، ألا وهي القابلية للمقارنة (comparability)، إذ لا يستبعد- كما لا يمكن الجزم بانتفاء- أن تعود التباينات بين الدول أو الثقافات في نتائج اختبارات النظرية إلى طبيعة القضية محل الاختبار، أو تختص بوضعية أو سياق الاختبار، وبالتالي يصعب التسليم بنسبة هكذا تباينات في النتائج بين الدول أو الثقافات إلى مؤشر أو عامل ثقافي بعينه، أو مؤسساتي ما(park,1998؛ Matt et al,2012؛ Matt & Hayes,2014؛ Hofstede et al,2010).

بناء عليه، ولمواجهة هذا المشكل الذي عانت منه اختبارات النظرية عبر الثقافات، اتجه البحث الحالي إلى تبني مسلك Mattes et al (2012) من اعتماد مقارنات بين نتائج لاختبارات النظرية لا تتصل بحالة ولا وضعية، ولا قضية ولا سياق، فكان محلها السمات الشخصية لمبحوثين من ثقافات مختلفة. وقد تقدم التأسيس لوجاهة اختيار السمات الشخصية كمحل للمقارنات، تجسدت في بحثنا في اختبار عبر الثقافات لعلاقة أساسية بين متغيرين

أساسيين في النظرية كسمتين شخصيتين (trait personality) لا كحالتين ظرفيتين، وهما الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية. فكان أن افترضنا أن الأشخاص الذين – **عموما-** يفوقون غيرهم في الخوف من العزلة، هم في الغالب أكثر منهم رقابة ذاتية، أي عموما أكثر منهم نزوعا لكتم آراءهم وسط محيط يعتقدون أنه لا يشاطرهم الرأي.

لا نزعم بحال من الأحوال أن بحثنا هذا يمثل اختبارا كاملا ومثاليا لنظرية لولب الصمت، إذ الأصل في اختباراتها، كما نصت عليه صاحبتها، ودرجت عليه أعمال الباحثين فصار في حكم التقليد أو (إن جاز القول) العرف العلمي بينهم، أن تكون في سياق محدد أو وضعية تعبيرية محددة، وأساسا حول قضية رأي بعينها، يشترط فيها أن تكون خلافية، مشحونة قيميا وتحضى بقدر معتبر من التناول الإعلامي. إلا أن مقاربتنا السماتية-الاستعداداتية هاته (dispositional approach)، ورغم هذا النقد الذي لا تسلم منه، تمثل قيمة ثابتة واختراقا حقيقيا وتجاوزا لمشكل قابلية نتائج اختبارات النظرية في السياقات الثقافية المختلفة للمقارنة، وبالتالي إضافة حقيقية لفهمنا لوجودية (universality) سيرورة لولب الصمت المفترضة من صاحبتها، أي صلاحيتها وقابليتها للتعميم عبر الثقافات (cross-cultural generasibilty).

يذكر (2012) Mattes et al في معرض شرحه لفلسفة المقاربة السماتية واستعراضه لفوائدها ما يلي:

> *« A dispositional approach assumes that people's reactions to different opinion contexts are generally consistent. A dispositional approach does not focus on the specific actions of an individual in a given situation ; it is rather an assessment of how an individual tends to behave across situations. That is, if people tend to fall silent in contexts with specific characteristics (i.e., in situations with hostile opinion climate and state FSI), we can describe this behavior across situations with the help of traits. As argued in personality psychology (e.g., Fleeson, 2001), specific behavior in a given situation is driven by general traits to some extent. If state FSI is correlated with opinion*

suppression in several specific situations, we should be able to observe this relationship at the trait level as well. Accepting the notion that traits can be understood as accumulations of states (Fleeson, 2001), our dispositional approach provides insights about the universal validity of the main mechanism behind the theory ».

يتوجب التذكير والتنبيه في نفس الوقت إلى أن هذه النتائج المتعلقة بسمتين شخصيتين أساسيتين في النظرية-وخاصة سمة الاستعداد للرقابة الذاتية- تؤشر لدى الشخص الواحد كما في المجتمع الواحد للاتجاه العام أو النزعة الغالبة (a general tendancy) نحو سلوك معين أو ذاك السلوك المتوقع أو الراجح (في حالتنا يتعلق الأمر بالجهر بسلوك الرأي أو الرقابة الذاتية كاستعداد(as a disposition) لا كسلوك في سياق أو في زمن محدد بعينه، وهنا تتجلى ميزة المقاربة الاستعداداتية the dispositional approach) المتجاوزة حدود القضايا والوضعيات. تقريرنا هذا لا يقلل بحال من أهمية صنفين من العوامل: تلك المرتبطة بالقضية محل التعبير، وتلك المرتبطة بالوضعيات موقع التعبير.

بخصوص الأولى(القضايا) فمثلا تبعا لمستوى جماعانيتها (تقديم المعونة لكوريا الشمالية (Park,1998)، شدة طبيعتها الخلافية أو شدة الاستقطاب الناشئ حولها أو إلى أي درجة هي مشحونة قيميا (عقوبة الإعدام (Park, 1998)، شدة الرأي حول القضية، درجة إحاطة الفرد بها أو بالأحرى درجة اعتقاده أنه ملم أو محيط بها- perceived issue expertise-(Park,1998)، مدى أهميتها بالنسبة له، وإلى أي مدى يعتقد أن جهره بالرأي إزاء هذه القضية سيحدث تغييرا فيها، يحسنها، يسهم في إيجاد حل لها (political efficacy)(Lee et al,2014)..

أما بخصوص الثانية(الوضعيات): درجة علانيتها؛ طبيعة وحجم الجمهور المعبر أمامه ومستوى مجهوليته(Lee et al,2014 ; Oshagan, 1996)؛ وأيا من مناخات الرأي السائدة تلك يوليها الفرد أكثر أهمية: ذلك السائد بين العائلة والأصدقاء،بين الزملاء،في وسائل الإعلام التقليدية أو في مواقع التواصل الاجتماعي، وأخيرا وليس آخرا، يراعى أيضا حجم التعرض لهذا الأخير ومستوى الاهتمام به في وسائل الإعلام أو في غيرها... ؛ وبين كونها تتضمن

اتصالا شخصيا أي وجها لوجه(F-T-F:face to face communication) أو تفاعلا بواسطة وسيلة تكنولوجية وتحديدا عبر الوسائط الجديدة (MCC:mediated computer communication)(Cinnerella & Green,2007 ;Ho & McLeod, 2008)،...إلخ.

كلها عوامل لا يستبعد أن تدفع الفرد لسلوك مخالف لاستعداداته، فيصدر عنه لواحد أو غيره من العوامل السابقة- استثناء وعلى غير ما تعود عليه أو غير المتوقع منه- جهر بالرأي بدل رقابة ذاتية أو العكس.

نسجل ابتداء التأييد النسبي الذي لقيته فرضيتنا الأولى المتعلقة بالفوارق الثقافية بين جماعاتنا الثقافية الثلاثة إزاء موقع كل منها من سلم القيم الأساسية الأربعة ل Hofstede. فباستثناء قيمة الذكورة/الأنوثة التي وجد حيالها تقارب أقرب إلى التطابق بين الجماعات الثقافية الثلاثة (MAS3=62,25, MAS2=62,25, MAS1=65,05)، أظهرت النتائج تباينات متفاوتة بينها من قيمة إلى أخرى في الثلاثة الباقية كما يبدو في الجدول (20).هذا التفاوت على نسبيته، وربما محدوديته، (تقريبا UA1=UA3، وPD1=PD3 تقريبا، مع تفاوت كبير بينهما في الفردانية)[1] يؤسس لافتراضاتنا اللاحقة بوجود ارتباطات بين هذه القيم والمتغيرين-السمتين الأساسيين في النظرية. وفوق هذا، يؤسس لافتراض تفاوت حظوظ وإمكانية بل وشدة حدوث السيرورة من جماعة ثقافية إلى أخرى كما نصت عليه الفرضيات الأخرى في دراستنا.

نلاحظ ابتداء أن أغلب أفراد العينة الكلية (العينات الثلاث مجتمعة) أبدوا استعدادا متوسطا - بل أقل من المتوسط- للرقابة الذاتية (Mean=2.8362). الأمر ذاته سجل على مستوى أفراد كل عينة ممثلة لجماعة ثقافية (Mean1=2.7675، Mean2=3.784، Mean3=2.8762). يبرز بشكل لافت التقارب الكبير بين مستويات الرقابة

[1] تشير PD1،PD2، PD3 على التوالي إلى مستويات تفاوت السلطة لدى القبائل، الشاوية وبني ميزاب؛ كما تشير IDV1 ، IDV2، IDV3 على التوالي إلى مستويات الفردانية لدى الجماعات الثلاثة السابقة؛أما UA1، UA2،UA3 فتشير إلى على التوالي إلى مستويات تفادي الريب لدى الجماعات الثلاث؛ أخيرا، تشير MAS1، MAS2، MAS2 على التوالي إلى مستويات الذكورة في المجتمعات الثلاث.

الذاتية لدى أفراد الجماعات الثقافية الثلاث. مع تسجيل مستوى أدنى للرقابة الذاتية- وإن بشكل طفيف- لدى القبائل.

كما سجل مستوى فوق المتوسط من الخوف من العزلة لدى العينة الكلية (Mean=3.6960). في حين جاءت مستويات الخوف من العزلة لدى أفراد الجماعات الثقافية الثلاث متقاربة تنحو إلى فوق المتوسط، مع تسجيل مستوى أدنى لدي القبائل (Mean1=3.526، Mean2=3.784 ، Mean3=3.760).

مع تقرير افتقاد عيناتنا لشرط التمثيل، بالإضافة إلى اقتصارها على عدد محدود من الأفراد، خاصة في شأن القبائل(90 أستاذا) وبني ميزاب(84 أستاذا)، مضافا إليه اختلاف عيناتنا بعضها عن بعض من حيث السن، الجنس، الدخل، وإلى حد ما المستوى التعليمي...رغم أن هذه الاختلافات لا تستطيع ولا تصلح لتفسير التجانس في النتائج بين الجماعات الثقافية(كما هي الحال ههنا)، بقدر صلاحيتها وملاءمتها لتفسير اختلاف النتائج بين الثقافات أو الدول.على كل، يؤكد هذا الصعوبات الكامنة أو المزمنة لدى القيام بدراسات مقارنة بين الثقافات،إذ يندر، إن لم يكن مستحيلا، إلغاء- وبشكل كلي- إمكانية وجود تفسيرات بديلة، تعود إلى المنهج المستخدم(أداة القياس، عينة،...)، للاختلافات المتوصل إليها بين الثقافات، وهذا رغم مراعاة المتطلبات الإحصائية من قبيل استعمال نفس أدوات القياس في مختلف الثقافات(Hayes et al,2013).

مع استصحاب هذا الحد (limitation)بين يدي مناقشة نتائج بحثنا، ننوه ابتداء إلى تسجيل ارتباط ايجابي ذي دلالة في العينة الكلية بين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية (r=.222**,p<.01)، النتيجة التي يمكن اعتبارها تأكيدا لنتيجة اختبار سابق للنظرية على عينة مشابهة (أساتذة) في المجتمع الجزائري (بلعموري،2009). فقد أبان اختبارنا السابق للنظرية عن ارتباط سلبي ذي دلالة إحصائية بين الخوف من العزلة الاجتماعية في جانب السمة (دون جانب الحالة) والتعبير العلني عن الرأي في عدد من الوضعيات إزاء الرئيس بوتفليقة وسياساته. وهي نتيجة

مهمة تؤكد جدارة ووجاهة اعتبار هذا المتغير في جانب السمة أو الاستعدادات منه كمفسر للتعبير العلني عن الرأي أو الرقابة الذاتية، كما هي الحال ههنا. تأكيدا لأهمية هذه النتيجة ننوه مجددا أنها تفيد الآتي:

إذا كان بعض الأفراد عموما وعبر مختلف الوضعيات يخافون العزلة الاجتماعية أكثر من غيرهم، فهؤلاء إذن سينزعون عموما وعبر مختلف الوضعيات إلى كتم آراءهم (مراقبة ذواتهم) أمام محيط لا يشاطرهم الرأي.

يزيد من أهمية هذه النتيجة طبيعة العينة المكونة حصريا من أساتذة جامعيين يفترض امتلاكهم رصيدا ثقافيا يمنحهم سلطة رمزية في محيطهم الاجتماعي، وهو يجعلهم أكثر أهلية وبالتالي أكثر استعدادا للتعبير عن آراءهم في شتى القضايا والسياقات، كما يزودهم بمناعة أكبر مقارنة بغيرهم حيال عوائق التعبير العلني عن الرأي أو التداعيات المتوقعة الناجمة عن هكذا سلوك: مثل العزلة أو النبذ،...وعليه، يفترض أنهم أقل نزوعا-ممن هم أدنى منهم معرفيا أو علميا- أو استعدادا للرقابة الذاتية على النحو الذي عرفت في بحثنا هذا: كتم الرأي في محيط يعتقد الفرد أنه لا يشاطره إياه. يقرر هذا التميز والأفضلية (2009) Aubin في مقال له عن المثقفين في مجتمع جماعاتي:

> *«« Les intellectuels sont génétiquement liés – et la chose est considérable – à l'espace public, un concept central pour les approches socio-politiques de la communication… Pour le dire dans les termes de Rémy Rieffel (1993), parler d'intellectuel engagé, c'est une tautologie, puisque les intellectuels, sont par définition engagés, c'est-à-dire qu'ils interviennent publiquement, ou dans l'espace publique » ».*

الشاهد فيما تقدم هو ما يلي: تسجيل ارتباط ذي دلالة بين الخوف من العزلة والاستعداد للرقابة الذاتية لدى العينة قاطبة-بمعزل عن الانتماء الثقافي- ذات الطبيعة والخصائص المذكورة(أساتذة جامعيين) وللمرة الثانية، يحمل دلالات مهمة كما يؤسس لافتراض علاقة أقوى بين المتغيرين- السمتين بين سائر شرائح المجتمع ذات مستويات التعليم الدنيا، والمتسمة بمناعة أضعف حيال ضغوط المحيط الهائلة خاصة في مجتمع ذي طبيعة تقليدية

ينشئ أفراده على التبعية الفكرية كما الوجدانية للجماعة، تبعية تصل إلى درجة الذوبان فيها كما سيأتي تفصيل بعض جوانبه وتجلياته.وهو الافتراض الذي يناط بقادم الدراسات أن تتناوله بتوسع وعمق أكبر.

بالمقابل، أبدت النتائج تباينا في العلاقة ذاتها عبر الجماعات الثقافية الثلاث، تباين ينسحب على المجتمع الأمازيغي عموما (مجموع العينات الثلاث) كوحدة ثقافية متجانسة كما تقدم تبيانه($r=0.222^{**},p<0.01$). فبينما سجل ارتباط سلبي ذو دلالة إحصائية بين المتغيرين (WSC & FSI) ($r=0.276^{**},p<0.01$) لدى الشاوية، لم يسجل أي ارتباط ذي دلالة بين المتغيرين السابقين لدى القبائل ولا بني ميزاب.مع استصحاب إشكال محدودية حجم العينة لدى كل من القبائل (90) وبني ميزاب (84) المشار إليه آنفا مقارنة بالشاوية (128) (بالإضافة إلى الاختلافات الديمغرافية بين العينات المشار إليها سلفا)، أي احتمال أن يكون حجم العينة المدروسة لم يبلغ النصاب أو الحد الأدنى الضروري والكافي لإظهار الظاهرة محل البحث(sample power) (Wimmer & Dominick,2009)، فربما إلى هذا يعود ظهور العلاقة لدى الشاوية وغيابها لدى الجماعتين الأخريين. هذا، مع التنويه أن رائدنا في الاكتفاء بهذا الحجم في العينة هو ما ذهب إليه Hofstede من كون الدراسات المقارنة بين الثقافات تجزئها عينات من 50 مفردة عن كل ثقافة.

مع استصحاب هذا الحد من حدود الدراسة (research limitations)، نسجل وجود تفاوت بين الجماعات الثقافية في العلاقة الأساسية المختبرة. نذكر أن الانشغال الأساسي لهذا البحث قد تمحور أساسا عما إذا كان ثمة علاقة ما أو ارتباط ما بين العلاقة: الخوف من العزلة الاجتماعية- الاستعداد للرقابة الذاتية (FSI - WSC) وجودا وشدة من جهة، ومن جهة أخرى مستويات القيم الثقافية المسجلة عبر الجماعة الثقافية.يلاحظ من الجدول (24) وجود ارتباط ذي دلالة إحصائية بين هذه العلاقة ومستوى كل قيمة ثقافية من الأربعة المعتبرة في جماعاتنا الثقافية الثلاث:تفاوت السلطة ($r=0.216^{**},p<0.01$)، الفردانية ($r=0.221^{**},p<0.01$)، تفادي الريب ($r=0.217^{**},p<0.01$)، الذكورة ($r=0.214^{**},p<0.01$)، وهي نتيجة رشحت عن الدراسة -رغم كل الحدود التي

اعتورتها- ومفادها أن الثقافة مهمة في تفسير العلاقة الأساسية، بعبارة أخرى،يرتبط (عدم)حدوث صيرورة لولب الصمت بالثقافة، طبعا ضمن عوامل أخرى.

لمحاولة فهم أفضل لطبيعة ارتباط هذه العلاقة بين المتغيرين- السمتين بمستويات القيم الثقافية عبر الثقافات الجزئية الثلاثة، عمدنا إلى بحث علاقات مفترضة بين كل طرف من طرفي تلك العلاقة (أي الخوف من العزلة الاجتماعية والاستعداد للرقابة الذاتية) مع كل عامل من العوامل الثقافية.

بخصوص متغيرنا التابع الأساسي، لم تسفر نتائجنا عن أي ارتباط ذي دلالة إحصائية بين العوامل الثقافية والاستعداد للرقابة الذاتية (تفاوت السلطة (r= -0.050, p>0.05)، الجماعانية (r=-0.005, p>0.05)، تفادي الريب (r= -0.041, p>0.05)، الذكورة (r= -0.065, p>0.05)).

كما سجلت ارتباطات ذات دلالة بين الخوف من العزلة الاجتماعية وتفاوت السلطة (r=-0.050**, p<0.05)، والذكورة (r= -0.050**, p<0.01)، دون غيرهما من المتغيرات. نشير ههنا إلى أن الارتباط السلبي المسجل بين الخوف من العزلة الاجتماعية وتفاوت السلطة جاء على عكس ما كان متوقعا أو مفترضا.

في نفس الاتجاه، وسعيا لفهم طبيعة هذه العلاقة المتوصل إليها بين العاملين الثقافيين السابقين والخوف من العزلة الاجتماعية، استندنا إلى منهجية الانحدار، فلم تبن نتائج تحليل الانحدار عن أي نموذج ذي دلالة إحصائية للتنبؤ بالخوف من العزلة.

مع تقرير أهمية النتيجة المتوصل إليها بخصوص ارتباط العلاقة الأساسية للنظرية بالعوامل الثقافية في الاتجاهين، إلا أنها أتت على خلاف ما توصلت إليه دراسة Matt et al (2012) المقارنة للعلاقة ذاتها في 10 بلدان في مؤشري الفردانية والديمقراطية. وقد خلصت إلى ارتباطات ذي دلالة بين المتغيرين الأساسيين في كل البلدان المتناولة ماعدا الصين (عكس ما كان متوقعا، بالنظر إلى مستوى جماعانيتها المرتفع ومؤشر ديمقراطيتها المتدني). كما لم تبن نتائج

دراستهم تلك عن أي ارتباط ذي دلالة بين شدة العلاقة الأساسية المقارنة (FSI-WSC association size) مع عاملي الفردانية والديمقراطية. نتيجة، من جهة، تعزز- في جانب منها- الرأي القائل بالطبيعة الوجودية (universality) للنظرية عموما وللعلاقة محل البحث تحديدا؛ ومن جهة ثانية، لا تلغي افتراض وجود عوامل ثقافية أو مؤسساتية أخرى، أو كلية سياقية على العموم (macroscopic factors)، تقوم كظوابط أو معدلات (moderators) لهذه العلاقة وجودا وشدة.

مع مراعاة حاجز قلة عدد الجماعات الثقافية محل المقارنة (إذ من قبيل تحصيل الحاصل ذكر أهمية وفرة عدد مرتفع من الثقافات ذوات مؤشرات ثقافية متباينة لدى اختبار طبيعة العلاقة محل البحث وارتباط العوامل الثقافية بها في الحصول على نتائج أكثر دلالة وحجية، الأمر الذي لا يتحصل حال الاكتفاء بثلاث فقط)، تأتي نتائجنا غير مؤيدة لافتراض الطبيعة الوجودية للنظرية، وفوق ذلك أيدت ارتباط العلاقة الأساسية للنظرية بالعوامل الثقافية الأربعة، أي تصب في منحى تعزيز الحدود الثقافية للنظرية.

إلى جانب ذلك، جاءت غيرها من النتائج في العموم غير متسقة معها، داحضة لأغلب فرضيات الدراسة عن العلاقات المفترضة بين العوامل الثقافية وطرفي العلاقة الأساسية تلك. باستثناء ارتباط عامل الذكورة بالخوف من العزلة. إزاء هذا، يتوجب تقديم تفسير لحضور هذه العلاقة إن على مستوى الجماعة الأمازيغية قاطبة، أو لدى الشاوية استثناء، وغيابها لدى القبائل والميزابيين.

على صعيد آخر، سجلنا وعلى عكس ما كان متوقعا، عدم وجود ارتباط ذي دلالة إحصائية لدى بني ميزاب رغم مستوى الجماعانية المرتفع مقارنة بالجماعتين الأخريين. نتيجة تقترب مما وجد Matt et al (2012) في شأن الصينيين و(2005) Huang في شأن التايوانيين رغم مؤشري جماعانيتهم الجد مرتفعين مقارنة مع غيرهم (جدول رقم (20))، وهو ما حدا بهم إلى دعوة الباحثين في الدراسات القادمة إلى التركيز على الثقافات المتسمة بمؤشر جماعانية جد مرتفع (كحالنا هاته). ودفعوا -في تفسيرهم لهذه النتيجة- بافتراض عدم صلاحية الخوف من العزلة

الاجتماعية في هكذا مجتمعات لتفسير الاستعداد للرقابة الذاتية، وإنما يراقب الأفراد في هكذا مجتمعات ذواتهم ليس خوفا من العزلة، بل بدافع الحفاظ على التناغم (harmony).

إذن كيف يمكن فهم تسجيل لحدوث الصيرورة لدى الشاوية وغيابها لدى القبائل وبني ميزاب؟ رغم عدم وجود فوارق كبيرة بينهم في المؤشرات إلا في بعضها من جهة، ومن جهة أخرى، تأتي هذه النتيجة على عكس ما كان متوقعا (عدم تسجيل ارتباط بين المتغيرين السمتين لدى القبائل وبني ميزاب) رغم كونهما -مقارنة بالشاوية- أكثر من اشتهرا بنظام ضبط اجتماعي تسهر فيه مؤسسات مجتمعية على ردع وعقاب (يصل أحيانا إلى النبذ والنفي) كل من تجرأ على انتهاك العادات والأعراف والمعايير المجمع عليها (الرأي العام)، والتي تحكم الحياة في الجماعة وتنظم العلاقاتبين أفرادها (تاجماعت لدى القبائل والعزابة لدى بني ميزاب) (Perret & Abrika,2014; Cherfi,2015).

من جهة ثالثة، ومن خلال التمعن في نتائج مؤشرات القيم الثقافية المعتبرة عبر الجماعات الثلاث[1]، لا يسجل إلا تباين نسبي لهذه الأخيرة بين الثقافات: ثبات في بعد الذكورة، تقارب جد كبير في بعد تفاوت السلطة، تقارب كبير بين القبائل والشاوية في الفردانية، تسجيل اختلاف وحيد بين القبائل وبني ميزاب اقتصر على بعد الفردانية. يضاف إلى ذلك تفاوت ليس كبيرا بين الجماعات الثقافية الثلاث في مستويات الخوف من العزلة كما في مستويات الاستعداد للرقابة الذاتية لدى أفرادها.

وهي نتائج تقترب بقوة من نتائج دراسة الثقافة والتسيير في الجزائر (Mercure et al,1997)، والتي لم تبن نتائج المؤشرات الثقافية فيها عن أي ارتباط ذي دلالة إحصائية مع الثقافات الجزئية المتناولة (ص.47)

(1) لا زلنا نفتقر إلى دراسة أو دراسات تحدد موقع المجتمع الجزائري أو ثقافاته الجزئية على سلم هوفستيد أو غيره من سلالم تصنيف الثقافات، كل ماهو موجود لحد الساعة هو معطيات عن المجتمع الجزائري عن البعدين الأخيرين من أنموذج Hofstede: التوجه طويل/قصير المدى (long/short term orientation)، الانفتاح/التزمت (indulgence/restraint)(Hofstede et al, 2010).

في مسعى لفهم أعمق لمدى وكيفية إسهام العوامل الثقافية في (عدم)حدوث لولب الصمت، بمعنى إلى أي درجة وكيف يتجلى السياق الثقافي الجزائري كمسهل/مانع لحدوث الصيرورة موضوع بحثنا، سنحاول تلمس بعض المؤشرات الدالة عن اتجاه وشدة هذه العوامل الثقافية (الأربعة المعتبرة تحديدا) في مجتمعنا كما طرحتها جملة من الأدبيات، مستلهمين منها ما يساعدنا- ربما- على تفسير نتائجنا.

لدى محاولة تلمس التوجهات الثقافية للمجتمع الجزائري، أو صورة تقريبية عن واقع هذه القيم الأربعة في عمومه (بوصفه جماعة ثقافية واحدة، متجانسة –نسبيا- قيميا أو جوهريا، تشترك مختلف الجماعات الثقافية المكونة له في جوهر ثقافي مشترك (un fond culturel commun)) في الأدبيات التي تتصوره أو تتناوله على هذا النحو، أو تلك التي تحمل نفس التصور ولكن على نطاق أضيق يقتصر على المكون الأمازيغي (أي تصور اشتراك مختلف ألوان الطيف الأمازيغي في جوهر ثقافي واحد)؛ أو محاولة تتبع هذه القيم عند كل جماعة ثقافية باعتبارها ثقافات جزئية مكونة لهذا الأخير، لكل منها بنيتها القيمية المميزة والمختلفة-تماما أو نسبيا- عن الأخرى، في الأدبيات المتناولة لكل منها، ففي الحالتين نجدها تسلك عموما إلى تبني صورة قيمية واحدة أو صورا متقاربة نسبيا – تقريبا إزاء كل قيمة من قيمنا المعتبرة- تنسحب على المجتمع الجزائري ككل، كما تنسحب على كل واحدة من الثقافات الجزئية المكونة له. يجدر التنويه أن هكذا صورة (أو صور) تصدرها الأدبيات عن القيم في الجزائر عامة أو عن الجماعات الثقافية المكونة لها هي -باستثناء دراسة (Mercure et al ,1997)[1] المذكورة- أقرب إلى المقولة النظرية التي لا تزال في أمس الحاجة إلى ما يؤيدها (أو يعدلها أو يدحضها) من الدراسات الإمبريقية والشواهد الميدانية.

(1) التي تمثل في حدود ما اطلعنا عليه من أدبيات أهم دراسة أمبريقية عملت على تناول العوامل الثقافية في الجزائر -وفق أنموذج هوفستيد- في تفسير ظاهرة التسيير)، وقد عمدوا فيها إلى مقارنة بين ما أسموه سبع ثقافات جزئية (subcultures) في الجزائر، منها الجماعات الثقافية الثلاث موضوع بحثنا. أجريت الدراسة على شكل مقابلات مقننة مع عينة تمثيلية من الموظفين بلغت 1052 عاملا. وقد كان محلا للمقارنة ثلاثة من الأبعاد الثقافية الأربعة لهوفستيد عدا بعد الذكورة.

فيما يلي سنستعرض جانبا من هذه الأدبيات وأي محل من هذه الأبعاد أو القيم أحلت المجتمع الجزائري (المكون الأمازيغي منه أو كل جماعة ثقافية) منها.

بالنسبة لبعد تفاوت السلطة تذهب الأدبيات عموما إلى بروز توجه لا مساواتي (inégalitaire) في المجتمع الجزائري والأمازيغي عموما بمختلف أطيافه. تتجلى مظاهر اللامساواة بامتياز في العلاقات أبوين/أولاد، شيخ(عجوز)/شاب(ة) (مسن مع من هم أدنى منهم سنا)، معلم(أستاذ)/تلميذ(طالب) (مظهر، 2015. ص.109). يذهب Bourdieu في نفس الاتجاه مقررا واقع التفاوت هذا لدى شرحه لمفهوم الرأسمال الاجتماعي (le capital social)، فيرجعه لهذا الأخير متمثلا في رصيد التجارب بالنسبة للشيخ، وفي الرصيد المدرسي بالنسبة للمعلم...وحسبه كل من هذه الرساميل الاجتماعية مصدر لشرعية تبرر السلطة الممارسة من صاحب رأس المال (Addi,2004).

وهي علاقات سلطة تختزل إلى حد كبير في انفراد الأقوى أو الأعلى بالقرار أو الأمر، ليستحيل مصير الطرف الأدنى أو الأضعف فيها وجوبا الطاعة والإذعان مع التوقير. وسلوك الطاعة هذا إنما يصدر عن طواعية، وكل عصيان أو معارضة إنما تصنف في خانة اللاأدب أو قلة التربية، وقد يحمل صفة الطيش والانحراف إن تكرر، مما يدلل أنه في حكم المعيار الحاكم للعلاقة بين الأطراف في سياقنا. ويؤشر هذا لتفاوت سلطة مهم بين أفراد هذا المجتمع.

على صعيد آخر، يؤكد Bourdieu أن الرأسمال الأبرز والأهم والأكثر شيوعا في المجتمع القبائلي(والأمر ينسحب على عموم المجتمع الأمازيغي، بل يتعداه إلى المجتمع المغاربي (الهيمنة الذكورية، Addi,2004؛)) هو الشرف القائم على شرف النسب (السلالة العائلية) وبصفة خاصة الخصائص الذاتية للفرد: الوفاء، الشجاعة،... ويعمل الكل على تطبيع هذه التمايزات والتباينات الاجتماعية (تصويرها على أنها نتاج فعل الطبيعة وإن كانت في الواقع نتاج بناء اجتماعي) لإعطائها أساس شرعية تحتاج إليه حتى يتم قبولها من الجميع، ومن ثم تتيسر إعادة إنتاجها دونما حاجة إلى إكراه فيزيائي، وههنا تتجلى حسبه أهمية العنف الرمزي.تطبيع هذه التمايزات أو واقع

اللامساواة هذا، أي نسبتها للطبيعة، وجعل الرأسمال الاجتماعي-مصدر شرعيتها-كامنا في الفرد يكتسبه عن استحقاق لا بمجرد الوراثة، كما أنه قابل للضياع إن عجز صاحبه عن الحفاظ عليه أو الدفاع عنه، هو ما يجعله محل تنافس بين الجماعات والعائلات والأفراد، ومتاحا للكل تحصيله ومن ثم الارتقاء في السلم الاجتماعي، وهو ما يفسر حسب بورديو هشاشة التراتبيات (les hiérarchies) المميزة للمجتمع القبائلي بل كل مجتمع تقليدي أبوي.

في هذا الصدد يقرر Addi (2004) في مراجعته ل Bourdieu:

> « « *Dans ces sociétés traditionnelles, la parenté sert d'infrastructure, comme disent les anthropologues, pour opérer les classements et les classifications dont la nature – supposée fixer les statuts - fournit les justifications. La nature est si présente, si contraignante, que tout concourt à la cultiver, à la socialiser pour lui donner un visage humain et des figures symboliques qui attestent de son humanité. De là l'idée que les inégalités ne peuvent être que naturelles et non sociales (homme/femme, jeune/vieux, ou ce que l'on croît être naturel : pur/impur, sacré/profane,..). La perception de la hiérarchie n'est pas sociale, elle est naturelle, même si l'on conçoit que la nature donne à chacun des chances pour « se rattraper » car, à sa manière, la société maghrébine est égalitaire à l'intérieur du statut naturel de chacun. Ce que Bourdieu aime à souligner dans le village kabyle, c'est l'égalitarisme de société berbère qui s'oppose à l'ossification des élites renouvelées à chaque génération. En effet, pour faire partie de l'élite, il ne suffit pas d'être un héritier, il faut encore mériter l'héritage – l'honneur - et le défendre soi-même. À la différence de la fortune monétaire, l'honneur n'est pas extérieur à l'individu qui le porte dans son corps. Pour Bourdieu, c'est le seul critère de hiérarchie légitime, car il fait référence au mérite personnel. L'homme d'honneur est courageux, il tient parole, il est digne dans son comportement et ses relations...: autant de traits qui fondent une distinction non usurpée. La compétition, semble dire Bourdieu, est dans la nature et aucune société ne pourrait l'abolir ; mais elle est plus juste dans la société*

traditionnelle que dans la modernité où le renouvellement des élites s'opère par héritages qui le plus souvent ne se méritent pas…» » (p.6)

ويسطر في موضع آخر:

« « Ce qui caractérise l'idéologie patriarcale, c'est qu'elle donne le sentiment à chacun d'être le meilleur, d'où l'absence ou plutôt la fragilité des hiérarchies au Maghreb. L'égalitarisme berbère, relevé par de nombreux historiens frappés par l'instabilité politique, dont Ibn Khaldoun, trouverait là son explication sociologique. Il est en effet difficile à la domination de s'inscrire dans la durée dans une région où le capital social est d'accès facile, dans une région où les capitaux sociaux sont abondants. Dans cette compétition tirant vers le bas plutôt que vers le haut, la référence à la nature et à la religion (confondues par les consciences) est inscrite dans le lien social ordonné par la consanguinité. Une société où le bas de l'échelle sociale est déserté aussi massivement est forcément égalitaire, sans que l'égalité comme valeur idéologique soit partagée par tous. Chaque individu croit à l'excellence de son sang, d'où cet ethnocentrisrne généalogique qui affaiblit toute hiérarchie sociale et qui ne reconnaît que l'autorité du sacré ou de la force physique » ». (p.7)

هكذا تقرير وتفسير لواقع المساواة واللامساواة في آن واحد يدعو للتساؤل عن طبيعة وشدة التفاوت في السلطة في المجتمع الجزائري عامة وبين الجماعات الثقافية فيه ويؤكد الحاجة لفهمه.

يتظافر مع هذا، ويرتبط به على نحو وثيق ما سجل في دراسات عن الظاهرة ذاتها وإن كان في سياق المؤسسة أو مكان العمل. إذ لا تسجل نفس درجة الإذعان والتسليم في علاقات المسؤول/رب العمل بالعامل/المرؤوس، كتلك الملاحظة في البيت أو في المدرسة. ولا يمكن التعويل في تفسير هذا الاختلاف على طبيعة السياق أو خصوصية الوضعية، على اعتبار أننا بصدد محاولة الإمساك بقيمة ثقافية تتسم بالقرار أو بثبات نسبي، أي تتجاوز حدود الوضعية أو السياق الذي تتجلى فيه. حقيقة يقررها Hofstede بوضوح لدى رده على من أنكر عليه القيام بكل دراساته عن القيم الثقافية على عمال شركة IBM، أي مقتصرا على مكان العمل:

.." لا يمكن *للمرء أن يحمل للمؤسسة قيما معينة ويحمل لغيرها من الأماكن قيما أخرى*".

فقد سجل فيما نعتبره أهم دراسة للثقافة الجزائرية والثقافات الجزئية المنضوية تحتها وفق أنموذج Hofstede للأبعاد الثقافية (Mercure et al,1997) مستوى **متوسط** لتفاوت السلطة (PDI=59) في عموم المجتمع الجزائري (مستوى أقل من ذاك المسجل لدى الدول العربية (PDI=80)، وقريب من ذاك المسجل في حوض المتوسط (PDI=53))، كما لم يسجل ارتباط ذو دلالة إحصائية بين مستوى هذا الأخير والثقافات الجزئية المعتبرة في تلك الدراسة. يجدر التنويه ههنا أنهم قاموا بقياس هذا البعد على سلم من عشر نقاط معتمدين على بندين:1- هل يستطيع عامل أن يعارض مسؤوله المباشر في العمل (M=4,23)؛ 2- طبيعي أن يحضى العمال في المراتب العليا بامتيازات مقارنة بالآخرين (M=6,49).

يتصل بهذا نتيجة مهمة توصلوا إليها في دراستهم، وإن كانت تمثل بندا لطالما استخدمه Hofstede في قياسه لهذا البعد، والمتمثلة في تفضيل عمال المناطق الساحلية، الهضاب العليا والأوراس لطرق التسيير القائمة على الأمر والإلزام (le modèle prescriptif)، بينما يميل عمال منطقة القبائل وبني ميزاب إلى طرق التسيير القائمة على المشاركة المنجزة (le modèle participatif-performant). وهي نتيجة تؤشر إلى رغبة لدى هؤلاء الأخيرين في التعبير عن آراءهم لرؤسائهم ومشاركتهم في اتخاذ القرار، رغم ما يحمله هكذا توجه من عواقب قد لا تكون دوما محمودة. بالمقابل، ربما يعكس إيثار العمال الشاوية الاكتفاء بتطبيق أوامر رؤسائهم دون إبداء آرائهم حيالها أو المشاركة في اتخاذها حرصا على السلامة وتلافيا لكل محذور محتمل. كما أنها نتيجة تتفق مع ما توصلنا إليه في بحثنا من تأييد لحدوث الصيرورة لدى الشاوية وعدم تأييدها لدى القبائل والميزابيين؛ طبعا مع استصحاب كل حدود البحث المنبه إليها أعلاه.

على صعيد آخر ذي صلة أيضا، تبين أن العمال المنحدرين من الهضاب العليا والأوراس ينزعون بشدة إلى انتهاج استراتيجيات تستهدف تفادي الصراعات، بينما برز نزوع لتبني استراتيجيات تقوم على الاعتراف ومواجهة الطبيعة الضرورية أحيانا للصراع لدى العمال المنحدرين من منطقة القبائل (ص.122). نتيجة مهمة تتفق إلى حد

ما مع ما توصلت إليه دراستنا، وهو ما يزيد إلى حد ما من حظوظ حدوث صيرورة لولب الصمت لدى الأوائل مقارنة بالأواخر.

بالنسبة لبعد الفردانية/ الجماعانية تتجه الأدبيات عموما إلى رسم صورة مجتمع جماعاني أو جماعاني نسبيا عن الجزائر عموما أو عن الجماعة الأمازيغية بمختلف أطيافها (مثلا: مظهر،2015 ؛ Medhar,2004).

في معرض تحليله لشدة وطأة النظام التقليدي على كل مناحي الحياة الاجتماعية ومختلف مستوياتها: أفرادا وجماعات ومؤسسات، يصور مظهر (2015) سطوة الشبكات العلاقاتية وحجم الاستتباع الذي تمارسه الجماعة (الشبكة العلاقاتية) - مرتبة من حيث مستوى التأثير كما يلي: الأم، فالشبكة العائلية، فالشبكة الاجتماعية- في حق الفرد في المجتمع الجزائري، فيجعله مضاهيا للاستحواذ أو التملك. استحواذ يمتد من المهد إلى اللحد. يتغذى هذا الاستتباع بواسطة استثمار وجداني وتوظيف قيم اجتماعية ثقافية (شرف، وحدة، أخوة) ومراقبة اجتماعية مستمرة. يأخذ في الغالب شكل رعاية وتكفل وحماية مستمرة. ولكنها خدمات لها مقابل، ومقابل باهظ الثمن: ذوبان الشخص في الجماعة العائلية وجعله باستمرار في خدمة أهله. ذوبان يبلغ مداه في الفرد حدا يجعله يعاني شعورا بالخيانة عند الاستقلال بسكن مستقل أو الهجرة إلى الخارج. وحتى في هكذا حال لا تعدم الشبكة العائلية على آليات تعمل على توظيفها لاسترجاع ذويها.

يشرح Medhar (2005) كيف يعمل النسق التقليدي هذا على إنتاج فرد هش وكيف يعمل على حفظ وإعادة إنتاج واستمرار حالة الهشاشة تلك:

> *« « La prise en charge familiale s'articule sur la logique de l'incapacité (…)elle l'entretient, et au besoin, elle la provoque. De fait, la prise en charge familiale amollie l'individu. Elle l'installe et le maintient dans la dépendance de telle façon qu'il ne peut ni entreprendre ni agir sans le consentement et le soutien des siens. Le suivi de la vie sociale montre que l'incapacité de l'individu représente, en fin de compte, la pierre angulaire et la sève de l'édifice social traditionnel…»»* (MEDHAR, 2005.p. 112).

يسترسل مظهر (2015) في تحليل كيف تعمل الشبكات العلاقاتية على مصادرة بل خنق الطاقة البشرية في أبعادها المختلفة، وسنكتفي ههنا بتناول بعد واحد منها لاتصاله ببحثنا ألا وهو الطاقة الفكرية، حيث يسود تحريم التساؤل عما هو موجود أو نقد مضمونه أو إعادة النظر فيه، ويسري هذا في كل الأوساط الاجتماعية في المجتمعات التقليدية المتخلفة بدءا من العائلة، مرورا بالساحة الاجتماعية العامة، عالم الشغل، ميدان السياسة، وانتهاء بالدين:

" *لا يستطيع أن يبدي الشخص عدم موافقته مع عائلته، أو مع ما يجري من اتصالات وتفاعلات ضمنها، دون أن يهدد بالعزلة عندما يعيش في مجتمع قائم على الشبكات العلاقاتية، عموما، كما هو الشأن بالنسبة للمجتمعات التقليدية المتخلفة، والعائلة ما هي إلا مجتمع شبكات ترتبط بجد حقيقي أو مجازي.ويدرك المرء كذلك أنه لا يتساءل حول سلوك عضو من أعضاء عائلته أو ينقد رأيه أو يعيد النظر في مواقفه دون أن يتدخل الآخرون من أجل تهذيبه باسم الوحدة العائلية والتآخي واحترام الأكبر سنا وضرورة تفادي سخرية الجيران والتخوف من السخط الإلهي.وبالأحرى،فإنه ينبه ويؤنب حتى يكف عما يفعل.*

والعزلة الاجتماعية خطر جسيم عندما تنعدم المؤسسات التعويضية، كما كان الحال في الماضي، أو تكون هشة غير فعالة كما هي الحال في المجتمعات المتخلفة. إنها تترك الشخص منفردا، فارغ الأيدي، أمام الأخطار التي أدت إلى وضع النظام الاجتماعي التقليدي وجعلته وسيلة وقاية وأمن. وإن رفض الشخص أن يراعي نصائح أهله وواصل تنديده بما يلاحظ ويبصر من حوله، فإنه يخبر بأنه سوف يواجه الموت منفردا كالكلب، وهذا مالا يطيقه من تمت هيكلته لكي يعيش ضمن وبفضل شبكات علاقاتية". (مظهر، 2015.ص.91-92).

ويؤكد أنه رغم الغليان الوجداني الذي يؤججه في الفرد هكذا استحواذ وهيمنة للشبكات العلاقاتية، إلا أنه يواجه مقاومة في شكل رقابة اجتماعية يمارسها الكل ويعانيها في نفس الوقت، للحيلولة دون أن يشكل هذا الأخير (الغليان) بذورا لتحول اجتماعي، ما يؤشر لمدى رسوخ وتجذر علاقات الاستتباع أو/والتبعية بين الفرد وجماعة الانتماء في السياق الجزائري، أي جماعانية هذا الأخير.

في هذا السياق، يجادل مظهر (2015) أن هذه الضغوط يعانيها الأفراد من النظام الاجتماعي تفرز لديهم تناقضا مزمنا في السلوك، فهو يعلن الامتثال له في العلن من خلال سلوكه الشفوي تبعا لعجزه عن الفكاك منه بالنظر لتبعيته له؛ وبموازاة ذلك، يسلك على نحو مخالف حسب الظروف استجابة لحاجاته ومصالحه، وهو ما يؤشر لتباعد بل ربما تناقض بين الآراء أو الاتجاهات الشخصية وتلك المقرة أو المعتمدة من طرق الشبكات العلاقاتية، مما قد يلزم عنه استعداد لممارسة رقابة ذاتية على نطاق واسع في هكذا ظروف.

"يرتبط السلوك الشفوي بالمعالم الاجتماعية المعترف بها، المعالم التي لا يوجد بد من التظاهر بالامتثال لها. لا يسأل شخص، مثلا، إلا وأثبت، حسب الميدان الاجتماعي الذي يكون فيه، أنه مع الوحدة العائلية أو الوطنية والتآخي والتعاون والشرف والكرامة والعمل والقانون والمصلحة العامة، وما إلى ذلك

من القيم والمبادئ التي يبدو كل متشبث بها بمجرد ما يتناول الكلمة بصفة رسمية....

أما السلوك الفعلي، أي الممارسة الاجتماعية بمعناها العملي، إن صح التعبير، فإنه مرتبط بالظروف وهي عرضة للتقلبات. لهذا، يكون السلوك الفعلي مضطربا غير مستقر، يعاكس بدرجات متفاوتة، ما يقره السلوك الشفوي. فعلى سبيل المثال، لا تحترم المواعيد والقوانين والمصلحة العامة إلا لما يستحيل إهمالها في المجتمعات التقليدية المتخلفة..". *(ص.47)*.

ويردف مؤكدا هذا التناقض السلوكي: " *إنهم يعتمدون سرية غليانهم النفسي الوجداني، من جهة، ويوظفون كلامهم الداخلي، الذي هو سري كذلك، من جهة ثانية، لينسجوا الخطط التي سوف يتبعونها للوصول إلى ما يبتغونه، وهم متيقنون أنهم أذكى من الآخرين إذ يعتبرون أنه لن يتفطن لهم أحد، وهم بذلك يخلطون بين الحيلة والذكاء(...)*

تبين المتابعة العلمية للسلوك، سواء كان شفويا أو فعليا، أنه يتمحور، حسب انشغالات الأشخاص والشبكات العلاقاتية والجماعات، حول التكيف مع الأوضاع الراهنة وانتهاز الفرص، أو الانتهازية، والحيلة والكتمان والكذب والتفاخر والتضخم والصبر والخيانة والاحتكار والتحصيل الآني والتسلط والخضوع ونكران الجميل...كما يبين

الاعتناء بهذه العناصر أنها تمثل آليات نفسية واجتماعية وثقافية ناجمة من ثقافات قديمة عريقة هي الثقافة التقليدية."(ص.48)

بموازاة هذا، يمكن العثور على توجه مغاير لما ذهب إليه مظهر في أعمال Bourdieu في استنتاجاته عن المجتمعات الحديثة انطلاقا من دراسته للمجتمعات التقليدية ممثلة في المجتمع القبائلي. إذ يؤكد في أكثر من موضع على معنى مفاده أن الفرد ما هو بسيد قراره ومحدد لمصيره (ذات فردانية)، وما هو أسير لبنى اجتماعية مهيمنة عليه (ذات جماعانية).إنه فاعل يسلك على نحو ما في ظروف ما حيث تؤثر فيه البنى. يتجلى هذا في تعريفه لمفهومه الشهير الهابيتوس(Habitus):

> *« « L'habitus est cette relation homme/structure, qui permet à l'individu d'affirmer sa volonté et de participer à la reproduction des structures qui le produisent. » »*(quoted In (Addi,2004)).

غير أن تحليل مظهر السابق يجد تأييدا له في نتائج (Mercure et al,1997, p.54-55)، إذ خلصت إلى مستوى جماعانية مرتفع نسبيا مقارنة بدول الجوار (COL=71) (أقل من ذاك المسجل عربيا(COL=62)، وأكبر بكثير من ذاك المسجل في حوض المتوسط (COL=51) عند Hofstede). نذكر من جديد بعدم تسجيل ارتباط ذي دلالة إحصائية في دراستهم بين نتائج مؤشر الجماعانية والثقافات الجزئية (ص.47). هذا المعطى يفسر ولو جزئيا ما خلصت إليه دراستنا من تأييد للولب الصمت في عموم المجتمع الجزائري أو بالأحرى الجماعة الأمازيغية منه، وتسجيل أيضا تأييد للعلاقة الأساسية هذه في اختبارنا السابق للنظرية (بلعموري،2009)، ويتظافر مع ما خلصنا إليه من وجود ارتباط ذي دلالة إحصائية بين مستوى الجماعانية (أو الفردانية) والعلاقة WSC-FSI (انظر الجدول (22)).

بخصوص بعد تفادي الريب، يمكن أن يتلمس من الأدبيات بعض ما يؤشر لنزوع مهم لتفادي الريب في المجتمع الجزائري (هذا التفادي يمارسه طبعا على نحو مميز كما سيأتي بيانه). نمثل لذلك بمستويات مرتفعة من التوتر، نزوع للانفعال، قلق واضطرابات نفسية شديدة، الضيق بالأفكار المخالفة، والحساسية إزاء كل جديد مجهول.....

ففي تناوله لبنية الزمن لدى الإطارات القيادية الجزائرية وجد لوصيف (2007) أن النمط المهيمن لديهم هو القلق اتجاه الزمن، وهو ما يعكس حسبه حساسية من الغموض وخوفا من المجهول يسكن الأفراد، ولكن دون أن يلزم عنه ما يعين على التحكم فيه وتفاديه (ص.196).

بالعودة إلى تحليله السابق لوجه من أوجه الثقافة التقليدية التي تحكم المجتمع الجزائري، والتي تتجلى فيها تبعية بل ذوبان للفرد في شبكات علاقاتية، أوعز (مظهر،2015 ؛ Medhar & Achaibou,2004) هذه التبعية إلى إدراك الفرد واستشعاره -النابع عن تراكم تجاربه شخصية وما توارثه المجتمع منها جيلا عن جيل- لخطر كامن في محيطه الجغرافي والمناخي(جفاف، فيضانات، زلازل، تصحر، الأوبئة،...) ومحيطه الاجتماعي (موت، أمراض، عنف وعدوانية هذا المحيط التي تطبع كل ما سوى العائلة أو بعض التحالفات الظرفية القائمة على تبادل المصالح)، خطر دائم وغير قابل للتنبؤ يهدد وجوده ذاته.إلا أن الأفراد وبدل أن يواجهوا هكذا طبيعة عدائية لمحيطهم الحافل بالأخطار والتهديدات بمحاولة التحكم فيه والسيطرة على مصادر التهديدات والتوتر ببذل كل أسباب ذلك مما يتيحه العصر من تخطيط، تنظيم،وتقنين، و...، أي التوسل بمنتجات الحداثة على نحو ما سلكت سائر المجتمعات التي تعرف حساسية مفرطة من الغموض والمجهول، أي تلك المتفادية للريب بشدة...بدل ذلك يلجأ الفرد في المجتمع التقليدي(الجزائر نموذجا) للتحصن بالشبكات العلاقاتية– التي تتصدرها العائلة من حيث الأهمية والديمومة- والتي بالرغم من هشاشتها وما تمارسه من عنف وهيمنة عليه، يدركها الفرد على أنها أبقى وأقوى على الأقل بالنسبة إليه، وبناء عليه يلجأ إليها بدافع من غريزة حب البقاء(انظر أيضا:(لوصيف، 2007)). في تفسيرهما لهذه العلاقة يسطر Medhar & Achaibou (2004):

> « « *le champ social algérien est toujours régi par une organisation sociale ancienne, de type traditionnel. Ce qualificatif n'est ce pendant pas retenu pour signaler uniquement que cette organisation est ancienne et qu'elle contient des traditions, mais bien pour souligner deux autres aspects. D'abord, que cette organisation est structurée à partir des difficultés de maîtriser les conditions de l'environnement,*

donc les moyens de subsistance, plus précisément de survie… » » (p.24).

ويؤكدانها أكثر بشيء من التفصيل:

« « *Les hommes évoluant à travers l'organisation sociale traditionnelle ont également vérifié que l'efficacité de l'énergie que contiennent les réseaux relationnels est tout particulièrement tributaire des liens du sang. Ils ont en effet remarqué que, pour venir en aide à quelqu'un en toute circonstance et parfois même au détriment de ses propres intérêts, il faut que ce bénéficiaire représente* ***un autre soi-même****, selon la formule de Carmel Camilleri. En termes clairs, il doit provenir de la même matrice sexuelle.*

*La filiation est la garantie de la solidarité et de l'entraide inconditionnelles dont relèvent les échanges entre proches dans les milieux sociaux régis par l'organisation sociale traditionnelle. Résultat: en dehors des réseaux relationnels dont se compose l'intimité domestique et que renforcent d'éventuels alliés et clients dont la fidélité n'est pas nécessairement permanente, il ne reste que l'****adversité****.*

Dans ces conditions, une exigence devient incontournable : il faut se familiariser avec la violence pour se tenir prêt à faire face à d'éventuels coups durs nécessairement imprévisibles. Telle est la nécessité qui fonde le mode de vie traditionnel. En évoluant à travers une ambiance sociale marquée par la violence à des degrés divers, les uns et les autres bénéficient d'un stage permanent qui les aguerrit. Ils acquièrent, alors, une sorte de seconde nature qui leur permet, tout à la fois, de se protéger, de se défendre, de ne pas être totalement surpris par la violence lorsqu'elle éclate, d'être en quelque sorte blasé, et d'y faire face... » » (p.26).

يتفق هذا التقرير إلى حد بعيد مع توصلت إليه دراسة(Mercure,1997) من نزوع شديد إلى تفادي الريب لدى العمال الجزائريين، إذ بلغ مؤشره (UAI=103) (قريب من ذاك المسجل عربيا UAI= 98 وأكبر من ذاك المسجل في البحر المتوسط UAI=91 عند Hofstede). تجلت هذه النزعة في حرص كبير على تحديد الأدوار (عدم

اتخاذ قرارات ليست من صلاحياته ولو عند الضرورة)، وتفادي كل وضعية تشهد غموضا (ولو ترقية إلى منصب أعلى ما لم يكن متأكدا من الأهلية لها)، واعتبار رئيسه المباشر في العمل أكبر من مجرد دليل، بل كحام لمرؤوسيه ومحيط بكل تفاصيله وضامن لهم تجاوز كل غموض أو إشكال فيه. وربما إلى هذا يعود وفي هذا الإطار يفهم تفضيلهم الكبير للاتصال وجها لوجه، القائم على المشافهة لا على الكتابة، سواء في النشاطات اليومية أو في تسوية النزاعات، ومنها التعبير عن الاختلاف مع مسؤوليهم المباشرين على هذا النحو، ورفض كبير لإدارة علاقات العمل وفق النمط المؤسساتي الرسمي، ورؤيته كتهديد. ولا يتناقض استعدادهم لمواجهة مسؤوليهم بالآراء المخالفة -رغم نزوع كبير لديهم لتفادي الريب- مع نتيجة بحثنا المؤيدة لحدوث الصيرورة في المجتمع الجزائري عموما، بل ربما يتفق مع تفاوت السلطة المتوسط لديهم بالإضافة إلى الألفة التي تميز الوسط الذي يجهر فيه بالمخالفة (وسط زملاء) فلا مجال لأي غموض أو ريب يحتمل أن يشكل مصدر تهديد من شأنه أن يبعث على سلوك مغاير (صمت أو ادعاء توافق). ومن جهة أخرى، هي نتيجة يؤكدها ما خلص إليه بلعموري (2009) من تأييد للعلاقة السابقة فيما عدا وسط العائلة والأصدقاء ووسط الزملاء، أي تسجيل ارتباط بين خشية العزلة والاستعداد للتعبير العلني عن الرأي فيما عدا هذين الوسطين، بالنظر إلى الألفة والحميمية التي تميزهما.

مجيئا إلى رابع عامل ثقافي والمتمثل في الذكورة/ الأنوثة، تكاد الأدبيات تطبق على تأكيد النزعة الذكورية للمجتمع الجزائري، وتبرز الصورة ذاتها سواء في تلك التي تتناول المجتمع الأمازيغي في مجموعه أو التي تقتصر على جماعة من الجماعات الثقافية المكونة له، وتتجلى أساسا في تقسيم صارم للأدوار الاجتماعية بين الجنسين، مع اتجاه الذكور إلى إثبات الذات ومراكمة الرأسمال الاجتماعي، وتركيز الإناث على الرعاية وتدبير شؤون البيت.

في تحليله للهيمنة الذكورية يؤكد بورديو (1998) غير ما مرة على الطابع الذكوري للمجتمع القبائلي، والذي حسبه ينسحب على الأمازيغ عموما بل على سائر شعوب البحر المتوسط:

"*إن قوة النظام الذكوري تتراءى فيه أمرا يستغني عن التبرير، ذلك أن الرؤية مركزية الذكورة تفرض نفسها كأنها محايدة، وأنها ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها في خطب تهدف إلى شرعنتها. والنظام الاجتماعي يشتغل*

باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها. إنها التقسيم الجنسي للعمل، والتوزيع الصارم جدا للنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنسين، لمكانه وزمنه وأدواته. إنها في بنية الفضاء، مع التعارض بين مكان التجمع، أو السوق، المخصصة للرجال، والمنزل المخصص للنساء، أو التناقض داخل المنزل حيث يكمن القسم الذكوري مع الموقد، والماء والخضار مع القسم الأنثوي..."(ص.27-28).

ويتمركز حسبه اهتمام الرجال على مراكمة الرأسمال الاجتماعي(تحصيل النجاح) متمثلا في المجتمعات التقليدية مثل المجتمع القبائلي -كما سبق وأن شرحناه في معايير التراتبية أو التفاوت الاجتماعي- ليس في الرصيد المادي بشكل رئيس كما هو الحال في المجتمعات الحديثة، بل في الشرف، شرف النسب والسمات الشخصية من قبيل الشجاعة،الالتزام بالوعود(*الكلمة*)، والاستقامة في السلوك والعلاقات... هذا الأخير يقع دوما محل تنافس وصراع بين الأفراد من أجل تحصيله والدفاع عنه في سعيهم لإثبات ذواتهم والطموح الدائم في التحقق بمقام الرجولة باعتبارها بتعبير بورديو:"*ماهية القوة (vir)، والفضيلة (virtus)، ومناط الشرف (nif) ومبدأ حفظ الشرف والرفع فيه.."(ص.30).* وفي هذا السياق يؤكد على أن مصدر اكتساب الرأسمال الاجتماعي هذا وتجليه إنما هو الفضاء العمومي الذي يختص به الرجال ويحتكرونه، وهو ما يجعل النساء محرومات منه تبعا لانعزالهن عنه بالنظر للتناقض أو التمايز الجنسي الذي يطبع بنية الفضاء كما تقدم ذكره (Addi 2004,). ففي هكذا حال تنصرف اهتمامات النساء إلى تدبير شؤون البيت ورعاية العائلة وتوفير جو من العاطفة والحنان.

يسطر بورديو (1998) هذا المعنى فيقول:" *إن التقسيمات المكونة للنظام الاجتماعي،...، إنما تندرج شيئا فشيئا في طبقتين مختلفتين من الهابتوس،...، في شكل مبادئ رؤية وتقسيم تؤدي إلى تصنيف كل أشياء العالم وكل الممارسات بحسب تمييزات تختزل في التعارض بين المذكر والمؤنث.ويرجع إلى الرجال، لأنهم يقعون من جانب الخارج والرسمي والعمومي والقانون...، إنجاز كل الأعمال المختصرة والمذهلة والخطيرة التي تسجل قطيعات (ruptures) في مجرى الأحداث العادية كذبح ثور الحرث والحصاد، من دون الحديث عن القتل أو الحرب. وعلى العكس من ذلك،*

ولأن النساء يقعن من جانب الداخل والرطب و...، يعهد إليهن بكل الأعمال المنزلية، أي الخاصة والمخبأة...، كرعاية الأطفال..."(ص.68).

يمكن أن نعثر عن مؤشرات عن النزعة الذكورية للمجتمع الجزائري لدى مظهر في نقده للموقع الاجتماعي الذي يخص به النظام التقليدي المرأة، هذا الأخير" *يحث المرأة على المكوث في البيت وتحت رعاية الرجال، أو يؤدي إلى تخصيص أدوار مهنية حسب الجنس*"(مظهر، 2015.ص.128). ويضيف مؤكدا:

" *لقد بدا أن المجتمع الجزائري مجتمع رجالي، لأن المرأة غائبة عن الساحة الاجتماعية العامة، غير أن الملاحظة تبين توزيعا دقيقا للمدى المعيشي وفقا للشروط التقليدية: تخصص الشوارع للرجال مثلما تخصص أسطح المنازل للنساء"(ص.128).* ويسهب مظهر طويلا في شرح كيف يتم إعداد البنت لكي تتكون زوجة ومن ثم أما عبر مراحل متتابعة، ويتم تنشئتها على أنه مصير محتوم لكل بنت لتنتهي موقنة ألا مكانة اجتماعية لها خارج الزواج، وهو ما يفسر حجم القلق الذي يستبد بالبنت إن تعذر أو تأخر هذا المشروع (مظهر،2015 .ص.160-165).

نفس الاتجاه يسجل عند (Claudot-Hawad,2011) في تحليله للطابع الأمومي (le matriarcat) أو المركزية الأنثوية عند التوارق، والذي يمثل استثناء- حسبه- في الجماعة الأمازيغية قاطبة. فرغم هذا الطابع فهو يؤكد على تمايز واضح في الأدوار الاجتماعية التقليدية: اضطلاع الرجال بالسياسية والحرب، واختصاص النساء بالرعاية، كمؤشر عن ذكورية من نوع ما.

> *« « Si les hommes occupent habituellement les charges politiques et militaires, ils apparaissent souvent dans les discours touaregs comme les messagers des femmes ou les exécutants des décisions féminines. placée au centre de la société, la femme est associée a des valeurs et a des compétences qui renvoient non pas a un pouvoir de type coercitif reposant sur la violence , mais a des rôles essentiellement assimilés symboliquement a tous ce qui permet la vie et la croissance des éléments de la nature.ces principes seuls capables de garantir le bien-être ;la prospérité et la continuité de la communautés, s'expriment sémantiquement en référence a la gestation, aux fonctions nourricières,*

a la protection, a la compassion(tahanint) ou au concept de '' care'' en anglais utilisé dans des travaux récents » » (p. 3).

يتفق هذا التوجه الذكوري البارز في الأدبيات مع ما توصلت إليه نتائج دراستنا من مؤشر ذكورة مرتفع نسبيا عند مختلف الجماعات الثقافية(جدول(18)).وهو ما يتضافر –إلى حد ما- مع الارتباط ذي الدلالة الإحصائية مع الخوف من العزلة الاجتماعية($r= -0.050^{**}, p<0.01$)(بينما لم تثبت له مساهمة ذات دلالة إحصائية في معادلة الانحدار، أي لا يمكن أن يسهم في التنبؤ بالخوف من العزلة الاجتماعية ($\beta= -.165 , p<005.$)).نتيجة تتقوى بالارتباط المسجل بين متغير الذكورة هذا والعلاقة بين المتغيرين الأساسيين في الصيرورة(WSC & FSI) (جدول(22)).كلها شواهد تحيلنا مجتمعة إلى القول بإمكانية وجود ارتباط غير مباشر بين متغير الذكورة والاستعداد للرقابة الذاتية على الأقل لدى الشاوية والمجتمع الجزائري عامة، حيث يقع الخوف من العزلة الاجتماعية من هذا الارتباط موقع المتغير الوسيط. لكنه تفسير يستصحب إشكالا آخر: بالنظر إلى تقارب مستوى الخوف من العزلة لدى الجماعات الثقافية الثلاث، وبالنظر إلى التقارب الكبير في مؤشر الذكورة لديها، واتسامه بالارتفاع النسبي لديها كلها، فما الذي يفسر حضور الصيرورة لدى المجتمع الجزائري عامة والشاوية، وغيابها لدى القبائل وبني ميزاب؟

لا نزعم أن في نتائج بحثنا ما يزودنا بمادة لصياغة إجابة عن هذا التساؤل.

بناء على ما تقدم، نميل إلى الاعتقاد أن صيرورة مثل لولب الصمت، وظاهرة اتصالية أساسية مثل الاستعداد للرقابة الذاتية أو للتعبير العلني عن الرأي هي من التركيب والتعقيد بمكان بحيث يصعب أن تستقل بتفسيرها الثقافة عموما فضلا عن عامل ثقافي واحد بعينه، بل هي (أي الصيرورة) نتاج تفاعل جملة من العوامل النفسية، الاجتماعية، والاتصالية، وكذلك الثقافية، وضمن هذه الأخيرة(الثقافية) هي نتاج تفاعل بين عدد منها بدرجات متفاوتة عبر المجتمعات.

وعليه، ينبغي أن يسبق أي مسعى لتبين مدى ارتباط الصيرورة بالعوامل الثقافية، أن يجمع الاختبار الثقافي لها (الدراسة المقارنة بين الثقافات) بين ثقافات (أو جماعات ثقافية) ذات أبعاد ثقافية محددة وشديدة التمايز. وهو الشرط الذي

تفتقر إليه دراستنا إلى حد ما، شرط شكل غيابه حدا أساسيا من حدود هذه الدراسة. بعبارة أخرى، محدودية الاختلافات الثقافية أو مدى جوهريتها (أي مدى تعلقها بأعمق مستوى من الثقافة: مستوى القيم، لا بمستويات سطحية منها: مثل الطقوس، الأبطال، اللهجات...)، أو على الأقل كونها محل شك، وهو مانع جدي لإجراء اختبار ثقافي مثالي للنظرية. يحيل هذا إلى قضية على قدر كبير من الأهمية، وهي الحاجة الماسة إلى وجوب تحديد موقع مستويات القيم التي تحكم المجتمع الجزائري قاطبة على سلم أو مقياس (scale) من مقاييس الثقافة الشهيرة والمعتمدة (Schwartz، Globe، Hofstede). هذا سواء على فرض اعتباره يشترك جوهريا- أي قيميا- في ثقافة جامعة واحدة (un fond culturel commun) (Mercure,1997)، أو حتى على فرض اشتماله على ثقافات جزئية تتباين قيميا بشكل جوهري، فوجب والحال هكذا تحديد موقع كل منها على واحد أو أكثر من سلالم القيم تلك.وهو عمل بالغ الأهمية، بل شرط ضروري تناط به كل دراسة تتضمن- في الحالة الأولى- مقارنة ثقافية بين المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات إزاء ظاهرة ما(دونه يتعذر إدراج الجزائر في أي دراسة مقارنة بين الأمم أو الثقافات، مع ما ينجر عن ذلك من حرمان من المعارف المحصلة من تلك الدراسات على الواقع الجزائري)، أو تستهدف- في الحالة الثانية- تفسيرا ثقافيا داخليا لأية ظاهرة اتصالية أو اجتماعية بشكل عام. بعبارة أخرى، نريد أن نفهم كيف استجاب الجزائريون على نحو استثنائي ومتميز للأسئلة الوجودية (الأبعاد الثقافية) التي شغلت عامة البشر. وكيف تنعكس وتتجلى هكذا استجابات أساسية (القيم) على طرق تفكيرهم، شعورهم، وسلوكهم. لا يغني عن هذه التصنيفات الثقافية وتحديد لأبعادها تلك الأدبيات – التي استعرضنا جانبا منها- رغم قيمتها العلمية المسلمة. غير أن الحاجة لا تزال ماسة بالنظر إلى ندرة الدراسات (دراسة واحدة فقط) التي تعنى بهذه المهمة وفق البراديغم المعتمد حاليا لدى الجماعة العلمية: تجزئة الثقافة إلى الأبعاد (dimensionalizing culture). ويزيد الحاجة إليها إلحاحا افتقار تلك الأدبيات للتحيين والمواكبة رغم اتسام القيم الثقافية بثبات كبير عبر الزمن، إلا أنه بالنظر للأحداث والظواهر الهامة التي عرفها المجتمع الجزائري في العقود الثلاثة الأخيرة (مثل العنف المسلح، البحبوحة المالية، انتشار تكنولوجيا الإعلام والاتصال،..)، فلا يستبعد أن تلقي بضلالها على المعطيات الثقافية كما أشار Hofstede et al (2010). هذا مع

وجوب أن تتجاوز قادم الدراسات حدود دراستنا هذه مثل الاكتفاء بثلاث جماعات ثقافية فقط في دراسة مقارنة بين الثقافات، لتمتد إلى جماعات ثقافية أخرى مثل التوارق، أو على نحو ما سلك Mercure (1997) (اعتمد سبع ثقافات جزئية) بهدف استقصاء ورصد أي اختلافات ثقافية تميز جماعة(ات) ثقافية ما. طبعا مع ضرورة الحرص على أن تعتمد على عينات أكثر تمثيلا للجماعات الثقافية وتجانسا بينها للوفاء بشرط القابلية للمقارنة ثقافيا.

خاتمة

« « The theory offers so many intriguing aspects that it is sure to keep researchers busy for many generations to come. Like every scientific finding that is truly interesting, it raises more questions than it answers » ». (Peterson,2012).

اقتصر مسعانا في هذا البحث على اختبار موقع نظرية لولب الصمت بين الوجودية والمحدودية الثقافية في السياق الجزائري. مسعى تولد عن تشخيص عدد من الدراسات المراجعة لحصاد عقود من التطبيقات المتناولة لها لفقر كبير في تناول العوامل الثقافية، وبالتالي بقاؤها كأحد أهم المناطق المظلمة في النظرية.

(Scheufele & Moy,2000, p. 17; see Matthes, Hayes, Rojas, Shen, Min, and Dylko, 2012).

لا تعدو دراستنا الاستكشافية هذه المقارنة بين ثقافات جزئية في السياق الجزائري، أن تكون خطوة أولى في درب شبه مهجور، استهدفت غايتين أساسيتين:أولاهما اختبار ثقافي للنظرية كما تقدم ذكره، وثانيتهما- متضمنة فيه ولازمة عنه- تتعلق بمحاولة قياس الأبعاد الثقافية لهذه الجماعات الثقافية وبالتالي تحديد محلها من الاتفاق (الاشتراك في جوهر ثقافي جامع) أو التباين وفق أنموذج Hofstede، الأمر الذي تنبني عليه أهمية كبيرة وتأثير بالغ على قادم الدراسات التي تعنى بالتفسير الثقافي للظواهر الاتصالية (أو غيرها) داخل الجزائر (within-cultural study)، أو تلك التي تدرج الجزائر في دراسات مقارنة بين الثقافات(cross-cultural study).

إجمالا، أسفر بحثنا عن نتيجتين أساسيتين: أولا: تسجيل ارتباط ذي دلالة إحصائية بين الخوف من العزلة الاجتماعية والاستعداد للرقابة الذاتية في الجماعة الأمازيغية مجتمعة، فكان بمثابة تأكيد لدراستين (بلعموري،2009) في الجزائر و(Matt et al,2012) في عشر ثقافات، تناولتا نفس العلاقة وإن بطريقتين مختلفتين. نتيجة تفيد الآتي:

إذا كان بعض الأفراد عموما وعبر مختلف الوضعيات يخافون العزلة الاجتماعية أكثر من غيرهم، فهؤلاء إذن سينزعون عموما وعبر مختلف الوضعيات إلى كتم آرائهم (مراقبة ذواتهم) أمام محيط لا يشاطرهم الرأي.

ثانيا: تسجيل ارتباط ذي دلالة إحصائية بين كل من العوامل الثقافية المتناولة والعلاقة (FSI-WSC)، فكان تأييدا لافتراض أساسي في البحث،غير أن محاولات تفسير أشمل وأعمق لهذه النتيجة عبر بحث العلاقات بين المتغيرات الثقافية وكل طرف في العلاقة (FSI-WSC) لم تسفر إلا عن ارتباط سلبي ذي دلالة إحصائية بين الخوف من العزلة الاجتماعية وعامل الذكورة، مما يحيلنا إلى افتراض أن عامل الذكورة معدل أو ضابط(moderator) للعلاقة (FSI-WSC).أي أن الثقافات (الجزئية) ذوات مستوى الذكورة المرتفع يقل خوف العزلة عند أفرادها وبالتالي هم أقل نزوعا في العموم إلى رقابة ذواتهم (لزوم الصمت) حال إدراكهم أن محيطهم لا يشاطرهم الرأي.يدعم هذه النتيجة عثورنا على مؤشرات هامة في الأدبيات تؤيدها، في انتظار المزيد من البحوث الإمبريقية القادمة.

ثالثا: تسجيل تباين في تأييد العلاقة الأساسية من ثقافة جزئية إلى أخرى. حاولنا تلمس تفسير له في الأدبيات مشفوعا بالنتيجة الأولى، غير أن حدود الدراسة (صغر العينة وعدم تجانسها)، مع طبيعتها الاستكشافية، وخاصة غياب تحديد لمؤشرات العوامل الثقافية لكل ثقافة جزئية حال دون تقديم تفسير بات، خاصة مع تسجيل مؤشرات ثقافية جد متقاربة بين الجماعات الثقافية في بحثنا كما في (Mercure,1997).

بشكل عام، لم ينتج بحثنا إجابات حاسمة باتة بقدر ما أثار تساؤلات وأوصى بسلوك دروب بحثية في قادم الدراسات المتناولة للنظرية، أو تلك الساعية للتفسير الثقافي للظاهرة الاتصالية في الجزائر. وذلك لأمرين أساسيين:

أولا: طبيعة نظرية لولب الصمت وكل نظرية مهمة على الحقيقة كما نصت عليه مقولة peterson في افتتاحية عدد خاص بالنظرية من مجلة (*IJPOR*)، ذلك لإقحامها للعديد من المتغيرات من مستويات مختلفة (النفسي، الاجتماعي،...)، ولاشتمالها على كثير من الجوانب المفاهيمية والمنهجية المشكلة التي لا تزال بحاجة إلى التوضيح، ولتطلب اختبارها توفر كثير من الشروط من قبيل الشحنة القيمية للقضية، الطبيعة الخلافية لها، محتوى وسائل

الإعلام، وضعية تعبير تشتمل على قدر من العداء أو الصراع، وفوق ذلك حقيقية لا افتراضية كما نصت نيومان(Peterson,2012)،... إلخ

ثانيا: طبيعة الاختبارات الثقافية، والتي بالإضافة إلى ارتفاع كلفتها من حيث الزمن والجهد والمال، فهي تولد إشكاليات في تفسير نتائجها أكثر مما تحل من مشاكل. كما ينص على ذلك واحد من أقوى أنصار هذا النوع من الدراسات Melvin Kohn(1987):

> *"unless one has a good reason why research should be cross-national, it generally isn't worth the effort of making it cross-national (….) Cross-cultural research is costly in time and money, and it often seems to raise more interpretive problem s than it solves" (p. 728).*
> *(quoted In (Park,1998)).*

ولكن رغم هذه الصعوبات الكامنة فيها، إلا أنها تزخر بفوائد جمة سلف ذكر جانب منها، أقلها تتجلى لدى استحضار حقيقة منشأ أغلب النظريات الاتصالية في سياق غربي خاص(WEIRD) من طرف باحثين غربيين وبخلفيات أو من منظورات غربية، وهنا تعمل هذه الدراسات المقارنة بين الثقافات على تحديد المدى التفسيري لهذه النظريات بين الوجودية، أو المحدودية الثقافية، فتراجع لتستوعب وتعكس الفوارق الثقافية. فكل نظرية أو نموذج لا يتناول العوامل الثقافية لا يمكن أن يزعم لنفسه(ا) الصلاحية أو البعد الوجودي، بل هو محض وصف أو تفسير أنثروبولوجي. غير أن هذه الدراسات على أهميتها البالغة تواجهها مشكلة مزمنة تتمثل في القابلية للمقارنة بين الثقافات، وقد شخصنا كيف لازم هذا المشكل المحاولات التي سعت إلى اختبار اللولب الصمت ثقافيا، وعملنا على تخطيه باعتماد مقاربة استعداداتية.

في هذا السياق، نعتقد أنه يمكن تجاوز إشكالية القابلية للمقارنة ثقافيا في السياق الجزائري دون اللجوء إلى المقاربة الاستعداداتية والتي تتضمن قياسات للمتغيرات الأساسية مستقلة عن القضية (أو القضايا) محل الاختبار وعن وضعيات التعبير، وذلك شرط انتقاء قضية (أو قضايا) مناسبة تحمل نفس المعنى لدى كل الجزائريين، كما تتوفر

على شروط Neumann في القضايا الصالحة لاختبار النظرية عليها، فتكون مثار خلاف بين عامة الجزائريين، وتحضى بتغطية إعلامية بالإضافة إلى كونها مشحونة أو معبأة أخلاقيا لديهم جميعا. وليس بمستحيل تخير قضية (أو قضايا) تتحقق بكل هذه المواصفات في كل الثقافات الجزئية في نفس الوقت. أما على صعيد وضعيات التعبير فلا نعتقد أنها محل لاختلافات كبيرة بين الثقافات الجزئية في الجزائر.نؤكد في هذا الصدد على أهمية استصحاب ميزة هامة لدى المقاربة الاستعداداتية تتمثل في تجاوز وضعية التعبير الافتراضية (والتي سبق بيان كيف تحد من صدق قياس الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي)وذلك باعتماد وضعية(ات) حقيقية، لا افتراضية لقياس هذا الأخير.ذلك أنه إذا كانت لولب الصمت تفترض أن مناخ الرأي المدرك يمارس تأثيرا على التعبير عن الرأي- بسبب ***تهديد حقيقي*** بالتعرض للعزلة الاجتماعية – فإنه من المرجح اختلاف وضعيات التعبير عن الرأي الافتراضية والحقيقية في قابليتهما لحدوث هذه الصيرورة(Cheufele,2001,Neumann & Peterson,2005).يجدر التنبيه ههنا إلى اشتراط Neumann في كتاباتها الأخيرة وضع المبحوثين في وضعيات حقيقية، لا افتراضية، لأنها هي وحدها التي تجعلهم تحت ضغط اجتماعي(Neumann & Peterson,2004). وإلا وجب إثبات إلى أي درجة يمكن أن تمسك وتحيط الوضعيات الافتراضية تلك بكيفية سلوك الأفراد في الوضعيات الحقيقية.

من ناحية أخرى، محتاجون إلى فهم أعمق لموقع الخوف من العزلة من البنية الديناميكية التطورية للرأي العام كما تطرحها نيومان (petrič & Pinter,2002 ; Shoemaker et al, 2000)، أو من الصيرورة بوصفه مفجرها كما تنص صاحبتها. وتحديدا، ما طبيعة العلاقة بين الخوف من العزلة الاجتماعية والمتغيرين الأساسيين الآخرين في الصيرورة: إدراك مناخ الرأي السائد والاستعداد للتعبير العلني عن الرأي. خاصة في ظل الاضطراب الكبير الذي ميز نتائج الاختبارات التي تناولت علاقته بالاستعداد للتعبير العلني عن الرأي عبر الوضعيات والقضايا والسياقات الثقافية، واضطراب مماثل ميز نتائج العلاقة بين إدراكات مناخات الرأي السائدة والتعبير العلني عن الرأي (التحليلين الكليين(meta-analysis) السالفي الذكر).

بعبارة أخرى، ما موقعه من العلاقة بينهما؟ أهو مجرد واحد من بين متغيرات مستقلة عدة- يجب بحثها- يؤثر بشكل مباشر على التعبير العلني عن الرأي؟ أم يؤثر عليه بشكل غير مباشر عبر التأثير على إدراك الفرد لمناخ الرأي السائد بدفعه إلى انتباه أكبر له (مناخ الرأي السائد)، وبالتالي إلى إدراك أدق لمدى توافقه أو تعارضه مع الرأي الشخصي على نحو ما خلصت إليه دراسة (Hayes et al,2013)؟ أو أنه تبعا لنتيجة Hayes يلعب دور متغير وسيط بينهما (mediator)، أو بالأحرى دور ضابط للعلاقة بينهما (moderator)، فيؤثر تعارض الرأي المدرك بين الفرد ومحيطه على الذين يتسمون بمستوى مرتفع من الخوف من العزلة الاجتماعية فيدفعهم إلى التزام الصمت أو ادعاء التوافق؟ طبعا دون إغفال افتراض تباين هذه العلاقات عبر الجماعات الثقافية، الأنظمة السياسية، إلخ.

من جهة أخرى، نفتقر إلى حوصلة شاملة حاسمة لنصيب عوامل نفسية عديدة —غير الخوف من العزلة- في تفسير الاستعداد للتعبير العلني عن الرأي من قبيل خشية الاتصال والخجل (Hayes, Glynn, & Shanahan, 2005; Willnat et al., 2002)، حفظ ماء الوجه للمعبر أو المخاطب (face and facework) (face negotiation theory (Ting-Toomey et al, 1991))، القابلية للحرج (embarrassability) (Neumann, 1993, pp. 214-215))، إلخ.

أخيرا، يؤشر تأييد العلاقة الأساسية في الجماعة الأمازيغية وللمرة الثانية بعد ذاك المسجل في المجتمع الجزائري (بلعموري،2009) إلى حالة غير صحية وأفق غير واعد للديمقراطية في الجزائر، خاصة لدى استحضار طبيعة العينة (أساتذة جامعيون) التي أجريت عليها الدراسة، ممن يفترض فيهم الأكثر أهلية للتحقق بمهمة قادة الرأي والأجدر بالاضطلاع بدور الطليعة والأقرب للاتصاف بالنوى الصلبة على حد تعبير نيومان، ومحل تجلي مثل (the ideals) الفرد أو المواطن كما تتصوره النظرية الديمقراطية ويجسده مبدأ المواطنة كقيمة سياسية حديثة: فاعل مستقل كامل الحقوق، يقوم بواجباته عن وعي وإرادة حرة، ويشارك في الحياة العامة من خلال انتماءه للأحزاب وهيئات المجتمع

المدني وتنظيماته.نتيجة تبعث على توقع حال أسوء على مستوى الشرائح الأخرى الأوسع في المجتمع، حال تعكس غياب المواطن، بل أسوء من ذلك ذوبان الفرد في الشبكات العلاقاتية للمجتمع التقليدي باستعارة تعبير مظهر.

نتيجة، إن ثبتت، تمثل مأزقا لا يفيد معه توفير الجوانب الإجرائية للديمقراطية، مما يستدعي انتباه كل المهتمين بدمقرطة الحياة السياسية في الحالة الجزائرية أفراد ومؤسسات لبحث السبل الكفيلة بتجاوزه.

أخيرا، لا تعدو هذه الملاحظات أن تكون تخمينات وانشغالات ربما تشكل بذور افتراضات قد تكون محل اختبارات في بحوث قادمة.

المراجع

1- باللغة العربية:

بورديو بيير، الهيمنة الذكورية.(1998) Editions du Seuil ، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009م.

سعيد لوصيف، علاقة أنماط الزمن بالقيادة التحويلية: حالة الإطارات القيادية الوسطى، محاولة تحليل نفسي اجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007.

سليمان مظهر، نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية، مصدر المجابهة، منشورات ثالة -الجزائر، ط2، 2015.

خليل، عادل عبد الغفار، الإعلام والرأي العام، دراسة حول تطبيع العلاقات المصرية-الإسرائيلية، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، 2003.

نعيم بلعموري، محددات المشاركة السياسية، اختبار نظرية لولب الصمت حول الموقف من بوتفليقة وسياساته، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2009.

2- باللغة الأجنبية:

Adler, N.J, (2002).''International dimensions of organizational behavior'',4th ed. (Cincinatti ; OH South Western college publishing).

Addi, L. (2004). 'Pierre Bourdieu revisité. La notion de capital social'. HAL Id : halshs-00398946. Http : //halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00398946.

Baldassare, M., & Katz, C. (1996). Measures of attitude strength as predictors of Willingness to speak to the media. Journalism and Mass Communication Quarterly, 73, 147–158.

Bodor, T. (2015). 'The Issue of Timing and Opinion Congruity in Spiral of Silence Research : Why Does Research Suggest Limited Empirical Support for the Theory ?'. International Journal of Public Opinion Research Vol. 24 No. 3.

Bond, R., & Smith, P. B. (1996). 'Culture and conformity : A meta-analysis of studies using Asch's (1952b, 1956) line judgment task'. Psychological Bulletin, 119(1), 111–137.

Cherifi.B. (2015).'Le M'Zab : Etudes d'anthropologie historique et culturelle'. Edtion Sédia, Alger.

Croucher.S.M. Bruno.A. McGrath.P. Adams.C. McGahan, Suits.A.Huckins.A. (2012). ' Conflict Styles and High–Low Context Cultures : A Cross-Cultural Extension'. Communication Research Reports, Vol. 29, No. 1, pp. 64–73.

Davis., D.K. (2009).'Public Opinion Theories'. In Littlejohn., S.W., Foss.K.A.(2009). 'Encyclopedia of Communication Theory'. (808-813). California. SAGE.

Donbach, W., C.T., Salmon, C. T, Tsfati, Y. (2014)''The Spiral of Silence : New directions on communication and public opinion''.1st ed. New York Routledge.

Eveland, w.p., MC Leod, D.M., Signorelli, N. (1995) : **'**Actual and perceived U.S. public opinion : The spiral of silence during the Persian gulf war**',** International Journal of Public OpinionResearch, 2, 91-108.

Fung, T. K. F., Cheufele, D. (2014).'Social norms, Spiral of silence, Framing theory : An argument for considering cross-cultural differences in media effects research', In Donbach et al (2014) **''**The Spiral of Silence : New directions on communication and public opinion**''** (19-31)1st ed . New York : Routledge.

Fung, K. F. (2010). Value framing, cultural cognitive systems and cultural cognition : Exploring how media framing effects vary across and within cultures. (Unpublished doctoral dissertation). University of Wisconsin-Madison, Madison, WI.

Fung, T. K. F., Brossard, D., & Ng, I. (2011). There is water everywhere : How news framing amplifies the effect of ecological worldviews on preference for flooding protection policy. *Mass Communication and Society, 14*(5), 553–577.

Gearhart, S. Zhang.W.(2015).' Same Spiral, Different Day ? Testing the Spiral of Silence Across Issue Types' Communication Research, 1– 21.

Glynn, C.J., Huge, M.E(2011). 'Speacking in spirals : An updated meta-analysis of the spiral of silence**'**, In Wolfgang Donsbach, Charles T. Salmon, Yariv Tsfati. (2014)'The spiral of silence : new perspectives on communication and public opinion. (54-64)1st ed. New York Routledge.

Glynn, C.J. and Park, E. **(1997). '**Reference groups, opinion intensity, and public opinion expression **'**, International Journal of Public Opinion Research, 9, 213-32.

Glynn, C. J., Hayes, A. F., & Shanahan, J. (1997).' Perceived support for one's opinions and willingness to speak out : A meta-analysis of survey studies on the'spiral of silence'. Public Opinion Quarterly, 61, 452–463.

Gonzalez, H. (1988). Mass media and the spiral of silence : The Philippines from Marcos to Aquino. Journal of Communication, 38, 33–48.

Hall, E. T. (1976). '' Beyond culture. Garden City'', NY : Anchor.

Hayes, A. F., Matthes, J., & Eveland, W. P., Jr. (2011). Stimulating the quasi-statistical organ : Fear of social isolation motivates the quest for knowledge of the opinion climate. Communication Research, Advance online publication.

Hayes, A. F., Uldall, B., & Glynn, C. J. (2010). Validating the willingness to Self-censor scale II : Inhibition of opinion expression in a real conversational setting. Communication Methods and Measures, 4, 256–272.

Hayes, A. F., (2007). Exploring the Forms of Self-Censorship : Onthe Spiral of Silence and the Use of OpinionExpression Avoidance Strategies.Journal of Communication,24(2), 785–802.

Hayes, A.F., Scheufele, D.A., Huge, M.E., (2006) : **'**Non-participation as Self-Censorship : Publicly observable political activity in a polarized opinion climate,

Hayes, A.F., Glynn, C.J., & Shanahan, J.(2005a) : **'**Willingness to self-censor : A construct and measurement tool for public opinion research**'**, International Journal of Public Opinion Research, 17, 298-323.

Hayes, A.F., Glynn, C.J., & Shanahan, J.(2006b) : **'**Validating the willingness to self-censor scale : Individual differences in the effect of the climate of opinion on opinion expression**'**,International Journal of Public OpinionResearch, 1l7, 443-455.

Henrich, J., Heine, S. J., & Norenzayan, A. (2010). 'Most people are not WEIRD'. Nature, 466, 29.

Ho, S. S., & McLeod, D. M. (2008). 'Social-psychological influences on opinion expression in face-to-face and computer-mediated communication'. *Communication Research, 35,* 190-207.

Hofstede, G. (2013).VALUES SURVEY MODULE 2013.Retrieved from www.Hofstede.com

Hofstede, G. (2012). 'Dimensionalizing Cultures : The Hofstede Model in Context'. In Samarov.,L.A.Porter.,R.E.,McDaniel.(2012) **'**Intercultural communication : A Reader**'**.13ed, Wadsworth.

Hofstede, G., Hofstede, G. J. & Minkov, M. (2010). Cultures and Organizations : Software of the Mind (Rev. 3rd ed.). New York : McGraw-Hill.

Hofstede, G. (2001). 'Culture's Consequences : Comparing Values, Behaviors, Institutions and Organizations across Nations'. Thousand Oaks, California : Sage Publications.

Hofstede, G. (1980). Culture's Consequences : International Differences in Work-Related Values. Beverly Hills, CA : Sage.

Hornsey, M. J., Jetten, J., McAuliff e, B. J., & Hogg, M. A. (2006). The impact of individualist and collectivist group norms on evaluations of dissenting group members. Journal of Experimental Social Psychology, 42(1), 57–68.

Hornsey, M. J., Majkut, L., Terry, D. J., & McKimmie, B. M. (2003). 'On being loud and Proud : Non-conformity and counter-conformity to group norms'. British Journal of Social Psychology, 42, 319–335.

Huang, H., (2005) : **'**A cross-cultural Test of the spiral of silence**',** International Journal of Public Opinion Research, 17, 324-345.

Inglehart, R., & Baker, W. E. (2000). 'Modernization, cultural change, and the persistence of traditional values'. American Sociological Review, 65(1), 19–51.

Katz, C. and Baldassare, M. (1996) : **'**Using the ''L-world'' in public : A test of the spirale of silence in conservative Orange County , California**'**, Public OpinionQuaterly,56 ,232-5.

Kim, H., & Markus, H. R. (1999). 'Deviance or uniqueness, harmony or conformity ? A cultural analysis'. Journalof Personality and Social Psychology, 77(4), 785–800.

Kim, S.-H. (2012). 'Testing fear of isolation as a causal mechanism : Spiral of silence and Genetically modified (GM) foods in South Korea'. International Journal of Public Opinion Research, 24, 306-324.

Kim, S., Han, M., Shanahan, J., & Berdayes, V. (2004). **'**Talking on sunshine in north korea : A test of the spiral of silence as a theory of powerful mass media**'**. International Journal of Public Opinion Research, 16, 39-62.

Kim, K., & Markman, A. B. (2006). Differences in fear of isolation as an explanation of cultural differences: Evidence from memory and reasoning. Journal of Experimental Social Psychology,42(3), 350–364.

Kirkman, B. L., Lowe, K. B., & Gibson, C. B. (2006).'' A quarter century of Culture's Consequences : A review of empirical research in corporating Hofstede's cultural values framework''. Journal of International Business Studies, 37, 285-320.

Lazar, j., (1999) : 'L'opinion publique: La thèse de « la spirale de silence »**'**, Un entretien avec Elisabeth Noelle-Neumann. Géographie, Economie, Société, Vol.1, N°.2,1999, 395- 401.

Lee, W., Detenber, B. H., Willnat, L., Aday, S., & Graf, J. (2004). A cross-cultural test of the spiral of silence theory in Singapore and the United States. *Asian Journal of Communication*,
14, 205-226.

Lee, L.F., (2005) :**'**The impact of ordinary political conversation on public opinion expression: Is existing of discord necessary ? **'**, Journal and Mass Communication Quarterly, vol.78, N°.7-891-909.

Lin, W-K., & Pfau, M. (2007). Can inoculation work against the spiral of silence ? A Study of public opinion on the future of Taiwan. International Journal of PublicOpinion Research, 19, 155–172.

Markus, H. R., & Kitayama, S. (1991). Culture and the self : implications for cognition, emotion, and motivation. Psychological Review, 98, 224–253.

Manaev, O., Manayeva, N., & Yuran, D. (2010). The 'spiral of silence' in election campaigns in a post-Communist society : The case of Belarus. International Journal of Market Research, 52(3),319–338.

Matthes, J., Hayes, A. F. (2014). 'Methodological conundrums in spiral of silence research''., In Donbach et al (2014) **''**The Spiral of Silence : New directions on communication and public opinion**'** .(54-64)1st ed . New York Routledge.

Matthes, J., Hayes, A. F., Rojas, H., Shen, F., Min, S.-J., & Dylko, I. B. (2012). Exemplifyinga dispositional approach to cross-cultural spiral of silence research : Fear of social isolationand the inclination to self-censor. International Journal of Public Opinion Research, 24,287-305.

Matthes, J., Morrison, K. R., & Schemer, C. (2010). A spiral of silence for some : Attitude Certainty and the expression of political minority opinions. Communication Research, 37, 774-800.

MCDaniell, E.R. Samovar, l.A. Porter,R.A.(2012).'Using Untarcultural Communication :The Building Blocks.' InSamarov, L.A.Porter.,R.E.,McDaniel.(2012) 'Intercultural communication : A Reader'.13ed, Wadsworth.

Medhar, S., Achaibou, M. (2004) : Typologie de la violence a travers la société algérienne. Essai de théorisation. Revue des deux rives, N° 01.

Mercure, D., Harricane, B., Seghir, S., Steenhaut. A. (1997). Culture et gestion en Algérie, Harmattan, Paris.

Merkin, R. (2006).' Uncertainty avoidance and facework : A test of the Hofstede model'. International Journal of Intercultural Relations 30(2):213-228 ·

Moy, P., Domke, D.S., & Stamm, K. **(2001). '** The spiral of silenceand public opinion on affirmative action**'**. Journal and Mass Communication Quarterly, 78, 7-25.

Neuwirth, K., Frederick, E., & Mayo, C. (2007). The spiral of silence and fear of isolation. Journal of Communication,57, 450–468.

Neuwirth, L. (2000). 'Testing the spiralof silence model : the case of Mexico**'** , International Journal of Public OpinionResearch, 12, 138-59.

Nisbett, R. E., Peng, K. P., Choi, I., & Norenzayan, A. (2001). Culture and systems of thought : Holistic versus analytic cognition. Psychological Review, 108,291–310.

Noelle-Neumann, E., & Petersen, T. (2004). 'The spiral of silence and the social nature of man. In L. L. Kaid (Ed.), Handbook of political communication research (pp. 339–356).

Noelle-Neumann, E. (1993). 'The spiral of silence : Public opinion — Our social skin' (2nd ed.). Chicago, IL : University of Chicago Press.

Noelle-Neumann, E. (1991). 'The theory of public opinion. The concept of the spiral of silence. In J. A. Anderson (Ed.), *Communication yearbook 14* (pp. 256–287). Newbury Park, CA : Sage.

Noelle-Neumann, E. (1984). 'The spiral of silence : Public opinion, our social skin'. Chicago, IL : University of Chicago Press.

Noelle-Neumann, E. (1974). **'**The spiral of silence : A theory of public opinion **'**, Journal of Communication, 24, (2),43-51.

Noelle-Neumann, E. (1977). 'Turbulence in the climate of opinion : Methodological Applications of the soiral of silence**'**, public Opinion Quaterly,41, 143-58.

Noelle-Neumann, E. (1965). ‘Public opinion and social control**’**, In Donbach et al (2014) **’**The Spiral of Silence : New directions on communication and public opinion**’**. (19-31)1st ed. New York Routledge.

Oshagan, H. (1996). Reference group influence on opinion expression. International Journal Of Public Opinion Research, 8, 335–354.

Oyserman.,D , Coon.,H. M., Kemmelmeier.,(2002).’ Rethinking Individualism and Collectivism : Evaluation of Theoretical Assumptions and Meta-Analyses **’**. Psychological Bulletin, Vol. 128, No. 1, 3–72.

Park, S.H., Salmon, C.T., (2005) : **‘**A test of the third-person effect in public relations : Application of social comparison theory**’**, Journal and Mass Communication Quarterly, vol.82, N°.1-25-43.

Park, E. (1998). ‘Individualism/Collectivism, Self-Concept and Social Behavior : False-Uniqueness and the Spiral of Silence Hypothesis’. Umpublished Doctoral thesis of Cornell University.

Perret, C., Abrika, B., (2014) : **‘**Capital social, confiance et développementterritorial. Une étude appliquée en Kabylie**’**, <halshs-01055087v2>.

Petric, G., Pinter, A., (2002) : **‘**From social perception to public expression Of opinion**’,** International Journal of Public OpinionResearch, Vol. 14, N. 1, 37-53.

Price, V., & Allen, S. (1990). Opinion spirals, silent and otherwise : Applying small-group Research to public opinion phenomena. Communication Research, 17, 369–392.

Rabinowitz, A.M., **‘**Clearing the silence : The rise of clear channel communications and the fall of public opinion**’**, Unpublished Master Degree Thesis, The University of Akron, may 2005.

Rahim, M. (1983). A measure of styles of handling interpersonal conflict. Academy of Management. Journal, 26, 368–376.

Redmond, M.R.N. Biernat, M. Eidelman, S. Palenske, D.J. (2004). ‘The Social and Personal Identities Scale : A Measure of the Differential Importance Ascribed to Social and Personal Self-Categorizations’. Self and Identity, 3 :2, 143-175.p

Rosenthal, S. Detember, B.H. (2014). ‘Cultural orientations and the spiral of silence’, In Donbach et al (2014) **’**The Spiral of Silence : New directions on communication and public opinion**’**. (19-31)1st ed. New York Routledge.

Salmon, C. T., & Neuwirth, K. (1990). Perceptions of opinion ‘‘climates’’ and willingness to discuss the issue of abortion. Journalism Quarterly, 67, 567–577.

Salmon, C. T., & Oshagan, H. (1990). Community size, perceptions of majority opinion, andopinion expression. Public Relations Research Annual, 2, 157–171.

Samarov, L.A. Porter, R.E., Mc Daniel. (2007).’ Communication between cultures’. Thomson Wadswarth, 6 th ed. Wadsworth.

Scheufele, D. and Moy, P. (2000) : **‘**Twenty-five years of spiral of silence : A conceptual review and empirical outlook**’** , International Journal of Public OpinionResearch, 12, 3-28.

Scheufele, D. A., Shanahan, J., & Lee, E. (2001). Real talk : Manipulating the dependent variable in spiral of silence research. *Communication Research, 28*, 304-324.

Schwartz, S. H., & Bardi, A. (2001).' Value hierarchies across cultures : Taking a similarities Perspective'. *Journal of Cross Cultural Psychology, 32*, 268-290.

Schwartz, S. H. (1999).' A theory of cultural values and some implications for work'. Applied Psychology : An International Review, *48*, 23-47.

Schwartz, S. H. (1994). Beyond individualism/collectivism : New cultural dimensions of values. In U. Kim, H. C. Triandis, C. Kagitçibasi, S. C. Choi & G. Yoon (Eds.), Individualism and Collectivism : Theory, Method and Applications (pp. 85-119). Thousand Oaks, CA : Sage.

Shamir, J. (1997) : **'** Speaking up and silencing out in face of a changing climate**'**. Journal and Mass Communication Quarterly, 74, 602-614.

Shen.,F.Liang.,H.(2015).'Cultural Differences, Social Values, or Political Systems? Predicting Willingness to Engage in Online Political Discussion in 75 Societie**'.** International Journal of Public Opinion Research Vol. 27 No. 1.

Shoemaker, P. J., Breen, M., & Stamper, M. (2000). 'Fear of social isolation : Testing an assumption fromthe spiral of silence'. Irish Communications Review, 8,65–78.

Spencer, A., & Croucher, S. (2008). 'Basque nationalism and the spiral of silence : An analysis of public perception of ETA in Spain and France'. *International Communication Gazette*, *70*(2),137–153.

Ting-Toomey, S. (1999).'Communicating across cultures''.New York : Guilford Press,1999.

Triandis, H.C. (2012).'Culture and Conflict**'** In Samarov.,L.A.Porter.,R.E.,McDaniel. **'**Intercultural communication : A Reader**'**.13ed, Wadsworth.

Triandis, H. C. (1989). 'The self and social-behavior in differing cultural contexts'. Psychological Review, *96*(3), 506–520.

Vaiman, V., & Brewster, C. (2014).' How far do cultural differences explain the differences between nations? Implications for HRM'. The international Journal of Human Ressources management. 26 :2, 151-164.

van Oudenhoven, J. P., Mechelse, L., & de Dreu, C. K. W. (1998). 'Managerial conflict management in five European countries : The importance of power distance, uncertainty avoidance, and masculinity'. Applied Psychology : An International Review, 47, 439–455.

Willnat, L., Lee, W., & Detember, B, H. (2002) : **'**Individual-level predictors of public outspokenness : A test of the spiral of silence theory in Singapore**'**. International Journal of Public Opinion Research, 14, 391-412.

Willnat, L., (1996): 'Mass media and political outspokenness in Hong Kong: Linking the third-person effect and the spiral of silence**'**, International Journal of Public OpinionResearch,vol.8,N°. 2,187-212.

Yahia-Berrouiguet.A. (2015). ‘Algerian National Culture and TQM’. Journal of Economics and Business Research, Volume XXI, No. 2, 2015, pp. 145-152.

Yamawaki.N.(2012).’ Within-Culture Variations of Collectivism in Japan’. Journal of Cross Cultural Psychlogy, 43(8) 1191–1204.

Wimmer, R. D., & Dominick, J. R. (2009). Mass media research : an introduction, (9th ed.). Belmont, CA : Wadsworth Publishing Company.

Zou, X., Tam, K. P., Morris, M. W., Lee, S. L., Lau, I. Y. M., & Chiu, C. Y. (2009). Culture as common sense : Perceived consensus versus personal beliefs as mechanisms of cultural influence. Journal of Personality and Social Psychology, *97*(4), 579–597.

الملاحق:

الملحق (1)

المقاييس المعتمدة للمتغيرات المتناولة في بحثنا

Hofstede's six culture dimension items: VSM2013

(VALUES **S**URVEY **M**ODULE **2013** MANUAL)

1-Power distance

02. have a boss (direct superior) you can respect.
07. be consulted by your boss in decisions involving your work.
23. An organization structure in which certain subordinates have two bosses should be avoided at all cost.

20. How often, in your experience, are subordinates afraid to contradict their boss (or students to their teacher?).

2-Individualism /collectivism

04. have security of employment.
01. have sufficient time for your personal or home life.
06. do work that is interesting.
09. have a job respected by your family and friends.

3-uncertainty avoidance

15. How often do you feel nervous or tense?

18. All in all, how would you describe your state of health these days?

21. One can be a good manager without having a precise answer to every question that a subordinate may raise about his or her work.

24. A company's or organization's rules should not be broken not even when the employee

thinks breaking the rule would be in the organization's best interest.

4-masculinity /feminity

03. get recognition for good performance.

05. have pleasant people to work with.

08. live in a desirable area.

10. have chances for promotion.

5-long/short term orientation

13. doing a service to a friend

14. thrift (not spending more than needed)

19. How proud are you to be a citizen of your country?

22. Persistent efforts are the surest way to results

6-indulgence/restraint

11. keeping time free for fun

12. moderation: having few desires

16. Are you a happy person?

17. Do other people or circumstances ever prevent you from doing what you really want to?

Willingness to self-censor(wsc):

Items on the willingness to self-censor scale (Hayes et al., 2005a). Responses are made on a 1 (strongly disagree) to 5 (strongly agree) scale, anchored in the middle by ‘‘neither agree nor disagree’’.

(1) It is difficult for me to express my opinion if I think others won’t agree with what I say.

(2) There have been many times when I have thought others around me were wrong but I didn’t let them know.

(3) When I disagree with others, I’d rather go along with them than argue about it.

(4) It is easy for me to express my opinion around others who I think will disagree with me. (R)

(5) I’d feel uncomfortable if someone asked my opinion and I knew he or she wouldn’t agree with me.

(6) I tend to speak my opinion only around friends or other people I trust.

(7) It is safer to keep quiet than publicly speak an opinion that you know most others don’t share.

(8) If I disagree with others, I have no problem letting them know it (R)

R = reverse scored.

Fear of social isolation (FSI) : (Hayes et al, 2013).

To measure fear of social isolation(FSI), we used five statements (with 5-point Likert-type response scale, from *strongly disagree* to *strongly agree*) developed based on the definition of FSI described in (Noelle-Neumann & Petersen 2004, p. 349) as well as items used in previous studies in line with this definition (e.g., Willnat et al., 2002). The exact wordings of each of the five items were as follows :

FSI1 : “It is scary to think about not being invited to social gatherings by people I know.”

FSI2 : “One of the worst things that could happen to me is to be excluded by people I know.”

FSI3 : “It would bother me if no one wanted to be around me.”

FSI4 : “I dislike feeling left out of social functions, parties, or other social gatherings.”

FSI5 : “It is important to me to fit into the group I am with.”

الملحق (2)

عيّنة من نتائج البحث

على نظام SPSS

Descriptiveswx

Descriptive Statistics									
	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation	Skewness		Kurtosis	
	Statistic	Statistic	Statistic	Statistic	Statistic	Statistic	Std. Error	Statistic	Std. Error
I tend to speak my opinion only around Friends and other people i trust.	310	1	5	3,66	1,246	-,731	,138	-,593	,276
VAR00002	311	1	5	3,82	,994	-,774	,138	,075	,276
VAR00003	309	1	5	4,21	1,124	-1,457	,139	1,206	,276
VAR00004	308	1	5	3,60	1,251	-,500	,139	-,950	,277
VAR00005	309	1	5	2,24	1,051	,741	,139	,029	,276
VAR00006	310	1	5	2,99	1,295	-,024	,138	-1,294	,276
VAR00007	311	1	5	3,84	1,145	-,647	,138	-,742	,276
VAR00008	308	1	5	2,98	1,137	,112	,139	-,900	,277
VAR00009	310	1	5	4,23	,834	-1,396	,138	2,587	,276
VAR00010	308	1	5	2,86	1,264	,239	,139	-1,162	,277
VAR00011	311	1	5	2,84	1,162	,212	,138	-1,113	,276
VAR00012	309	1	5	3,63	1,170	-,578	,139	-,626	,276
VAR00013	309	1	5	3,10	1,195	-,114	,139	-1,088	,276
VAR00014	311	1	5	4,67	,660	-2,575	,138	8,277	,276
VAR00015	309	1	5	2,08	,922	1,033	,139	1,266	,276
VAR00016	310	1	5	3,14	1,082	-,054	,138	-,920	,276
VAR00017	310	1	5	2,85	1,157	,236	,138	-,977	,276
VAR00018	311	1	5	4,45	,720	-1,324	,138	1,982	,276
VAR00019	311	1	5	4,18	,860	-1,115	,138	1,457	,276
VAR00020	304	1	5	4,44	,746	-1,582	,140	3,309	,279
VAR00021	310	1	5	3,94	1,010	-,947	,138	,630	,276
VAR00022	311	1	5	4,36	,799	-1,314	,138	1,855	,276
VAR00023	310	1	5	4,48	,753	-1,476	,138	2,004	,276
VAR00024	309	1	5	4,26	,841	-1,153	,139	1,234	,276
VAR00025	311	1	5	4,41	,814	-1,509	,138	2,255	,276
VAR00026	311	1	5	4,08	,921	-,883	,138	,476	,276
VAR00027	309	1	5	4,11	,967	-1,045	,139	,744	,276
VAR00028	308	1	5	3,31	1,156	-,268	,139	-,701	,277
VAR00029	311	1	5	4,00	1,032	-1,064	,138	,784	,276
VAR00030	310	1	5	4,47	,704	-1,397	,138	2,410	,276
VAR00031	300	1	5	4,45	,768	-1,584	,141	2,961	,281
VAR00032	311	1	5	3,42	,842	,120	,138	-,085	,276
VAR00033	305	1	5	3,28	1,076	-,166	,140	-,592	,278
VAR00034	311	1	5	3,79	,693	-,404	,138	,646	,276
VAR00035	311	1	5	4,15	,985	-1,048	,138	,662	,276
VAR00036	311	1	5	3,45	,992	-,391	,138	-,066	,276
VAR00037	311	1	5	3,68	,833	-,600	,138	,850	,276
Valid N (listwise)	269								

SUB-CULTURES (FSI-WSC) CORRELATIONS

Corrélations Mozabite

Statistiques descriptives			
	Moyenne	**Ecart type**	**N**
Fear	18,80	2,786	82
WSC	22,85	5,601	80

Corrélations			
		Fear	WSC
Fear	Corrélation de Pearson	1	,115
	Sig. (bilatérale)		,318
	N	82	78
WSC	Corrélation de Pearson	,115	1
	Sig. (bilatérale)	,318	
	N	78	80

Corrélations Chaouie

Statistiques descriptives			
	Moyenne	Ecart type	N
Fear	18,92	3,681	127
WSC	23,01	5,824	128

Corrélations			
		Fear	WSC
Fear	Corrélation de Pearson	1	,276**
	Sig. (bilatérale)		,002
	N	127	126
WSC	Corrélation de Pearson	,276**	1
	Sig. (bilatérale)	,002	
	N	126	128

**. La corrélation est significative au niveau 0,01 (bilatéral).

Corrélations Kabyle

Statistiques descriptives			
	Moyenne	Ecart type	N
Fear	17,63	3,594	89
WSC	22,14	5,529	90

Corrélations			
		Fear	WSC
Fear	Corrélation de Pearson	1	,190
	Sig. (bilatérale)		,077
	N	89	87
WSC	Corrélation de Pearson	,190	1
	Sig. (bilatérale)	,077	
	N	87	90

CORRELATION: 4 CULTURAL FACTORS *SPIRAL FACTORS (FSI-WSC)

Corrélations

Statistiques descriptives			
	Moyenne	Ecart type	N
Incertitude	64,8912	7,39988	306
Masculinité	63,0918	1,28602	306
Individualism	34,9569	17,03171	306
PowerDistance	68,1127	5,93161	306
Fear	18,48	3,451	303
WSC	22,69	5,644	302

Corrélations					
		Incertitude	Masculinité	Individualism	PowerDistance
Incertitude	Corrélation de Pearson	1	,467**	-,735**	,980**
	Sig. (bilatérale)		,000	,000	,000
	N	306	306	306	306
Masculinité	Corrélation de Pearson	,467**	1	,256**	,635**
	Sig. (bilatérale)	,000		,000	,000
	N	306	306	306	306
Individualism	Corrélation de Pearson	-,735**	,256**	1	-,584**
	Sig. (bilatérale)	,000	,000		,000
	N	306	306	306	306
PowerDistance	Corrélation de Pearson	,980**	,635**	-,584**	1
	Sig. (bilatérale)	,000	,000	,000	
	N	306	306	306	306
Fear	Corrélation de Pearson	-,089	-,165**	-,029	-,115*
	Sig. (bilatérale)	,126	,004	,621	,047
	N	298	298	298	298
WSC	Corrélation de Pearson	-,041	-,065	-,005	-,050
	Sig. (bilatérale)	,482	,263	,928	,385
	N	298	298	298	298

Corrélations			
		Fear	WSC
Incertitude	Corrélation de Pearson	-,089	-,041
	Sig. (bilatérale)	,126	,482
	N	298	298
Masculinité	Corrélation de Pearson	-,165**	-,065
	Sig. (bilatérale)	,004	,263
	N	298	298
Individualism	Corrélation de Pearson	-,029	-,005
	Sig. (bilatérale)	,621	,928
	N	298	298
PowerDistance	Corrélation de Pearson	-,115*	-,050
	Sig. (bilatérale)	,047	,385
	N	298	298
Fear	Corrélation de Pearson	1	,222**
	Sig. (bilatérale)		,000
	N	303	295
WSC	Corrélation de Pearson	,222**	1
	Sig. (bilatérale)	,000	
	N	295	302

**. La corrélation est significative au niveau 0,01 (bilatéral).
*. La corrélation est significative au niveau 0,05 (bilatéral).

DESCRIPTIVE FSI, WSC OF SUB-CULTURES

DESCRIPTIVES VARIABLES=Fear WSC
/STATISTICS=MEAN STDDEV MIN MAX KURTOSIS SKEWNESS.

Caractéristiques

Statistiques descriptives					
	N	Minimum	Maximum	Moyenne	Ecart type
	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques
Fear	303	5	25	18,48	3,451
WSC	302	8	40	22,69	5,644
N valide (liste)	295				

Statistiques descriptives				
	Skewness		Kurtosis	
	Statistiques	Erreur std.	Statistiques	Erreur std.
Fear	-,338	,140	-,065	,279
WSC	,222	,140	-,064	,280
N valide (liste)				

DESCRIPTIVES VARIABLES=Fear WSC
/STATISTICS=MEAN STDDEV MIN MAX KURTOSIS SKEWNESS.

Caractéristiques Culture Kabyle

Statistiques descriptives					
	N	Minimum	Maximum	Moyenne	Ecart type
	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques
Fear	89	5	24	17,63	3,594
WSC	90	8	35	22,14	5,529
N valide (liste)	87				

Statistiques descriptives				
	Skewness		Kurtosis	
	Statistiques	Erreur std.	Statistiques	Erreur std.
Fear	-,473	,255	,444	,506
WSC	,179	,254	-,285	,503
N valide (liste)				

DESCRIPTIVES VARIABLES=Fear WSC
/STATISTICS=MEAN STDDEV MIN MAX KURTOSIS SKEWNESS.

Caractéristiques Culture Chaouie

Statistiques descriptives					
	N	Minimum	Maximum	Moyenne	Ecart type
	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques
Fear	127	10	25	18,92	3,681
WSC	128	11	40	23,01	5,824
N valide (liste)	126				

Statistiques descriptives				
	Skewness		Kurtosis	
	Statistiques	Erreur std.	Statistiques	Erreur std.
Fear	-,236	,215	-,689	,427
WSC	,536	,214	,193	,425
N valide (liste)				

DESCRIPTIVES VARIABLES=Fear WSC
/STATISTICS=MEAN STDDEV MIN MAX KURTOSIS SKEWNESS.

Caractéristiques

Statistiques descriptives					
	N	Minimum	Maximum	Moyenne	Ecart type
	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques	Statistiques
Fear	82	12	24	18,80	2,786
WSC	80	8	35	22,85	5,601
N valide (liste)	78				

Statistiques descriptives				
	Skewness		Kurtosis	
	Statistiques	Erreur std.	Statistiques	Erreur std.
Fear	-,373	,266	-,366	,526
WSC	-,350	,269	-,385	,532
N valide (liste)				

RELIABILITY: FEAR OF SOCIAL ISOLATION

Alpha Cronbach

Fiabilité

Récapitulatif de traitement des observations			
		N	%
Observations	Valide	304	97,7
	Exclu[a]	7	2,3
	Total	311	100,0

Statistiques de fiabilité	
Alpha de Cronbach	Nombre d'éléments
,650	5

Statistiques de total des éléments				
	Moyenne de l'échelle en cas de suppression d'un élément	Variance de l'échelle en cas de suppression d'un élément	Corrélation complète des éléments corrigés	Alpha de Cronbach en cas de suppression de l'élément
VAR00002	14,64	8,989	,365	,615
VAR00004	14,85	7,909	,386	,611
VAR00007	14,62	7,662	,503	,546
VAR00008	15,47	8,019	,445	,577
VAR00009	14,22	9,770	,331	,630

Statistiques d'échelle			
Moyenne	Variance	Ecart type	Nombre d'éléments
18,45	12,169	3,488	5

RELIABILITY: WILLINGNESS OF SELF-CENSORSHIP
Alpha Cronbach
Fiabilité

Récapitulatif de traitement des observations			
		N	%
Observations	Valide	302	97,1
	Exclu[a]	9	2,9
	Total	311	100,0

Statistiques de fiabilité	
Alpha de Cronbach	Nombre d'éléments
,768	8

Statistiques de total des éléments				
	Moyenne de l'échelle en cas de suppression d'un élément	Variance de l'échelle en cas de suppression d'un élément	Corrélation complète des éléments corrigés	Alpha de Cronbach en cas de suppression de l'élément
I tend to speak my opinion only around Friends and other people i trust.	19,04	26,796	,264	,781
VAR00005	20,45	26,713	,363	,760
VAR00010	19,82	22,508	,637	,709
VAR00011	19,87	24,217	,549	,728
VAR00013	19,61	24,758	,469	,743
VAR00015	20,60	27,138	,391	,755
VAR00016	19,54	25,538	,462	,744
VAR00017	19,85	23,439	,622	,714

Statistiques d'échelle			
Moyenne	Variance	Ecart type	Nombre d'éléments
22,68	31,779	5,637	8